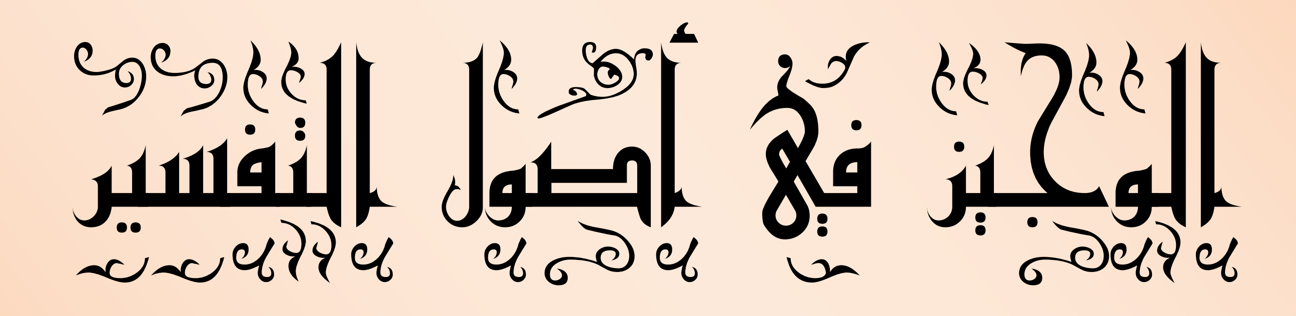
﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾



فهد أحمد البحري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدلله الذي نزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين بشيرًا ونذيرًا، وصلى الله على من بعثه للناس هاديًا ودليلًا، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم مقتديًا ومنيبًا.

وبعد: فإن القرآن كتاب الله، أنزله هدايةً للبشرية، ونورًا يستضاء به، ومنهجًا تسير عليه الأمة إلى قيام الساعة، وحين تعددت العلوم كان أشرفها ما كان متعلقًا بكتاب الله ومرتبطًا بآياته، فكان أشرفها علم التفسير إذ به بيان معناه، وتوضيح دلالاته، وتفسير ما كان غريبًا أو مبهمًا فيه.

ولأنَّ العلوم يدخل فيها الجهد البشري كان لابد لها من أصول وضوابط وقواعد تحفظها عن الزيغ والخروج عن الحق المبين، وكان علم التفسير أولى هذه العلوم بأن يحكم بأصول وضوابط يلتزم بها المفسر في محاولته الوصول إلى ما يظن أنه مراد الله تعالى من كلامه، وقد تنوعت هذه الأصول وتعددت، وصنف فيها العلماء كتبًا قيمة، ومصنفات جزيلة منها المختصر ومنها البحر الواسع المستفيض، فبينوا طرق التفسير السليمة، ومصادره الصحيحة، والعلوم التي يحتاج إليها المفسر لتكون عونًا له فيما تصدى له من بيان لكلام الله جل وعلا، والقواعد التي عليه الالتزام بها في تفسيره ونحو ذلك.

وقد جاء هذا الكتاب بعنوان" **الوجيز في أصول التفسير**" اختصارًا لأهم هذه الأصول لا جلها، إذ الأصول كثيرة والقواعد مستفيضة، فجاء الاختصار عونًا لطلبة العلم على الإلمام بأطراف هذا العلم، والتزود بما يحتاجون إليه منه، وقد جاء هذا الكتاب في عشرة فصول كالآتي:

فكان الفصل الأول في علم أصول التفسير، والفصل الثاني في علم التفسير، والفصل الثالث في أقسام التفسير، والفصل الرابع في طرق التفسير، والفصل الخامس في الدخيل في تفسير القرآن الكريم، والفصل السادس في الاختلاف في التفسير والإجماع عليه، والفصل السابع في الغريب في التفسير، والفصل الثامن في قواعد التفسير، والفصل التاسع في علوم

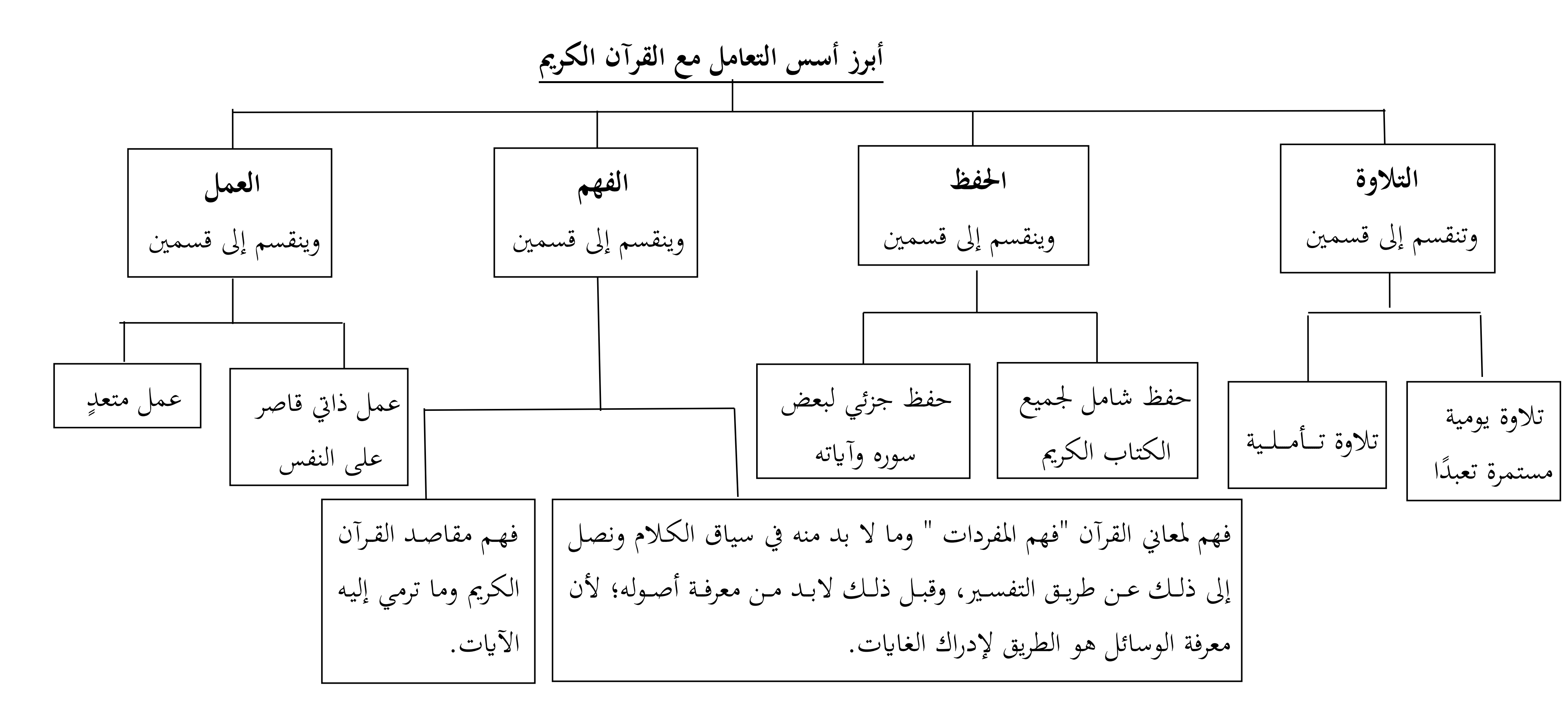
وأدوات يحتاج إليها المفسر، والفصل العاشر في تنبيهات مهمة لمن أراد القراءة في كتب التفسير، وفي ختامه ملحق فيه دراسة تطبيقية لأصول التفسير وقواعده "تفسير الآلوسي أنموذجا"، وخاتمة تضمنت بعض المصطلحات والتعاريف المهمة،كما زود كذلك برسومات تخطيطية تساعد طالب العلم على استرجاع هذه الأصول وما يتعلق بها.

ولأن التقصير سمة لازمة للجهد البشري أسأل الله أن يغفر لي ما في هذا الكتاب من خطأ وزلل، وأن يتقبل صوابه خالصا لوجهه الكريم، سائلًا الله جل وعلا أن ينفع به عباده المؤمنين.

فهد أحمد البحري

أسس التعامل مع القرآن الكريم

أسس التعامل مع القرآن الكريم متعددة، وأبرزها أربعة هي: التلاوة والحفظ والفهم والعمل.



الفصل الأول: علم أصول التفسير

المبحث الأول: مبادئ علم أصول التفسير

المبحث الثاني: نشأة علم أصول التفسير

المبحث الأول: مبادئ علم أصول التفسير

لقد جرت عادة المصنفين من المتأخرين أن يدونوا مقدمة عن العلم ومسائله وثمراته في صدر مصنفاتهم، واستقر العمل على ذكر مبادئ عشرة لكل علم، تعد تعريفًا موجزًا لهذا الفن، ويسهل لطالب العلم من خلالها ضبط مسائله، ومعرفة موضوعاته، وتصور عناصره، وقد جمعها أبو العباس المقرئ التلمساني المالكي بقوله:

من رام فنًا فليقدم أولًا … علمًا بحده وموضوع تلا

وواضع ونسبة وما استمد … منه وفضله وحكم يعتمد

واسم وما أفاد والمسائل … فتلك عشرة للمنى وسائل

وبعضهم منها على البعض اقتصر … ومن يكن يدري جميعها انتصر

وجمعها أبو العرفان محمد بن علي الصبان بقوله:

إن مبادئ كل علم عشرة … الحد والموضوع ثم الثمرة

وفضله ونسبة والواضع … والاسم الاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض بالبعض اكتفى … ومن درى الجميع حاز الشرفا

وجمعها ابن ذكرى بقوله:

فأول الأبواب في المبادئ … وتلك عشرة على المراد

الحد والموضوع ثم الواضع … والاسم الاستمداد حكم الشارع

تصور المسائل الفضيلة … ونسبة فائدة جليلة

زاد بعضهم المبدأ الحادي عشر وهو شرفه.

مبادئ علم أصول التفسير

تعريفه:

الأصول في اللغة: جمع أصل وهو في اللغة ما يبنى عليه غيره.

والأصول في الاصطلاح: هي الأسس التي يعتمد عليها علم ما.

والتفسير لغة: الكشف، والأيضًاح، والبيان.

واصطلاحا: بيان معاني القرآن الكريم.

وأصول التفسير: هي الأسس العلمية التي يرجع إليها المفسر حال بيانه لمعاني القرآن، وتحريره للاختلاف فيه.

موضوعه:

يدور هذا العلم حول القواعد والبحوث التي يتوصل بها إلى فهم آيات الكتاب الكريم فهمًا سديدًا، وأهم موضوعات هذا العلم هي:

١- مبادئ علم التفسير ونشأته ومصادره.

٢- طرق التفسير "طرق الوصول إلى التفسير" "كيف نفسر القرآن".

٣- أقسام التفسير.

٤- الاختلاف في التفسير أسبابه وأنواعه.

٥- الإجماع في التفسير.

٦- الدخيل في التفسير.

٧- قواعد التفسير.

٨- الغريب "غريب القرآن ".

ثمرته وفائدته:

١- معرفة القول الصواب في التفسير، وتمييزه عن غيره، والاحتجاج له.

٢- معرفة القول الخطأ في التفسير، والاحتجاج عليه.

٣- معرفة كيف فُسر القرآن الكريم، والاطلاع على جهود السلف.

٤- معرفة كيف تفسير القرآن الكريم على وفق أسس علمية سليمة.

٥- ضبط الفهم، والعصمة من الخطأ في التفسير.

٦- الترجيح بين الأقوال المختلفة على أسس وقواعد متينة.

نسبته: هو جزء من علوم القرآن، وله قواعده ومباحثه الخاصة به.

واضعه: أول من ألف في هذا العلم على وجه الاستقلال هو شيخ الإسلام ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) رحمه الله، في رسالته التي سميت بعد ذلك بـ"مقدمة في أصول التفسير" وقد سماها بهذا الاسم مفتي الحنابلة في دمشق جميل الشطي.

اسمه: علم أصول التفسير.

استمداده: يستمد هذا العلم من علوم القرآن، وعلم الحديث والآثار، وعلوم اللغة العربية، وعلم أصول الفقه، ومن تفاسير السابقين.

فضله: هو من أفضل العلوم وأجلها، لأن فضله نابع من موضوعه وهو القرآن الكريم.

حكم الشارع فيه: فرض كفاية، وقد يتعين على فرد من الأفراد، فيتعين على من تصدر للتفسير، وكذلك يتعين على المجتهد.

مسائله: تدور مسائل هذا العلم حول طرق التفسير، والإجماع في التفسير، والخلاف فيه، وقواعد الفهم والترجيح.

شرفه: هو من أشرف العلوم؛ لأن شرف العلم من شرف المعلوم، وأصول التفسير يبحث عن قواعد ومناهج وطرق تفسير القرآن الكريم.

الفرق بين أصول التفسير، وقواعد التفسير، ومناهج المفسرين، واتجاهات المفسرين، ومناهج التفسير، وعلوم القرآن

أصول التفسير
هي الأسس العلمية التي يرجع إليها المفسر حال بيانه لمعاني القرآن وتحريره للاختلاف فيه، وهو جزء من علوم القرآن.

قواعد التفسير
هي الأحكام الكلية التي يتوصل بها إلى استنباط معاني القرآن، ومعرفة الراجح من الأقوال، وهو جزء من علم أصول التفسير.

مناهج المفسرين
هو العلم الذي يهتم بدراسة الطرق التي يسلكها المفسرون في تفاسيرهم، وهو جزء من علوم القرآن، وهو أحد العلوم التي تستمد منها أصول التفسير.

اتجاهات المفسرين
هي المدارس التفسيرية التي اتخذت طريقًا معينًا في تفسير القرآن الكريم، ويعد هذا العلم جزءا من علوم القرآن، وهو أحد العلوم التي تستمد منها أصول التفسير، وفيه ينظر إلى المدارس والتيارات التفسيرية عموما.

مناهج التفسير
هي الأساليب التي يفسر بها القرآن الكريم، فعلم مناهج التفسير ينظر فيه إلى الأسلوب والطريقة التي فسر بها القرآن، دون النظر إلى تفسير بعينه، وعلم مناهج المفسرين ينظر فيه إلى كل مفسر على حدة، وعلم مناهج التفسير يعد جزءًا من علوم القرآن، وهو أحد العلوم التي تستمد منها أصول التفسير.

علوم القرآن
هي مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه، ومنسوخه، ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك، وهو أوسع هذه المصطلحات؛ لأنه يشمل كل علم له صلة بالقرآن الكريم.

المبحث الثاني: نشأة علم أصول التفسير

مر علم أصول التفسير بأربعة مراحل هي:

المرحلة الأولى: أصول التفسير في الآثار النبوية، وآثار السلف الكرام

عند النظر في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وآثار الصحابة والتابعين وأتباعهم نجد إشارات إلى مسائل من هذا العلم، ويمكن تقسيم الآثار التي يستنبط منها هذا العلم إلى أقسام:

القسم الأول: آثار نصت على مسائل من مسائله

مثال ذلك: ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فأنزلت عليه: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ هود: ١١٤، قال الرجل: ألي هذه؟ قال صلى الله عليه وسلم: "**لمن عمل بها من أمتي**"، فهذا الحديث يدل على قاعدة: "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، وهذه القاعدة من أكثر القواعد استعمالًا في أسباب النزول.

القسم الثاني: الآثار التي أشارت إلى مسائل من مسائله

ومثال ذلك: ما رواه الطبراني بسنده عن أبي بشر رحمه الله قال: قلت لسعيد بن جبير: ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ الرعد: ٤٣ أهو عبدالله بن سلام؟ قال: هذه السورة مكية فكيف يكون عبدالله بن سلام! قال: وكان يقرؤها: "ومن عِنْدِهِ علم الكتاب"، يقول: من عند الله.

وهذا الأثر يشير إلى أهمية معرفة تاريخ النزول، وأن له أثرًا في معرفة الصحيح من الضعيف من الأقوال، فسعيد بن جبير لم يرض أن يكون المقصود بالآية عبدالله بن سلام؛ لأنَّ إسلامه كان بالمدينة، والآية نزلت في مكة قبل الهجرة.

القسم الثالث: آثار يستنبط منها مسائل من مسائل أصول التفسير بالاستقراء

مثلا: قاعدة: "تقديم الأشهر من لغة العرب" التي يستعملها الإمام الطبري كثيرًا في تفسيره، ولا تظهر هذه القاعدة ظهورا جليا إلا باستقراء تفسيره، وهكذا أكثر القواعد لا يمكن استنباطها إلا بعد معرفة تفسير السلف، ومعرفة معاني مفردات ألفاظ العرب واستعمالاتها، وذلك مما يحتاج إلى استقراء.

المرحلة الثانية: مرحلة التدوين الضمني لمسائل أصول التفسير

يمكن تقسيم الكتب التي تدل على هذه المرحلة إلى أربع مجموعات هي:

المجموعة الأولى: مقدمات التفاسير

ومن أمثلة ذلك: مقدمة تفسير مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، ومقدمة تفسير يحيى بن سلام (ت٢٠٠هـ)، ومقدمة تفسير الطبري(ت٣١٠هـ)، ومقدمة تفسير الراغب الأصفهاني(ت٤٠٠هـ)، ومقدمة تفسير ابن جزي(ت٧٤١هـ)، ومقدمة تفسير القرطبي(ت٦٧١هـ)، وغيرها من المقدمات.

المجموعة الثانية: بطون كتب التفاسير

منذ بدأ التأليف في التفسير في عهد الصحابة والتابعين، وإلى عصرنا هذا، وكتب التفسير تتضمن جملة من أصول التفسير، وإن كان قد يظهر في بعضها واضحًا، ويخفى في أخرى.

المجموعة الثالثة: كتب علوم القرآن

فكتب علوم القرآن حافلة بالكثير من مسائل هذا الفن وأبحاثه، وبمجرد إطلالة سريعة على فهارس كتب علوم القرآن سترى الكم الكثير من مسائل وأبحاث هذا العلم.

المجموعة الرابعة: كتب أصول الفقه

كتب أصول الفقه تتضمن مباحث تتعلق بتفسير القرآن؛ لأن القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر الفقه، وقد ذهب بعض الدارسين والباحثين إلى أنَّ سبب عدم كتابة المتقدمين لأصول التفسير بوصفه علما مستقلا؛ اندراجه ضمن أصول الفقه، ومن أنفس الكتب الأصولية التي طرحت مسائل في أصول التفسير كتاب الموافقات للشاطبي، خاصة القسم الذي عقده عن "الكتاب" أي القرآن الكريم، وما عقده في الاختلاف.

المرحلة الثالثة: مرحلة التدوين المستقل لمسائل أصول التفسير

بدأت بذور هذا العلم في إشارات بعض الآيات والأحاديث النبوية، ثم في آثار الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، ثم بدأت تظهر مسائله شيئًا فشيئًا، حتى صار علما متميزًا له كتبه الخاصة، ومن أبرز كتب أصول التفسير:

١- «مقدمة في أصول التفسير»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

٢- «الفوز الكبير في أصول التفسير»، لولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (ت١١٧٦هـ).

٣- «التيسير في قواعد التفسير» للعلامة محمد الكافيجي.

٤- «أصول التفسير ومناهجه»، للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي

٥- «فصول في أصول التفسير»، للدكتور مساعد الطيار.

٦- «التحرير في أصول التفسير»، للدكتور مساعد الطيار.

٧- «التفسير وأصوله وضوابطه» للدكتور علي العبيد.

٨- «مفاتيح التفسير» للدكتور أحمد سعد الخطيب.

٩- «أصول التفسير وقواعده»، لخالد عبد الرحمن العك.

١٠- «التيسير في أصول التفسير» للدكتور عماد علي.

١١- «علم التفسير أصوله وقواعده» للدكتور خليل الكبيسي.

١٢- «اتحاف الطلاب بتوضيح أصول التفسير على طريقة السؤال والجواب» للدكتور حكمت الحريري.

١٣- «التيسير في أصول التفسير»، لعبد الحق عبد الدائم القاضي.

١٤- «مباحث في أصول التفسير» للدكتور عبدالله عثمان المنصوري.

١٥- «بحوث في أصول التفسير»، للدكتور محمد لطفي الصباغ.

١٦- «أصول في التفسير»، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين

١٧- «معالم في أصول التفسير» للدكتور ناصر بن محمد المنيع.

١٨- «التنوير في أصول التفسير» للدكتور عبدالسلام المجيدي.

١٩- «التكميل في أصول التأويل»، للمعلم عبد الحميد الفراهي.

٢٠- «الركيزة في أصول التفسير» للدكتور محمد الخضري.

٢١- «دراسات في أصول تفسير القرآن»، لمحسن عبد الحميد.

٢٢- «جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم» للدكتور مساعد الطيار.

٢٣- «علم أصول التفسير محاولة في البناء»، للدكتور مولاي عمر بن حماد.

المرحلة الرابعة: إفراد مسائل هذا العلم بمؤلفات مستقلة

ومن تلك المؤلفات:

١- «مسير التفسير» للدكتور إبراهيم عوض.

٢- «أسباب اختلاف المفسرين»، للدكتور محمد الشايع

٣- «قواعد الترجيح عند المفسرين»، للدكتور حسين الحربي.

٤- «قواعد التفسير»، للدكتور خالد بن عثمان السبت.

٥- «تفسير القرآن بالقرآن» دراسة تأصيلية للدكتور محسن المطيري.

٦- «التفسير النبوي للقرآن الكريم» دراسة تأصيلية للدكتور خالد الباتلي.

٧- «تفسير التابعين»، للدكتور محمد الخضيري.

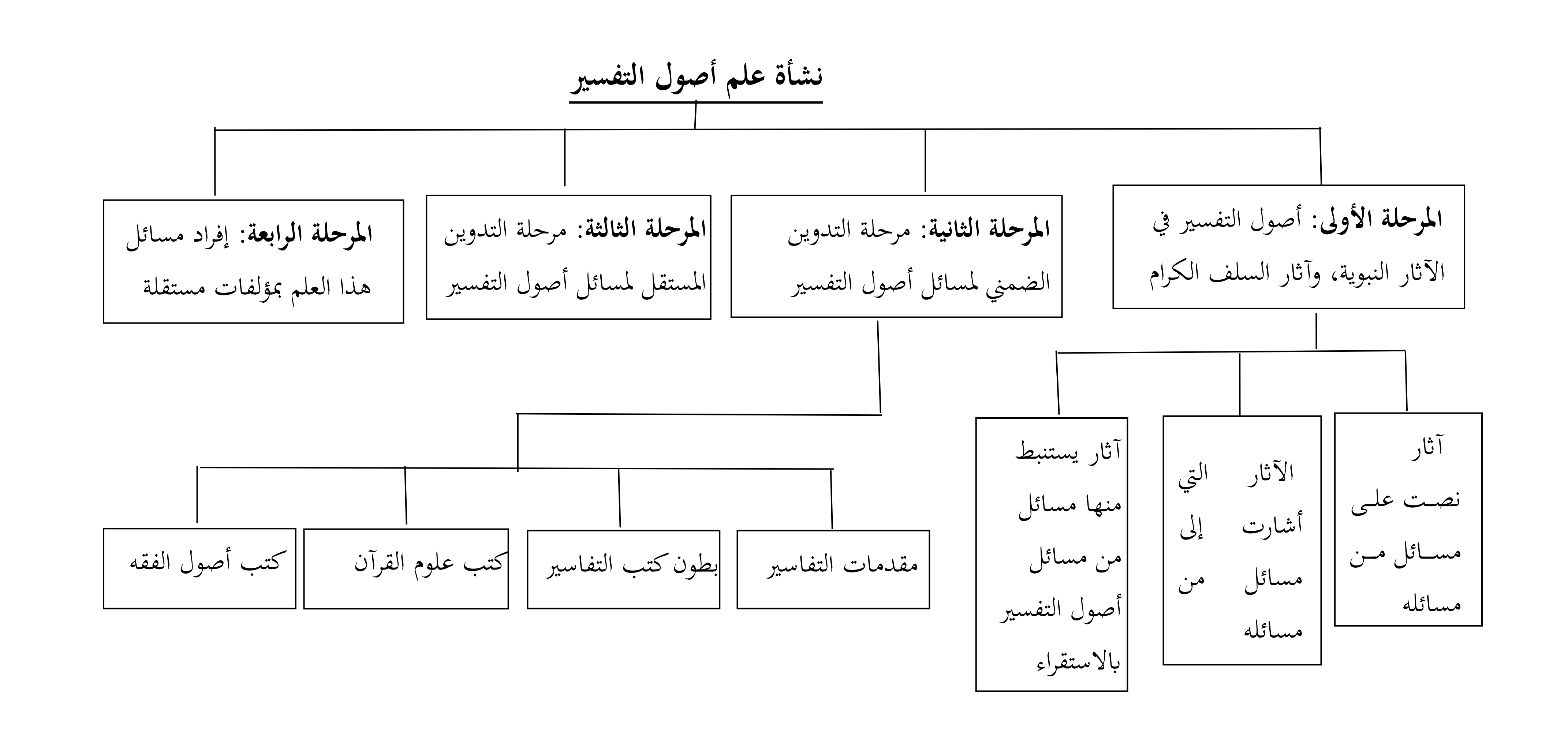
٨- «الإجماع في التفسير»، للدكتور محمد الخضيري.

٩- «اختلاف السلف في التفسير» للدكتور نايف الزهراني.

١٠- «الأقوال الشاذة في التفسير»، للدكتور عبد الرحمن الدهش.

١١- «الشاهد الشعري في تفسير القرآن» للدكتور عبدالرحمن الشهري.

١٢- «أسباب الخطأ في التفسير»، للدكتور طاهر محمود.


نشأة علم أصول التفسير
المرحلة الأولى: أصول التفسير في الآثار النبوية، وآثار السلف الكرام
المرحلة الثانية: مرحلة التدوين الضمني لمسائل أصول التفسير
المرحلة الثالثة: مرحلة التدوين المستقل لمسائل أصول التفسير
المرحلة الرابعة: إفراد مسائل هذا العلم بمؤلفات مستقلة
آثار نصت على مسائل من مسائله
الآثار التي أشارت إلى مسائل من مسائله
آثار يستنبط منها مسائل من مسائل أصول التفسير بالاستقراء
مقدمات التفاسير
بطون كتب التفاسير
كتب علوم القرآن
كتب أصول الفقه

الفصل الثاني: علم التفسير

المبحث الأول: مبادئ علم التفسير.

المبحث الثاني: مفهوم التأويل والاستنباط والتدبر والهدايات، وعلاقتها بالتفسير.

المبحث الثالث: نشأة علم التفسير.

المبحث الرابع: لمحة موجزة عن التفسير في العصر الحديث

المبحث الأول: مبادئ علم التفسير

تعريفه:

التفسير لغة: مأخوذ من مادة فسر، ومعانيها تدور حول الكشف والأيضًاح والبيان، ومعنى قولهم: فسر الكلام أي وضحه، وأبان المراد من كلام المتكلم، وقيل: إنه مقلوب من سفر، يقال: أسفر الصبح إذا أضاء، وأسفرت المرأة إذا كشفت عن وجهها.

والتفسير اصطلاحا: بيان معاني القرآن الكريم.

وعلم التفسير: هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.

موضوعه: كلام الله عز وجل.

ثمرته وفائدته: الوصول إلى الغايات الحميدة، والثمرات الجليلة، وهي التصديق بأخبار القرآن الكريم، والانتفاع بها، والتصديق بأحكام الله على الوجه الذي أراده؛ ليعبدوا الله بها على بصيرة، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي.

فضله: قال الأصفهاني: " أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن الكريم؛ ذلك أن شرف الصناعة يكون إما بشرف موضوعها، أو بشرف غرضها، أو بشدة الحاجة إليها، والتفسير قد حاز الشرف من الجهات الثلاث: فموضوعه كلام الله تعالى، والغرض منه الوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى، وأما من جهة شدة الحاجة إليه فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية، والمعارف الدينية، وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى.

نسبته: هو من العلوم الشرعية المتعلقة بالقرآن الكريم، ونسبته لباقي العلوم كنسبة الإنسان إلى العين، والعين من الإنسان.

واضعه: أول من تكلم في التفسير، وفسر القرآن الكريم هو النبي صلى الله عليه وسلم، أما أول من دون فيه على جهة الاستقلال فقد اختلف العلماء في ذلك على عدة أقوال منها:

مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ).

مجاهد بن جبر المكي (ت١٠٢هـ).

محمد بن يزيد الربعي "ابن ماجه "(ت٢٧٣هـ).

عبدالرزاق الصنعاني(ت٢١١هـ).

محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ).

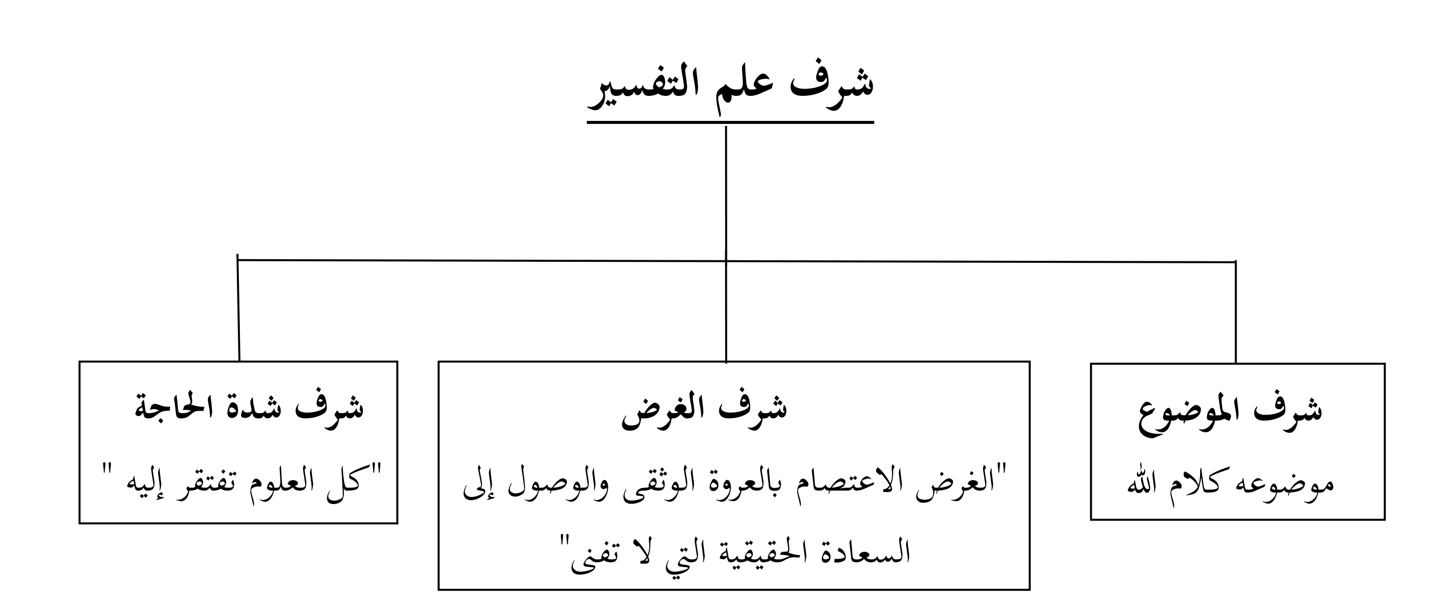
عبدالملك بن جريج(ت١٤٠هـ).

اسمه: علم التفسير، وسمي علم التفسير لما فيه من الكشف والتبيين، واختص بهذا الاسم دون بقية العلوم مع أنها مشتملة على الكشف، والبيان لجلالة قدره، وقصده إلى تبيين مراد الله من كلامه كأنه هو التفسير وحده دون ما عداه، ويسمى بعلم التأويل.

استمداده: يستمد علم التفسير من عدة علوم أهمها: الكتاب، والسنة، وأقوال الصحابة، والتابعين، وأئمة التفسير، وعلوم اللغة العربية، وعلم القراءات، وعلم أصول التفسير، وعلم أصول الفقه، وعلم العقيدة، وعلوم القرآن، وعلم التاريخ، وعلم الآثار.

حكم الشارع فيه: أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفاية، وأنه أجل العلوم الشرعية، وقد يتعين تعلمه، كتعينه على المجتهد.

مسائله: قضاياه التي تطلب نسبة محمولاتها إلى موضوعاتها، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ التوبة: ٢٨، أي: فقرا، وهو يتعلق بمعاني المفردات، ومعاني الجمل.



المبحث الثاني: مفهوم التأويل والاستنباط والتدبر والهدايات، وعلاقتها بالتفسير

أولًا: التأويل

التأويل لغة: مصدر أول يؤول تأويلًا، وثلاثيه آل يؤول، وفي اشتقاقه قولان:

الأول: إنه مشتق من آل الأمر إلى كذا يؤول أولًا ومآلًا، إذا رجع وعاد إلى الأصل، فالتأويل مأخوذ من الأَوْل وهو الرجوع.

الثاني: إنه مشتق من الإيالة، وهي السياسة، يقال: آل الرعية يؤولها إيالة حسنة: إذا ساسها.

التأويل في الاصطلاح: للتأويل في اصطلاح السلف المتقدمين معنيان:

المعنى الأول: تفسير الكلام، وبيان معناه سواءً وافق ظاهره أو خالفه، فيكون التأويل والتفسير على هذا مترادفين، وهذا ما يشير إليه الإمام الطبري في تفسيره فيقول: القول في تأويل الآية كذا وكذا.

المعنى الثاني: هو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلام طلبًا كان تأويله نفس الفعل المطلوب، وإن كان خبرًا كان تأويله نفس الشيء المخبر به.

والفرق بين المعنى الأول والمعنى الثاني: أن المعنى الأول يعني الكشف والبيان عن المعنى فهو موجود في اللفظ والذهن والرسم، أما المعنى الثاني فهو بمعنى عين الحقائق الخارجية.

التأويل عند المتأخرين: هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.

وعلى هذا فالمتأول مطالب بأمرين:

الأول: أن يبين الدليل الذي أوجب صرف اللفظ عن معناه الراجح إلى معناه المرجوح.

الثاني: أن يبين احتمال اللفظ للمعنى الذي حمله عليه وادعى أنه المراد.

الفرق بين التأويل والتفسير:

للعلماء فيما يحمله هذان المصطلحان مذهبان:

المذهب الأول: يرى أنهما بمعنى واحد، وهو الشائع عند المتقدمين من علماء التفسير كالإمام الطبري، وهو اختيار أبي عبيدة معمر بن المثنى، وابن فارس وآخرين.

المذهب الثاني: التفريق بينهما، واختلفوا في تحديد الوجه الفارق بينهما على عدة أقوال

منها:

١- التفسير: بيان معاني القرآن من باب الجزم والقطع، وذلك لوجود دليل لدى المفسر يعتمد عليه في الجزم والقطع، والتأويل بيان معاني القرآن من باب الاحتمال وغلبة الظن والترجيح لعدم وجود دليل لدى المؤول يعتمد عليه في الجزم والقطع، وهذا قول أبي منصور الماتريدي.

٢- التفسير: بيان معاني الألفاظ القرآنية الظاهرة التي وضعت لها في اللغة، كتفسير الصراط بالطريق، والصيب بالمطر.

والتأويل: بيان باطن الألفاظ القرآنية، والإخبار عن حقيقة المراد بها، والمثال على هذا الفرق قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ الفجر: ١٤، فهذه الآية لها تفسير ولها تأويل.

تفسيرها: أن المرصاد من الرصد والمراقبة، أي: إن الله مطلع على كل ما يعمل الظالمون، يراها ويعلمها، ويرصدها، ويسجلها عليهم؛ ليحاسبهم عليها.

وتأويلها: تحذر الآية من التهاون بأمر الله، والغفلة عن الأهبة والاستعداد للعرض يوم القيامة، وهذا قول أبي طالب التغلبي.

٣- التفسير: هو فهم الآيات على ظاهرها، دون صرف لها عنه، والتأويل: هو صرف الآيات عن ظاهرها إلى معنى آخر تحتمله الآيات، ولا يخالف الكتاب والسنة، وذلك عن طريق الاستنباط، وهو قول البغوي والكواشي.

٤- التفسير هو الاقتصار على الاتباع والسماع والرواية، والاكتفاء بما ورد من مأثور معاني الآيات، والتأويل: استنباط المعاني والدلالات من الآيات، عن طريق الدراية والتدبر، وإعمال الفكر والنظر، وهو قول أبي نصر القشيري، ورجحه الدكتور الذهبي.

٥- التفسير: أكثر استعماله في الألفاظ والمفردات، والتأويل أكثر استعماله في المعاني والجمل.

٦- التفسير: هو بيان المعاني القريبة التي تؤخذ من الآيات، من كلماتها وجمعها وتراكيبها، عن طريق الوضع واللغة، والتأويل: هو بيان المعاني البعيدة التي تلحظ من الآيات، وتوحي بها كلماتها وجمعها وتراكيبها عن طريق الإشارة اللطيفة والإيحاء، ومال إلى هذا القول الآلوسي.

٧- التفسير: بيان ألفاظ القرآن التي لا تحتمل إلا معنى واحدًا، والتأويل: توجيه ألفاظ

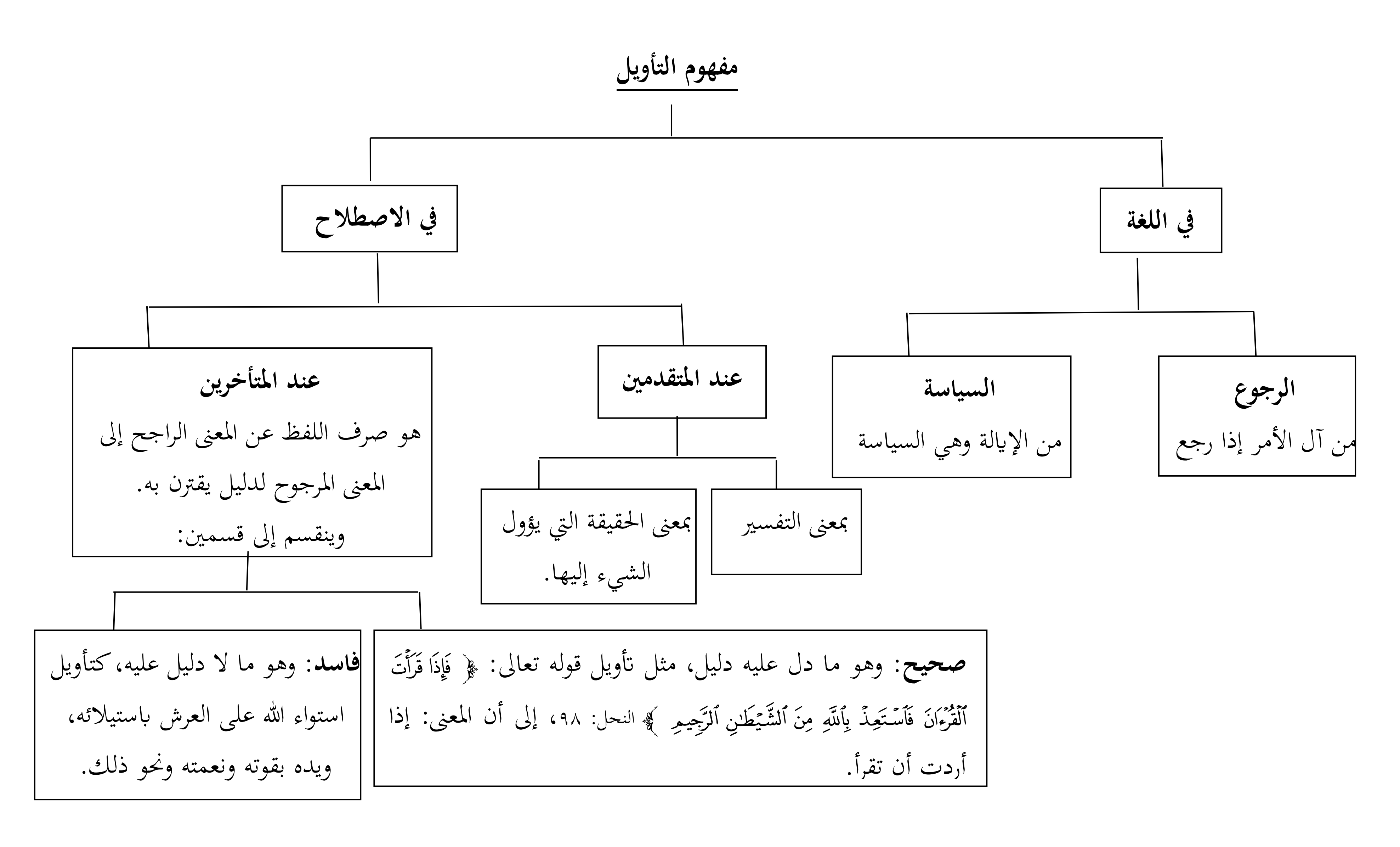
القرآن التي تحتمل عدة معان إلى معنى واحد اعتمادًا على الأدلة في ذلك.

الراجح: إن التفسير مرحلة متقدمة عن التأويل، فالتأويل فهم اللفظ وإدراك معناه بطرق التفسير المعتمدة.

والتأويل علم يفتح الله به على من يشاء من عباده، ويقوم على الملكة والتدبر وإعمال الفكر في مفهوم النص، وما يشير إليه، ويدل عليه، ولا يتم التأويل إلا بعد فهم اللفظ وتفسير معناه.

ويدل على هذا تفاوت الصحابة الكرام رضي الله عنهم في فهم معاني القرآن، فمنهم من كان يكتفي بالوقوف على ظاهر الآيات، ويقدم معناها القريب المتبادر للذهن، ومنهم من كان يتدبر فيها، ويقف على إشارتها، ويقدم المعنى البعيد اللطيف غير المتبادر للذهن.

وفي مقدمة الصحابة المؤولين للقرآن الكريم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بتعلم التأويل، فحاز لقب " ترجمان القرآن"، ويوضح ذلك التفاوت ما رواه البخاري في صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال ما تقولون في﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴾ النصر: ١ - ٢، حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: يا ابن عباس أكذلك قولك ؟ قلت: لا قال فما تقول ؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله له ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ النصر: ١، فتح مكة فذاك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ النصر: ٣، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.


مفهوم التأويل
في اللغة
الرجوع
من آل الأمر إذا رجع
السياسة
من الإيالة وهي السياسة
في الاصطلاح
عند المتقدمين
بمعنى التفسير
بمعنى الحقيقة التي يؤول الشيء إليها.
عند المتأخرين
هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به.
وينقسم إلى قسمين:
صحيح: وهو ما دل عليه دليل، مثل تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ النحل: ٩٨، إلى أن المعنى: إذا أردت أن تقرأ.
فاسد: وهو ما لا دليل عليه، كتأويل استواء الله على العرش باستيلائه، ويده بقوته ونعمته ونحو ذلك.

الفرق بين التأويل والتفسير

باعتبار مرتبة الدلالة
فالتفسير دلالته قطعية والتأويل دلالته ظنية.

باعتبار التعلق الظاهري للدلالة
فالتفسير بيان ظاهر اللفظ والتأويل بيان باطن اللفظ.

باعتبار صرف الآية عن ظاهرها وعدمه
فالتفسير فهم الآية على ظاهرها والتأويل صرف الآية عن ظاهرها لدليل.

باعتبار الرواية والدراية
فالتفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية.

باعتبار العموم والخصوص
فالتفسير أعم في الألفاظ والمفردات، والتأويل أخص لكثرة استعماله في المعاني والجمل.

باعتبار قرب المعنى وبعده
فالتفسير بيان المعنى القريب، والتأويل بيان المعنى البعيد.

باعتبار احتمال الآية لعدة معان
فالتفسير ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، والتأويل ما يحتمل أكثر من معنى.

ثانيًا: الاستنباط

الاستنباط في اللغة: الاستخراج، يقال: استنبطت الماء: استخرجته.

الاستنباط اصطلاحا: يطلق الاستنباط عند علماء التفسير على معنيين:

الأول: بمعنى الاستنباط الأصولي فيما يتعلق بالعلوم المستنبطة من القرآن الكريم ومنها أحكامه.

الثاني: بمعنى استخراج دلالة الآية على معنى في غير محل النطق، لازم له، أو هو استخراج ما خفي من النص بطريق صحيح.

الفرق بين التفسير والاستنباط:

أن التفسير مختص بمعرفة المعاني، والاستنباط مختص باستخراج ما وراء المعاني من الفوائد والأحكام الخفية.

مثال للتوضيح: قال ابن كثير: " وقوله: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ عبس: ١٦، أي: خلقهم كريم حسن شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد".

فالجملة الأولى من كلام ابن كثير تفسير، وقوله: "ومن هاهنا ينبغي... الخ" استنباط.

ثالثًا: التدبر

التدبر في اللغة: تدور مادة الكلمة حول أواخر الأمور وعواقبها وأدبارها، فالتدبر هو النظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه.

والتدبر اصطلاحا: هو تأمل القرآن بقصد الاتعاظ والامتثال.

الفرق بين التدبر والاستنباط:

١-التدبر أصل الاستنباط، فلا يمكن الاستنباط من النص قبل تدبره، والتأمل في معانيه.

٢-التدبر يعم العلماء وغيرهم، والاستنباط خاص بأولى العلم.

الفرق بين التدبر والتفسير:

١- التدبر لا يكون إلا بعد معرفة التفسير الصحيح للآية.

٢- أن التفسير في عمل المفسرين يشمل التدبر، فكتب التفسير مشتملة على الكثير من تدبر القرآن والحث عليه، وذكر ثمرات لتدبر القرآن الكريم.

٣- أن التدبر من أكبر مقاصد التفسير، وذلك لأن كثيرًا من آيات القرآن الكريم هي آيات عظة وعبرة، وبيان تلك العبر والعظات هو من التفسير قطعًا؛ لكونها بيان المراد من هذه الآيات.

٤- المقصود الأصلي للتفسير هو بيان معاني كلام الله تعالى، ومقصود التدبر هو الاتعاظ والاعتبار.

رابعًا: الهدايات

الهدايات لغة: جمع هداية وهي الدلالة والإرشاد.

والهدايات اصطلاحا: الجوانب المستفادة من الآية علميًا وعمليًا.

الفرق بين الهدايات والاستنباط والتدبر والتفسير:

١- التفسير أعم من الهدايات، فالهدايات جزء من التفسير ولا تتأتى الهدايات إلا بعد التفسير.

٢- الهدايات تعم الاستنباط والتدبر.

قائمة ببعض الكتب المفيدة في التدبر والاستنباط

كتب في الاستنباط

١- الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي

٢- منهج الاستنباط من القرآن الكريم لفهد بن مبارك الوهبي.

٣- الاستنباط عند المفسرين للدكتور محمد بن عمر بازمول.

كتب في الهدايات

١- الوافي في هدايات كلام الله الكافي لطه عابدين السوداني

كتب في التدبر

١- أول مرة أتدبر القرآن لعادل محمد خليل.

٢- نفائس التدبر لجمال بن إبراهيم القرش.

٣- منزلة التدبر لجمال بن إبراهيم القرش.

٤- رقائق القرآن لإبراهيم السكران.

٥- المعين على تدبر الكتاب المبين للدكتور محمد بن أحمد مكي.

٦- أفلا يتدبرون القرآن للدكتور ناصر العمر.

٧- منهج تدبر القرآن الكريم لحكمت بن بشير بن ياسين.

٨- مفهوم التدبر: تحرير وتأصيل، مركز تدبر للاستشارات.

٩- مفتاح تدبر القرآن والنجاح في الحياة للدكتور خالد بن عبدالكريم اللاحم.

المبحث الثالث: نشأة علم التفسير

فوائد دراسة نشأة علم التفسير "تاريخ التفسير"

١- التعرف على نشأة علم التفسير، وكيف كانت طريقة تعلمه وتعليمه.

٢- معرفة بدايات تدوينه، وتدرج التأليف فيه، وكيف تكونت هذه التفاسير الكبيرة.

٣- معرفة معالم مهمة من مناهج المفسرين.

٤- معرفة أئمة المفسرين ومراتبهم، وتنوع عناياتهم في التفسير.

٥- معرفة أسباب شهرة التفاسير المشتهرة، ومصادر استمدادها، وأقوال النقاد فيها، وما امتازت به من جوانب الإجادة والإحسان، وما أخذ على بعضها من جوانب الضعف والتقصير.

٦- إدراك جملة من أصول التفسير وعلله.

٧- التعرف على المصادر الأصلية والبديلة لأقوال السلف في التفسير، وأقوال اللغويين، ومظان جمعها ونقدها، وتحريرها.

٨- معرفة أسباب انتشار بعض الروايات المعلولة، والأقوال الضعيفة، وبدع التفسير، وما بذله العلماء في نقدها وردها.

المراحل التي مر بها علم التفسير

مرحلة ما قبل التدوين

"الرواية والتلقي" وتشمل:

١- التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم

٣- التفسير في عهد التابعين

٤- التفسير في عهد أتباع التابعين.

مرحلة التدوين

وتشمل:

١- تدوين التفسير باعتباره بابًا من أبواب السنة

٢- تدوين التفسير مستقلًا بالتأليف

٣- تدوين التفسير مع حذف الأسانيد

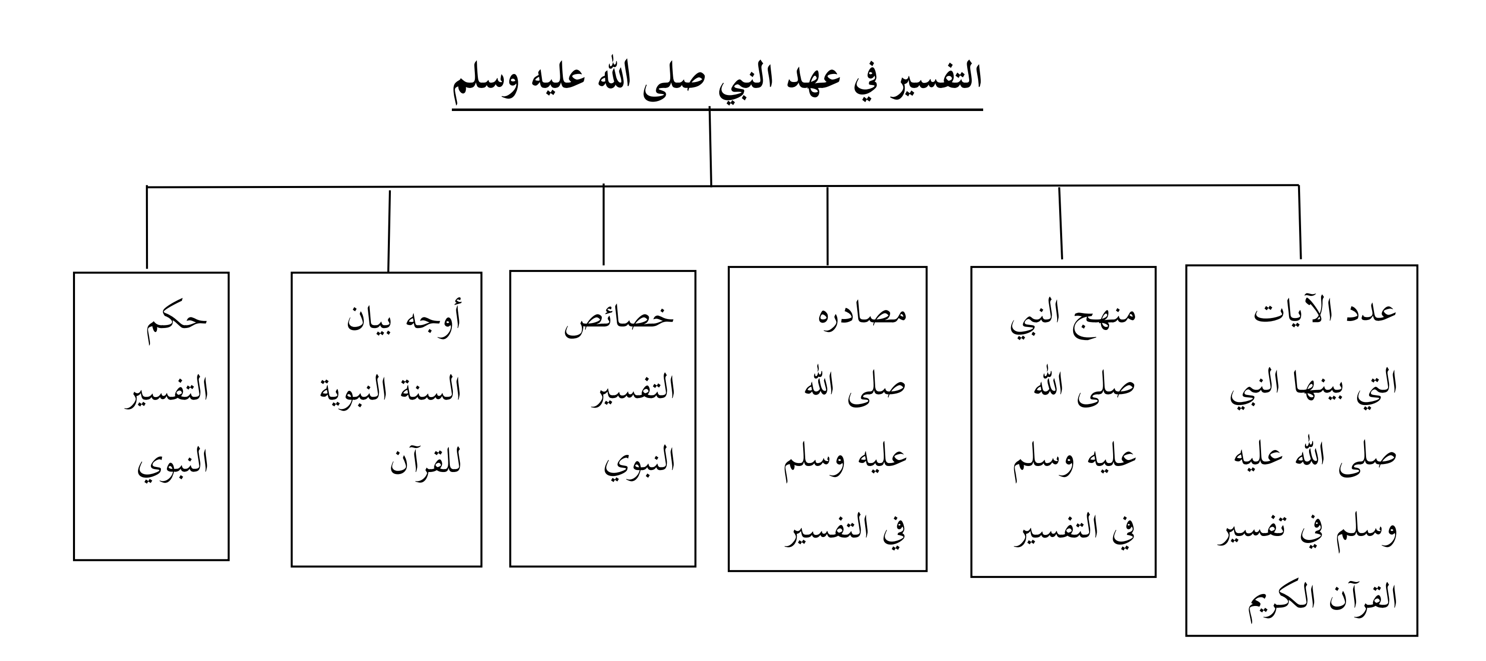
٤- تدوين التفسير بالرأي المحض

٥- التفسير في العصر الحديث

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل التدوين

أولًا: التفسير في عهد النبي صلى الله عليه وسلم

أنزل الله كتابه الكريم بلغة العرب وعلى أساليبهم في كلامهم، جرياً على سنة الله تعالى في إرسال الرسل، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبلغه للناس بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ المائدة: ٦٧، وحدد وظيفة نبيه صلى الله عليه وسلم ببيان ما أنزل إليه للناس بقوله: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ النحل: ٤٤، وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأداء أمانته كاملة، فبلغ ما أنزل عليه وبينه للناس، فوضح أحكامه، وبين حلاله وحرامه، وفسر ما أشكل من آياته، وخصص عامه، وقيد مطلقه، وبين مجمله، ولقد كانت حياته صلى الله عليه وسلم تفسيرًا عمليًا وترجمة واقعية للقرآن الكريم، فقد كان صلى الله عليه وسلم يتعايش معه في جميع أحواله، كما تحدثنا عن ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خلقه القرآن، رواه البخاري.



أولًا: عدد الآيات التي بينها النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن الكريم

اختلف العلماء في مقدار ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن، هل فسره كله جملة وتفصيلا؛ بحيث لا نجد حاجة إلى من بعده مما يدخل تحت التفسير، أم أنه فسر الكثير منه؟ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، وهذا قول ابن تيمية وغيره حيث قال: "يجب أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل: ٤٤، يتناول هذا وهذا، واستدلوا بأدلة منها:

١- قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ النحل: ٤٤، والبيان يتناول الألفاظ والمعاني، وكما بين ألفاظه كلها، فقد بين معانيه كلها.

٢- حديث أبي عبدالرحمن السلمي: «حدثنا الذين كانوا يقرئونا: أنهم كانوا يستقرئون القرآن من النبي صلّى الله عليه وسلّم، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا» رواه الطبراني وصحح إسناده العلامة أحمد شاكر.

٣- حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: "كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدَّ فينا"، رواه الإمام أحمد، وما ورد أن ابن عمر رضي الله عنه أقام على حفظ البقرة عدة سنين، قيل: ثمان سنين. ذكره مالك في الموطأ، قالوا: ولو كان المراد مجرد الحفظ لما احتاج إلا لزمن يسير، فدل هذا على أنَّ المراد فهم المعاني.

٤- قالوا: إنَّ كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه، دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى، والعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابًا في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم.

القول الثاني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين لأصحابه إلا القليل من معاني الآيات، واستدلوا بأدلة منها:

١-ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن إلا آيًا بعدد علمه إياهن جبريل عليه السلام، رواه البزار والطبري في تفسيره وهو حديث منكر.

٢-قالوا: إن الله لم يأمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالنص على المراد في الآيات كلها؛ لأجل أن يتفكر عباده في كتابه، والعلم بالمراد فيما لم ينص على معناه يستنبط بأمارات ودلائل.

٣-لو بين الرسول صلى الله عليه وسلم كل معاني القرآن لما كان لدعائه لابن عباس رضي الله عنهما" اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل، فائدة؛ لأن الناس على حد سواء في تأويله، فكيف يخص ابن عباس رضي الله عنهما بهذا الدعاء.

القول الثالث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه أكثر معاني القرآن الكريم، ويدل على ذلك ما يلي:

١- لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسر القرآن الكريم لفظة لفظة وآية آية، أو أنه بين كل أسراره العلمية، ودقائقه اللغوية والبيانية.

٢- لم يبين النبي صلى الله عليه وسلم القرآن لغويًا؛ لعدم الحاجة في زمانه، ولم يرو أنهم سألوه عن معنى لفظة من القرآن لغويًا؛ لأنهم كانوا عارفين بمعاني ألفاظه التي يتكلمون بها ونزل بها القرآن الكريم.

٣- لم يفسر النبي صلى الله عليه وسلم المتشابهات، ولم يسأله الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنهم كانوا عارفين بمقدار ما كلفوا بمعرفته منها.

٤- القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر من القرآن إلا القليل قول بلا تحقيق؛ إذ أن تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن كما يشمل أقواله، فإنه يشمل أفعاله، وفيها تفسير الكثير من آيات القرآن الكريم، فالسنة كلها بيان للقرآن، يقول الشافعي رحمه الله: "جميع السنة شارحة للقرآن"، وقال رحمه الله: "كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن".

الراجح:

القول الثالث هو الراجح؛ وذلك للأدلة الآتية:

١- من الآيات ما يرجع فهمها إلى معرفة كلام العرب، والقرآن نزل بلغتهم ومثل هذا لا يحتاج إلى بيان.

٢- من الآيات ما يتبادر فهمه إلى الأذهان؛ لظهوره وبيانه فلا يحتاج إلى بيان مثل:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ ﴾ النساء: ٢٣، فالمتبادر تحريم الوطء، ولا يتبادر إلى الذهن غيره.

٣- ومن الآيات ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وحقيقة الروح وغير ذلك من الأمور الغيبية التي لم يطلع الله عليها نبيه صلى الله عليه وسلم، فكيف يبينها لأصحابه وهو لا يعلمها.

٤- من الآيات ما لا فائدة في معرفة أكثر من معناها المتبادر، ولا طائل من معرفة ما وراء ذلك مثل: معرفة لون كلب أصحاب الكهف.

٥- وجود كثير من الآثار المرفوعة القولية والفعلية التي تفسر كثير من آيات القرآن الكريم، وكذلك السنة التقريرية.

ثانيًا: منهج النبي صلى الله عليه وسلم في التفسير

١- لم يفسر النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كله سورة سورة، وآية آية، وإنما بين ما أمر ببيانه من الوحي الذي نزل عليه: تفصيلًا لمجمل، أو تقييدًا لمطلق، أو تخصيصًا لعام، أو تعريفًا لمبهم، أو دفعًا لإيهام، ونحو ذلك.

٢- فسر النبي صلى الله عليه وسلم ما خفي على الصحابة رضي الله عنهم من المعاني التي لا يمكن التوصل إليها باللغة والاجتهاد، مثل معنى كلمة "الكوثر" و" يومئذ تحدث أخبارها".

٣- كان تفسيره صلى الله عليه وسلم سهلا واضحا بعبارات بليغة وجيزة دون استطراد إلى ما لا صلة له بالتفسير.

ثالثًا: مصادره صلى الله عليه وسلم في التفسير

أما عن مصادره صلى الله عليه وسلم في التفسير، فقد اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم في تفسيره على القرآن الكريم كونه المصدر الأول في التفسير، كما اعتمد على تفسير القرآن بالسنة التي أنزلها الله عز وجل بيانا للقرآن، واعتمد أيضًا على فهمه الواسع للغة، واجتهاده فيما لا وحي فيه.

رابعًا: خصائص التفسير النبوي

مما ينبغي أن يعلم أن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم له خصائص امتاز بها عن غيره من التفاسير، ومن هذه الخصائص:

١-تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن واجب القبول بالشروط المعتبرة لقبول الحديث،

وهي صحة الإسناد، وسلامة الحديث من الشذوذ والعلة القادحة، فإذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجز لأحد مخالفته.

٢-أنه تفسير معصوم من الخطأ ابتداءً وإقرارًا، فكل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن فهو حجة لا خطأ فيه، والنبي صلى الله عليه وسلم قد يجتهد في التفسير كما يجتهد في سائر الأحكام لكنه معصوم من أن يقر على خطأ في بيان ما أنزل الله إليه.

خامسًا: أوجه بيان السنة النبوية للقرآن

السنة النبوية هي المصدر الثاني من مصادر التفسير ولقد جاءت مبينة للقرآن الكريم، ومن أوجه بيانها:

١- **بيان المجمل**: مثل بيانه صلى الله عليه وسلم لمواقيت الصلاة وعدد ركعاتها وكيفيتها، وبيانه لمقادير الزكاة ومناسك الحج تفصيلًا، فصلاته صلى الله عليه وسلم وتطبيقه لها هو تفسير لقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ البقرة: ١١٠.

٢- **توضيح المشكل**: فلقد أشكلت بعض الآيات على الصحابة رضي الله عنهم فوضحها لهم صلى الله عليه وسلم، ومثاله ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: لما قدمت نجران سألوني، فقالوا: إنكم تقرؤون:﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ ﴾ مريم: ٢٨، وموسى قبل عيسى بكذا وكذا، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك، فقال: "**إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم**".

٣- **تخصيص العام**: وذلك كتخصيص الظلم بالشرك، وهو أعظم أنواعه، فلقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن الظلم المشار إليه في قوله تعالى:﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ** ﴾ الأنعام: ٨٢، ليس على عمومه، إنما هو نوع منه وهو الشرك، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ لقمان: ١٣.

٤- **تقييد المطلق**: من ذلك تقييد اليد التي تقطع في حد السرقة باليمنى، فقد وردت في القرآن على إطلاقها وقيدتها السنة باليمنى، فتقطع الكف منها، قال تعالى:﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا** ﴾ المائدة: ٣٨، وقيدتها السنة بقطع الكف.

روى الطبري في تفسيره بسنده عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: سرقت امرأة حليًا،

فجاء الذين سرقتهم فقالوا: يا رسول الله، سرقتنا هذه المرأة! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**اقطعوا يدها اليمنى**"، فقالت المرأة: هل من توبة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنت اليوم من خطيئتك كيوم ولدتك أمك! قال: فأنزل الله جل وعز: ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِ ﴾المائدة: ٣٩.

٥- **بيان النسخ**: بأن تبين السنة النبوية أن آية كذا منسوخة بآية كذا، من ذلك نسخ آيات المواريث لآية الوصية للوارث، روى الترمذي في السنن عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته عام حجة الوداع: «**إن الله تبارك وتعالى قد أعطى لكل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث**»، فقد نسخت آيات المواريث آية الوصية.

٦- **بيان المبهم**: مثل تفسيره صلى الله عليه وسلم " القوة" من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ ﴾ الأنفال: ٦٠ بالرمي، وتفسيره " المغضوب عليهم" باليهود، و"الضالين" بالنصارى.

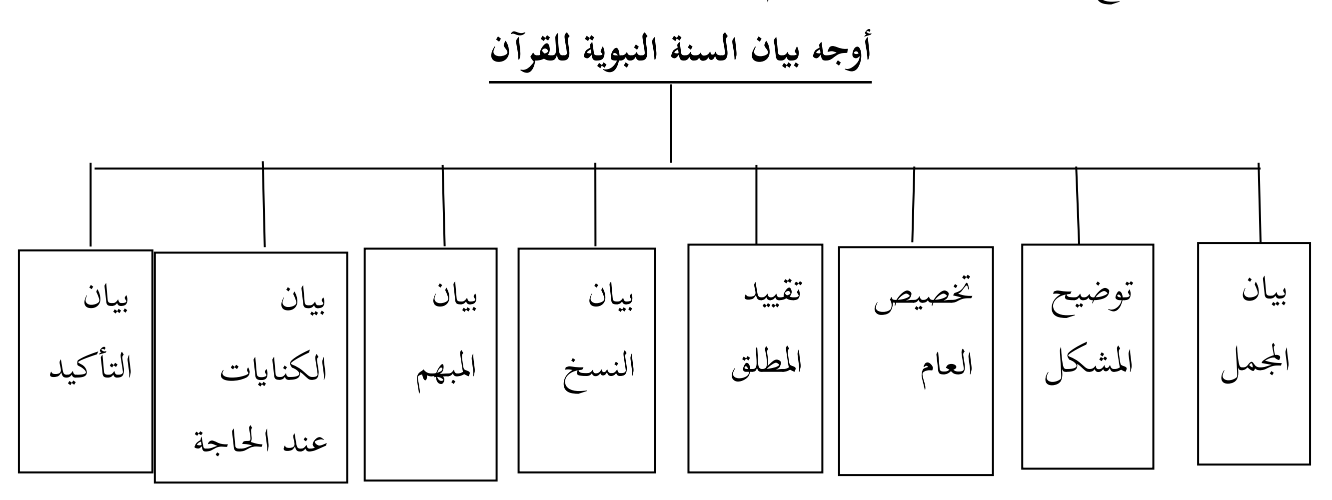
٧- **بيان الكنايات عند الحاجة**: فقد أخرج البخاري عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود أهما خيطان؟ قال: «**إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين**»، ثم قال: «**لا بل هو سواد الليل وبياض النهار**».

٨- بيان التأكيد: فقد جاءت السنة مؤكدة ومقررة لما ورد في القرآن من أحكام وحكم وقصص وأخبار ومواعظ، كقوله صلى الله عليه وسلم: "**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه**" فإنه يوافق قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ البقرة: ١٨٨.

سادسًا: حكم التفسير النبوي

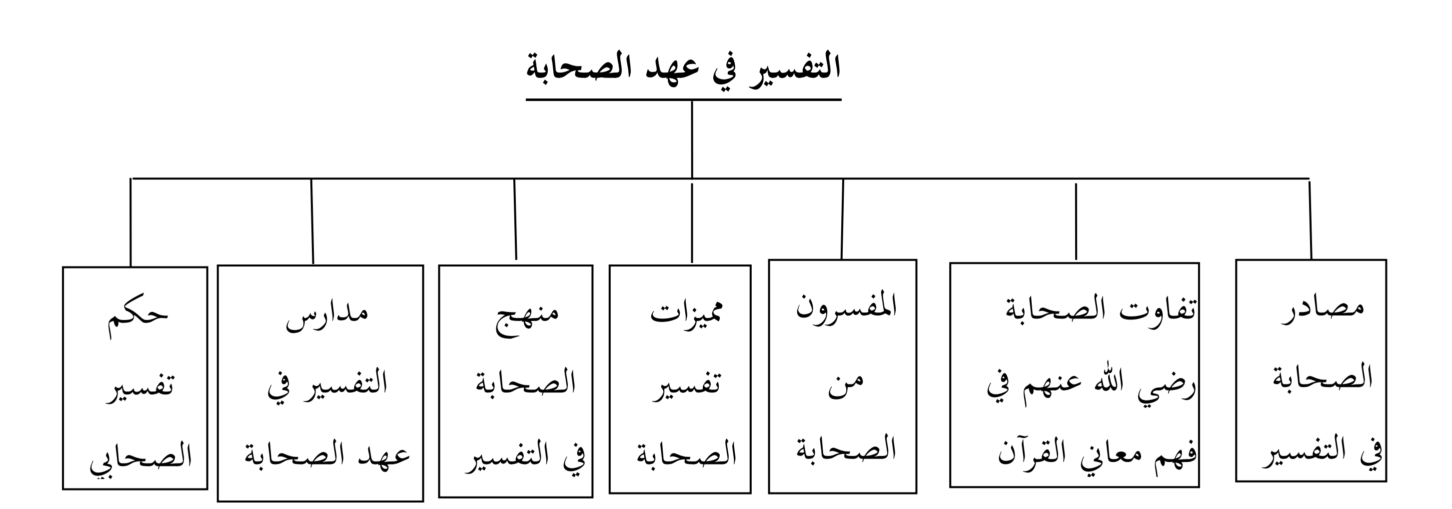
إذا صح إسناده، وجب قبوله، وتحرم مخالفته.

أوجه بيان السنة النبوية للقرآن



ثانيًا: التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم

كان الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يرجعون إليه في فهم ما يريدون فهمه من القرآن الكريم، ولم يستقلوا في عهده صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد، فلم يكونوا بحاجة إلى الاجتهاد، وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم شرعوا ببيان ما يحتاج إليه الناس، لا سيما أن المجتمع الإسلامي قد تطور عما سبق، فدخل في الإسلام أبناء الأمم التي فتحت أمصارها، واختلط العرب بغيرهم، واستجدت أحداث لم تكن، والأصحاب أدرى الناس بتفسير القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكونوا جميعًا على مستوى عقلي واحد في القدرة على استنباط الأحكام، واستبيان الأسرار، واستجلاء دقائق المعاني.



أولًا: مصادر الصحابة في التفسير

١- **القرآن الكريم**: فكانوا يفسرون القرآن بعضه ببعض، وشاهد ذلك كثيرة، مثاله ما جاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴾ غافر: ١١، قال: "كنتم ترابًا قبل أن يخلقكم، فهذه ميتة، ثم أحياكم فخلقكم، فهذه إحياءة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور، فهذه ميتة أخرى، ثم يبعثكم يوم القيامة، فهذه إحياءة، فهما ميتتان وحياتان"، رواه الطبري، واستدل ابن عباس رضي الله عنهما على ذلك بقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ البقرة: ٢٨.

٢- **السنة النبوية**: فقد عايشوها وكانوا حافظين لها بفضل صحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، فتلقوا ما بينه لهم، كما عايشوا التنزيل، ووقفوا على أسبابه، وأدركوا ناسخه ومنسوخه بما بينه لهم.

وتفسيرهم للقرآن بالسنة النبوية يجري على وجوه، فقد يكون بالسنة القولية، ويصرح بنسبة التفسير إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون بالسنة العملية، وقد يكون بما له حكم المرفوع، وكل ما قالوه في أسباب النزول له حكم المرفوع؛ لأنه لا يجري فيه اجتهاد، ولا يدخل في بابه، وكذا ما كان من أخبار الغيب إذا لم ينقله عن أهل الكتاب، ومثاله ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا ﴾ آل عمران: ١٨٨، قال: "نزلت في أهل الكتاب حين سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، وأروه أنهم أخبروه بما سألهم النبي صلى الله عليه وسلم عنه، واستحمدوا إليه بذلك"، رواه الطبري، ومن الأمثلة كذلك ما رواه البخاري رحمه الله عن أبي عبيدة قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ الكوثر:١، قالت: "هو نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم".

٣- **اللغة العربية**: وهي من المصادر المهمة في تفسير الصحابة، فإذا أشكل لفظ أو أبهم عليهم كلام رجعوا إلى لسان العرب: شعره ونثره، فيستشهدون على المعنى المراد، ويرشدون غيرهم إلى الرجوع إلى لغة العرب ولسانهم، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عن ابن عباس رضي

الله عنهما في قصته مع نافع بن الأزرق، ونجدة بن عويمر، حين سألوه عن قوله تعالى: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ المائدة: ٣٥، فقال: "الوسيلة: الحاجة، قالوا: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة إن يأخذوك، تكحلي وتخضبي

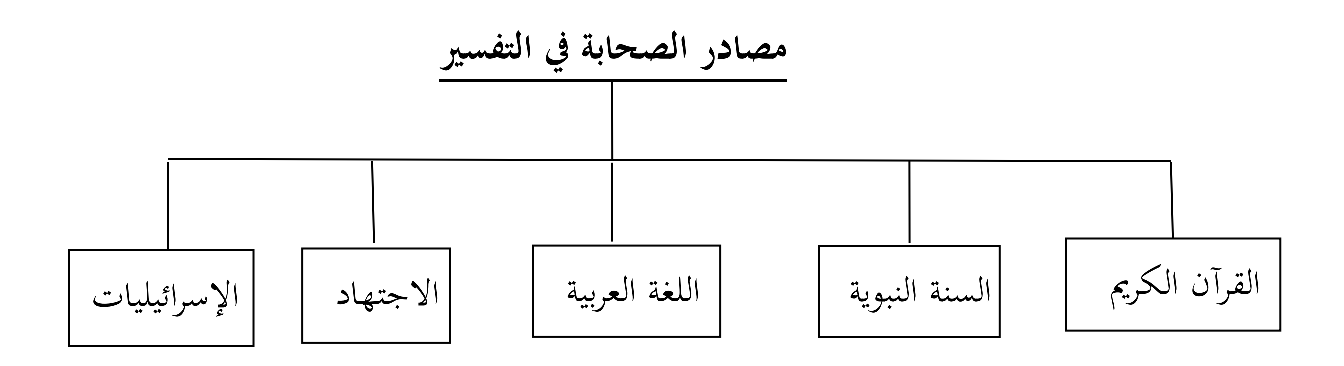
٤- **الاجتهاد**: فإذا لم يجدوا تفسيرا للقرآن في القرآن أو في السنة اجتهدوا في ضوء ضوابط الشرع وقواعد التفسير، ومقتضى اللغة التي نزل بها القرآن الكريم يساعدهم في ذلك: حدة ذكائهم، وصفاء عقائدهم، وقوة بيانهم، وسلامة لغتهم، ومعرفتهم بظروف التنزيل، وملابساته، غير أنهم لم يتوسعوا في استعماله كثيرًا؛ لعدم وجود ما يدعو إلى التوسع فيه؛ لأن الحياة لم تتغير كثيرًا بعد، ومن الأمثلة على ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سئل عن الكلالة: "أقول فيها برأيي فإن كان صوابًا فمن الله، وهو ما دون الولد والوالد" رواه الطبري.

٥- **الإسرائيليات**: ولم يأخذوا بها فيما فيه عمل مطلوب أو عقيدة تتبع، وإنما كان فيما هو من قبيل تفصيل الموجز القصصي الذي ورد في القرآن فحسب، بعد أن علموا تجويزه لهم من الرسول صلى الله عليه وسلم دون أن يحكموا عليه بتصديق أو تكذيب، مع كونه لا يخالف ما جاء به شرعنا.

ومن الأمثلة على ذلك ما رواه الطبري بسنده عن الحسن بن الفرات عن أبيه قال: كتب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أبي الجلد ــوهو جيلان بن أبي فروة صاحب كتب التوراةــ يسأله عن الرعد، فقال: الرعد الريح".

ومن الدارسين من لا يعد هذا المصدر من مصادر التفسير لدى الصحابة؛ لأنهم لا يفسرون بها القرآن الكريم، وإنما يستأنسون بها للاطلاع فقط.

مصادر الصحابة في التفسير



ثانيًا: تفاوت الصحابة رضي الله عنهم في فهم معاني القرآن الكريم

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم على درجة واحدة في فهم معاني القرآن الكريم، بل كانوا على درجات متفاوتة، ويرجع هذا التفاوت لعدة أسباب أهمها:

١- تفاوتهم في ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم، وحضور مجلسه.

٢- تفاوتهم في طلب العلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- تفاوتهم في معرفة دقائق اللغة العربية، وفهم أساليبها.

٤- تفاوتهم في المدارك العقلية.

٥- تفاوتهم في معرفة أسباب النزول.

٦- تنوع اهتمامات الصحابة، فمنهم من عني بالتفسير، ومنهم من عني بمسائل الحلال والحرام، ومنهم من برع في الفرائض.

ثالثًا: المفسرون من الصحابة

اشتهر عدد من الصحابة بالتفسير هم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن الزبير، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم أجمعين، وهؤلاء هم الذين اشتهروا بالتفسير، وهناك عدد آخر من الصحابة نقل عنهم التفسير نقلًا قليلًا لم يصل بهم إلى درجة الشهرة، ومنهم: أنس بن مالك، وأبو هريرة، وابن عمر، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

أما أكثر الصحابة رضي الله عنهم رواية في التفسير فأربعة هم: علي بن أبي طالب، عبدالله بن مسعود، عبدالله بن عباس، أبي بن كعب، أما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيرجع السبب في ذلك إلى سعة علمه، وتفرغه عن مهام الخلافة مدة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، وتأخر وفاته إلى زمن كثرت حاجة الناس فيه إلى من يفسر لهم القرآن.

أما الثلاثة الباقون فلأنهم أنشأوا ما نستطيع أن نسميه بالمصطلح الحديث "مدارس التفسير".

رابعًا: مميزات تفسير الصحابة

١- أن القرآن لم يفسر كله في عصر الصحابة، وإنما فسروا ما تدعو الحاجة إليه.

٢- لم يدون من التفسير في هذا العصر شيء.

٣- كان التفسير متسما بالوضوح، وعدم التعقيد، فكانوا يكتفون بالمعاني الإجمالية غالبًا.

٤- خلوه من نزعات التعصب المذهبي، والاختلاف العقائدي.

٥- قلة الأخذ بالإسرائيليات.

٦- كان الاختلاف بينهم في التفسير قليلًا جدًا.

٧- لم يأخذ الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية من الآيات القرآنية المنحنى الافتراضي، وإنما كان يمثل حلولا لوقائع فعلية.

٨- يعد من أحسن طرق التفسير بعد تفسير القرآن الكريم بالقرآن، ثم تفسير القرآن بالسنة.

خامسًا: منهج الصحابة في التفسير

١- لم يفسر الصحابة رضي الله عنهم القرآن كله سورة سورة، وآية آية.

٢- وضوح التفسير وعدم التعقيد.

٣- اعتمادهم في التفسير على القرآن الكريم، والسنة النبوية، واللغة، والرأي والاجتهاد.

٤- قلة الخلاف في التفسير.

سادسًا: مدارس التفسير في عهد الصحابة

اشتهرت في عصر الصحابة رضي الله عنهم عدة مدارس في التفسير، وأهم تلك المدارس هي:

١- مدرسة مكة: وأستاذها عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

٢- مدرسة المدينة: وأساتذتها علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب رضي الله عنهما.

٣- مدرسة العراق: وأستاذها عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

٤- مدرسة الشام: وأساتذتها أبو الدرداء، وتميم الداري رضي الله عنهما.

٥- مدرسة مصر: وأستاذها عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

٦- مدرسة اليمن: وأساتذتها معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري رضي الله عنهما.

سابعًا: حكم تفسير الصحابة رضي الله عنهم

ذكر بعض العلماء أن قول الصحابي في التفسير له حكم المرفوع، لكن هذا القول لا يقبل على إطلاقه، والصواب أن تفسير الصحابي له أقسام، وكل قسم له حكم خاص، وهذه الأقسام هي:

١- ما له حكم الرفع، وهذا يشمل: أسباب النزول، والإخبار عن المغيبات، وحكم هذا القبول إذا صح الخبر فيه، وسبب ذلك أن هذا لا مجال للاجتهاد فيه، ويلحق بهذا ما أجمع عليه الصحابة؛ لأن الإجماع حجة، فيكون بقوة المرفوع، وقد وضع العلماء قيدا في الغيبيات هو: أن لا يكون المفسر مشهورًا بالأخذ عن بني إسرائيل، إذا كان في القول المذكور شبهة الخبر الإسرائيلي.

٢- ما رجعوا فيه إلى لغتهم، وحكم هذا القبول كذلك؛ لأنهم هم أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وهم أعلم بلغتهم من غيرهم.

٣- ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، وهذا له حكم الإسرائيليات.

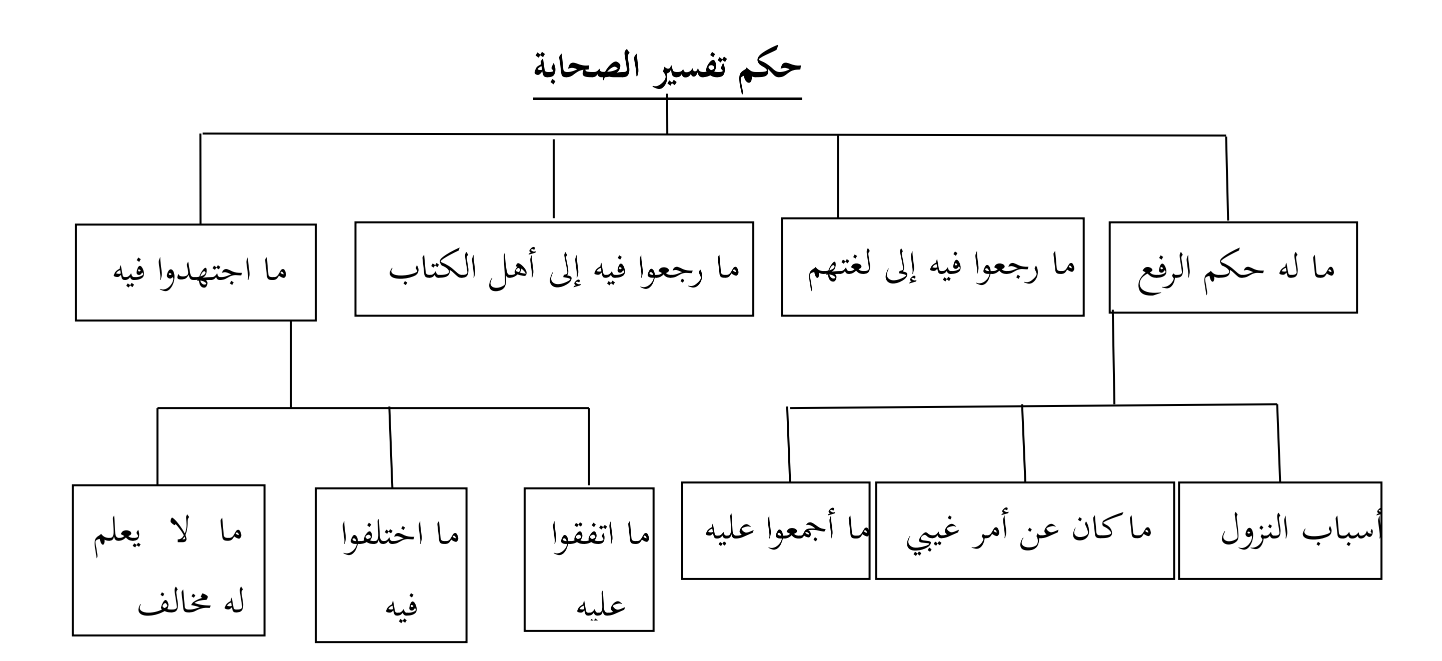
٤- ما اجتهدوا فيه، وهذا فيه تفصيل:

أ- أن يتوافق اجتهادهم، فيكون حجة.

ب- أن يختلف اجتهادهم، فيرجح بين أقوالهم بأحد المرجحات.

ت- أن لا يرد إلا عن أحدهم، ولا يعلم له مخالف، وهذا الأخذ به أولى، خاصة إذا حفت به قرائن القبول؛ كأن يكون قول مشهور منهم بالتفسير كـ: علي بن أبي طالب، وابن مسعود، وابن عباس، أو قبله من جاء بعدهم وأخذ به، أو غيرها من القرائن.

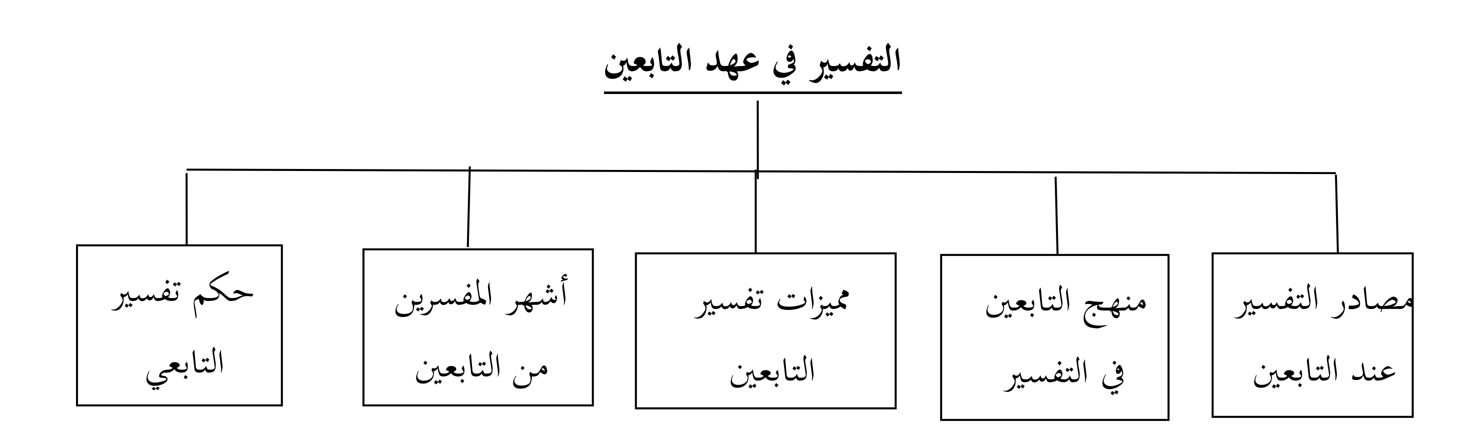
حكم تفسير الصحابة



ثالثًا: التفسير عند التابعين

بعد أن اتسعت رقعة الإسلام، وامتدت دولته شرقًا وغربًا، دخل الناس من أهل البلدان المفتوحة في الدين الإسلامي، وابتعد الناس عن عصر الفصاحة، وضعف الملكة اللغوية لدى كثير من الناس بسبب اختلاطهم بالعجم، وظهرت الحاجة أكثر من قبل إلى التفسير، بسبب غموض الكثير من دقائق القرآن ومعانيه عليهم، كما استجدت أحداث ووقائع تدفع إلى معرفة أحكامها، مما دفع الناس إلى اللجوء إلى علمائهم للوقوف على فهم ما أشكل عليهم من القرآن واستبيان أحكام ما استجد.

فكان علماء التابعين الذين تلقوا عن هؤلاء الأصحاب علمهم بكتاب الله يبينون للناس ما يحتاجون إليه من تفسير القرآن، واستنباط أحكامه، وحكمه، والتزمت طائفة منهم التفسير، وانتصرت له واشتهر به، فوجدت في العالم الإسلامي مدارس تفسيرية كبرى هي امتداد لمدارس الصحابة رضي الله عنهم، ولكل مدرسة منها منهجيتها في الأصول والاستنباط، متأثرة كل مدرسة بمن حل فيها من الصحابة الكرام ممن لهم مكانتهم في التفسير .



أولًا مصادر التفسير عند التابعين

مصادر التابعين في التفسير هي مصادر الصحابة نفسها، إلا أنهم يزيدون عليها مصدرًا هو: الصحابة، وهذه المصادر كالآتي:

١- القرآن الكريم ٢ - السنة النبوية ٣- أقوال الصحابة ٤- اللغة العربية

٥- أهل الكتاب ٦- الفهم والاجتهاد.

ثانيًا: منهج التابعين في التفسير

يشترك التابعون رحمهم الله تعالى مع الصحابة رضي الله عنهم في أسس التفسير، إلا أنه جد لديهم أسس أخرى؛ نظرا لتلقيهم التفسير عن الصحابة، واتساع الفتوحات الإسلامية، فمنهج التابعين رحمهم الله يقوم على :

١- تفسر القرآن بالقرآن.

٢- تفسير القرآن بالسنة النبوية .

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة، فالتابعين رحمهم الله تعالى كانوا يرجعون إلى تفسير الصحابة رضي الله عنهم، ويقدمونه على أقوالهم، وهم الذين تلقوا التفسير عن الصحابة وعرضوه عليهم.

٤- الفهم والاجتهاد، فإن لم يجد التابعون التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة اجتهدوا، فهم أهل الاجتهاد.

٥- أقوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى .

ثالثًا: مميزات تفسير التابعين

١- دخل التفسير كثير من الإسرائيليات؛ لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام .

٢- ظل التفسير على العموم محتفظا بطابع التلقي والرواية.

٣- مع كون التفسير متسما بالرواية في عهد التابعين إلا أنه غلب عليه طابع التخصص، فأهل كل مصر يعنون بالرواية عن إمام مصرهم .

٤- ظهرت في هذا العصر نواة الخلاف المذهبي .

٥- زيادة الخلافات التفسيرية عما كانت عليه في عصر الصحابة.

خامسًا: حكم تفسير التابعين

اختلف العلماء في حكم الرجوع إلى تفسير التابعين للآيات إذا لم يرد تفسير لها عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن أحد الصحابة، فقالت طائفة منهم ابن عقيل ورواية عن الإمام أحمد وشعبة بن الحجاج إنه لا يجب الأخذ به، وقالت طائفة وهم أكثر المفسرين ورواية أخرى عن الإمام أحمد: إنه يؤخذ بقول التابعين في التفسير إذا لم نجد تفسيرها في السنة أو في أقوال الصحابة .

والراجح: لا يحكم على تفسير التابعي بالعموم من حيث القبول أو الرد، وإنما في ذلك تفصيل على النحو الآتي:

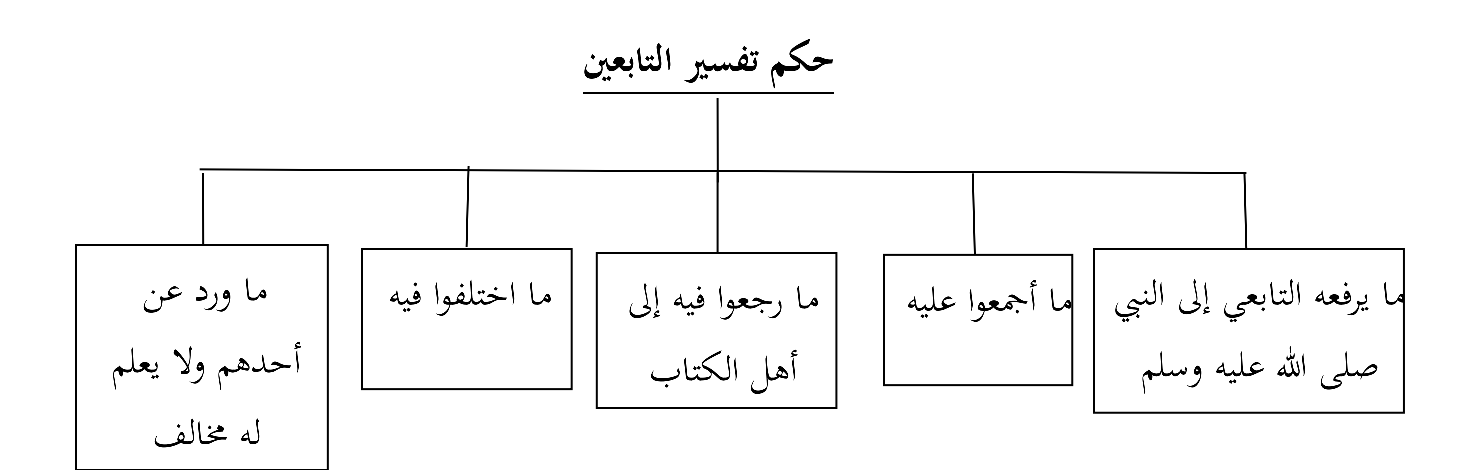
١- ما يرفعه التابعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يشمل أسباب النزول، والمغيبات، فهذا القسم لا يقبل؛ لأنه من قبيل المراسيل، والمراسيل لا تقبل في حالة الانفراد.

٢- ما أجمعوا عليه، وهذا يكون حجة.

٣- ما رجعوا فيه إلى أهل الكتاب، وهذا له حكم الإسرائيليات .

٤- ما اختلفوا فيه، وهذا القسم لا يكون قول أحدهم حجة على الآخر، وإنما يعمل هنا بالمرجحات .

٥- أن يرد عن أحدهم قول ولا يعلم له مخالف، وهذا أقل رتبة من الوارد عن الصحابة إذا لم يعلم له مخالف، لكنه أعلى من قول من تأخر عنهم.



رابعًا: أشهر المفسرين من التابعين

في مدرسة مكة

١- مجاهد بن جبر
٢- عكرمة مولى ابن عباس
٣- سعيد بن جبير
٤- عطاء بن أبي رباح

في مدرسة المدينة

١- زيد بن أسلم
٢- أبو العالية
٣- محمد بن كعب القرظي

في مدرسة العراق

١- مسروق بن الأجدع
٢- قتادة بن دعامة السدوسي
٣- الحسن البصري
٤- مرة الهمداني
٥- الضحاك بن مزاحم
٦- علقمة بن قيس
٧- الأسود بن يزيد
٨- عامر بن شراحيل الشعبي.

في مدرسة الشام

١- عبدالرحمن بن غنم الأشعري
٢- عمر بن عبدالعزيز بن مروان
٣- رجاء بن حيوة الكندي
٤- كعب الأحبار

في مدرسة اليمن

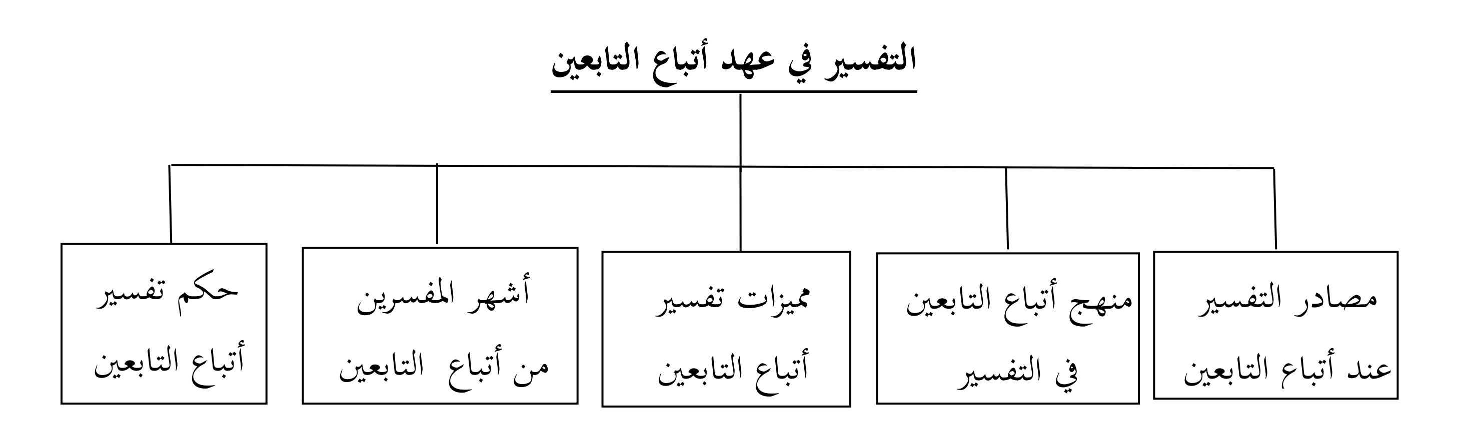
١- طاووس بن كيسان اليماني
٢- وهب بن منبه الصنعاني

في مدرسة مصر

١- يزيد بن أبي حبيب
٢- أبو الخير مرثد بن عبدالله اليزني

رابعًا: التفسير في عهد أتباع التابعين

أتباع التابعين هم الذين شافهوا التابعين وتتلمذوا على أيديهم، أما عصرهم فهو القرن الثاني الهجري، ويصعب تحديد طبقتهم بالسنين؛ نظرا لتداخلهم مع طبقة التابعين، ولكن بالإمكان تحديد طبقة مفسريهم بأنها ما كانت وفياتهم بين عامي (١٤٠هـ و٢٠٠هـ)، وهذا من خلال تتبع أعلام مفسريهم الذين وردت أقوالهم عند أئمة نقلة التفسير.



أولًا: مصادر التفسير عند أتباع التابعين

مصادر أتباع التابعين هي نفسها مصادر التابعين بإضافة أقوال التابعين؛ لأنهم أخذوا التفسير عنهم، وعلى أيديهم تتلمذوا.

١- القرآن الكريم ٢- السنة النبوية ٣- اللغة العربية ٤- أقوال الصحابة رضي الله عنهم ٥- أقوال التابعين رحمهم الله ٦- أقوال أهل الكتاب "الإسرائيليات" ٧-الفهم والاجتهاد.

ثانيًا: منهج أتباع التابعين في التفسير

يشترك أتباع التابعين رحمهم الله تعالى مع التابعين في أسس التفسير، إلا أنهم توسعوا في الجانب اللغوي، وتوسعوا كذلك في الإسرائيليات، فكان منهجهم في التفسير يقوم على: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة النبوية، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين، والتوسع في الجانب اللغوي، والإسرائيليات، وإعمال الاجتهاد والنظر فيما لم ينقل تفسيره عمن سبق.

ثالثًا: مميزات تفسير أتباع التابعين

١- كونه في عصر السلف وقرون الخيرية.

٢- أنه امتداد لتفسير الصحابة والتابعين .

٣- أنه شهد عصر الاحتجاج اللغوي، ونشأة علوم اللغة، وتدوين مفرداتها.

٤- تطور التفسير وتوسعه في عهدهم.

٥- التوسع في التفسير اللغوي.

٦- التوسع في رواية الإسرائيليات .

٧- بدأ تدوين التفسير في هذا العصر .

رابعًا: حكم تفسير أتباع التابعين

ما قيل عن حكم تفسير التابعين يقال عن تفسير أتباع التابعين، إلا ما يرفعه تابع التابعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيصح أن يقال له مرسل، ويصح أن يقال له معضل، ومع ذلك فإنه لا يقبل لضعفه خاصة إذا انفرد ولم يكن له متابع.

خامسًا: أشهر المفسرين من أتباع التابعين

من اشتهر بالرواية

١-سعيد بن أبي عروبة ت ١٥٦هـ
٢-وكيع بن الجراح ت ١٩٧هـ
٣-يزيد بن هارون ت ٢٠٦هـ
٤-عبدالرزاق الصنعاني ت٢١١هـ
٥-الفريابي ت ٢١٢هـ

من اشتهر بالدراية

١-محمد بن السائب الكلبي ت ١٤٦هـ
٢-مقاتل بن سليمان الأزدي ت ١٥٠هـ
٣-مقاتل بن حيان البلخي ت ١٥٠هـ
٤-عبدالملك بن جريج ت ١٥٠هـ
٥-محمد بن إسحاق ت ١٥٣هـ
٦-سفيان الثوري ت ١٦١هـ
٧-عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ت ١٨٢هـ
٨-سفيان بن عيينة ت ١٩٨هـ
٩-يحيى بن سلام ت ٢٠٠هـ

المرحلة الثانية: التفسير في عهد التدوين

اعتمد التفسير في بدايته على الرواية، فكان الصحابة رضي الله عنهم يسمعون التفسير من الرسول صلى الله عليه وسلم، فيتناقلونه ويروونه، وعنهم أخذ التابعون الذين نقلوه أيضًا بالرواية لمن بعدهم، وإن كان هناك تدوين فهو تدوين قليل تطغى عليه الرواية، وتتأثر بالصبغة العامة للمراحل السابقة المذكورة.

وقد بدأ عصر التدوين في أواخر القرن الأول الهجري حيث دون الحديث النبوي الشريف بمختلف موضوعاته وأبوابه، ونستطيع أن نقول إنَّ تدوين التفسير مر بمراحل هي:

المرحلة الأولى:

دون فيها التفسير على أنه باب من أبواب الحديث، فكان العلماء يجمعون المرويات والأقوال في التفسير إلى جانب المرويات في سائر أبواب السنة، ولم يفرد للتفسير تأليف خاص لا يتناول إلا التفسير سورة سورة، وآية آية من أوله إلى آخره، وممن دون في التفسير في هذه المرحلة على أنَّه من أبواب الحديث:

١- يزيد بن هارون السلمي ت ١١٧هـ ٣- شعبة بن الحجاج ت ١٦٠هـ

٣ - وكيع بن الجراح ت ١٩٧هـ ٤- عبد بن حميد ت ٢٤٩هـ

٥ - سفيان بن عيينة ت ١٩٨هـ ٦- عبدالرزاق بن همام ت ٢١١هـ

٧- آدم بن أبي إياس ت ٢٢٠هـ

وغير هؤلاء، وتتميز هذه المرحلة بعدة مزايا منها:

١- كان للمفسرين عناية خاصة بالإسناد .

٢- لم يكن جمعهم للتفسير مستقلا، بل على أنه من أبواب الحديث .

٣- لم يقتصر على التفسير المرفوع للرسول صلى الله عليه وسلم، بل اشتمل على تفسير الصحابي والتابعي .

المرحلة الثانية:

أصبح التفسير في هذه المرحلة علما مستقلا قائما بذاته شاملا لآيات القرآن الكريم وسوره، مرتبا حسب ترتيب المصحف، وممن اشتهر في هذه المرحلة:

١- ابن ماجه ت ٢٣٧هـ ٢- ابن جرير الطبري ت ٣١٠هـ

٣ - ابن أبي حاتم ت ٣٢٧هـ ٤- أبو بكر المنذر النيسابوري ت٣١٨ هـ

٥ - ابن حبان ت ٣٦٩هـ ٦- الحاكم ت٤٠٥ هـ

٧- ابن مردويه ت ٤١٠هـ ٨- عبدالملك بن جريج ت ١٤٠هـ

وهذه التفاسير مع اشتمالها على الصحيح والسقيم، إلا أنها كانت مسندة، فلقد كان حرص أصحابها على الجمع، وتركوا مهمة البحث والتمحيص والتحقيق لمن يأتي بعدهم من خلال دراسة المرويات سندا ومتنا.

ويتميز التدوين في هذه المرحلة بـ:

١- أنَّ ما دون فيها كان بالتفسير بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن أصحابه وتابعيهم رضي الله عنهم .

٢- كان التفسير في هذه المرحلة بالإسناد المتصل إلى صاحب التفسير المروي عنه.

٣- لم تكن لهم عناية بالنقد وتحري الصحة في رواية الأحاديث في التفسير، بل إن بعضهم ذكر ما روي في كل آية من صحيح وسقيم، ولم يتحر الصحة كابن جرير مثلا، ويرجع السبب في ذلك إلى ذكرهم الإسناد، فهم يكتفون بذكر الإسناد عن بيان درجة المروي على حد قول القائل:" من أسند فقد أبرأ ذمته."

٤- اتسعت رواية الإسرائيليات، فدون الكثير منها ضمن التفسير .

المرحلة الثالثة:

كانت هذه المرحلة منعطفا خطيرا في تاريخ التفسير، فقد اتجه بعض المفسرين إلى اختصار الأسانيد، فنقلوا الآثار المروية عن السلف دون أن ينسبوها إلى قائليها، فاختلط الصحيح بالضعيف، وكانت هذه الهفوة من أخطر الهفوات، وأوسع الفجوات لنفوذ الأعداء إلى الدين، ليضعوا فيه ما لا يرتضيه، وينحلوه ما ليس من مبادئه، لولا أن الله هيأ لهذا الدين من علماء الإسلام من كشف زيف الزائفين، ودس المغرضين، وميز بين الصحيح والسقيم، وحفظ الله لهذه الأمة هذا الدين .

كما زاد في هذه المرحلة القول في التفسير بالرأي المحمود منه والمذموم، وتجرأوا على القول في القرآن بغير علم، وحرص بعضهم على الإكثار من رواية الأقوال في تفسير الآية الواحدة،

فصار كل من يسنح له قول يورده من غير أن يخطر بباله شيء يعتمد عليه، فيأتي من بعده فيظن أنَّ لِمَا أوردَ أصلا غير ملتفت لصحة، ولا باحثًا عن سند.

المرحلة الرابعة

وهذه المرحلة نتيجة حتمية للمرحلة السابقة، فقد انفتح باب التفسير على مصراعيه، فدخل منه الغث والسمين، والصحيح والعليل، ولم يزل مفتوحًا إلى يومنا هذا، فبعد أن كان التفسير يعتمد على النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين، رأيناه في هذه المرحلة يعتمد على التفسير بالرأي، وذلك نتيجة لنشأة كثير من الفرق والملل والمذاهب في الإسلام، فأصبح أصحاب كل مذهب يتجهون إلى آيات القرآن ويفسرونها حسب ما يوافق مذهبهم ومعتقداتهم، كما اعتنى أرباب العلوم بما يوافق علومهم، فكان كل من برع في علم من العلوم غلب ذلك على تفسيره، فالفقيه يكاد يسرد فيه الفقه، وربما استطرد إلى إقامة أدلة الفروع، والرد على المخالفين، كالقرطبي، والجصاص، وابن العربي، وغيرهم، والأخباري "المؤرخ" ليس له هم إلا سرد القصص واستيفائها كالثعلبي وغيره، والنحوي ليس له هم إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه كالزجاج والواحدي وأبي حيان وغيرهم، وصاحب العلوم العقلية ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبههم والرد عليهم كالفخر الرازي.

وهكذا نرى كل صاحب فن أو مذهب يفسر القرآن بما يتناسب مع فنه، أو يوافق مشربه، أو يشهد لمذهبه ولو كان بعيدًا كل البعد عن المقصد الذي نزل من أجله القرآن .

أهم المؤلفات في عصر التدوين

المؤلفات في التفسير بالمأثور

١-جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري .

٢-بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي .

٣-الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي .

٤-معالم التنزيل للبغوي .

٥-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية.

٦-تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

٧-الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي .

٨-الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.

٩-تفسير ابن أبي حاتم.

المؤلفات في التفسير بالرأي

١-الكشاف للزمخشري

٢-مفاتيح الغيب للرازي

٣-مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي

٤-لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن

٥-البحر المحيط لأبي حيان

٦-أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي

٧-تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي

٨-إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود

٩-روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للآلوسي

١٠- تفسير ابن أبي زمنين

١١- النكت والعيون للماوردي

١٢- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي

١٣- تفسير ابن عرفة

المبحث الرابع: لمحة موجزة عن التفسير في العصر الحديث

مع بدايات النهضة في أوروبا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين التي أخذت في النمو والتقدم والانتعاش خلال القرون اللاحقة الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر والسادس عشر، ومع ظهور حركة الاصلاح الديني في أوروبا التي آتت ثمارها في القرن التاسع عشر، كانت الخلافة العثمانية آنذاك آخذة في الانحلال والضعف إلى أن سقطت واقعا عام (١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م)، وأعلن نهائيًا عن سقوطها عام (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م)، وقد تفاقم الجهل في العالم الإسلامي آنذاك، حيث ساد التقليد وغاب الاجتهاد، وظل كثير من العلماء أسرى الأفكار المتوارثة، وكان التقليد رفيق التعصب والتشدد للمذهب، حتى أصبح المسلمون شيعا كل حزب بما لديهم فرحون.

وأدخل في تعاليم الدين الخرافات والأوهام، وتصدرت الدين بعض الطوائف، وأصبحت هي الناطق الوحيد باسمه، فجعلت الدين لهوًا ولعبًا، وتحايلت على التحرر من الواجبات، وأصبحت بالنسبة للعامة هي المدخل الوحيد للدين، فانتشرت الخرافات والأوهام، والتعلق بالأضرحة والقبور، وأصبح في حس العامة أن ذاك هو التدين، وليس العمل بما أنزل الله في كتابه وسنة نبيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتطرق الشرك الى عقيدة التوحيد، وأصبح هذا عاما في سائر أقطار المسلمين.

وأدى ذلك لجعل العقول والقلوب تتصف بالخواء والفراغ، وأوجد لديها قابلية الغزو الفكري والثقافي، بعد الانهزام العسكري والسياسي، وأورثت عند البعض القابلية للاستعمار "الاستخراب" الثقافي والحضاري بكل ما ينطوي عليه من سلبيات وانحرافات، فكيف لأمة ذا شأنها أن تحارب مستعمرًا؟ أو ترد غازيًا أو تصنع تقدمًا علميًا؟

وقد بلغ ذلك التخاذل والانهزام غايته حينما اتفق الحلفاء " فرنسا، بريطانيا، روسيا " إبَّان الحرب العالمية الأولى (١٣٣٤هـ/ ١٩١٦م) على تقسيم العالم الاسلامي الخاضع للدولة العثمانية بينهم، فيما عرف باتفاقية "سايكس بيكو" استطاعوا جر كثير من العرب لصفوفهم، للثورة على الخلافة، بعد أن أوهموهم بالاستقلال، فكانت مصيبة العرب الكبيرة: فلا خلافة أبقوا، ولا بلاد من الاستعمار رحلوا، فقسمت البلاد الإسلامية للمستخربين، ومهد ذلك

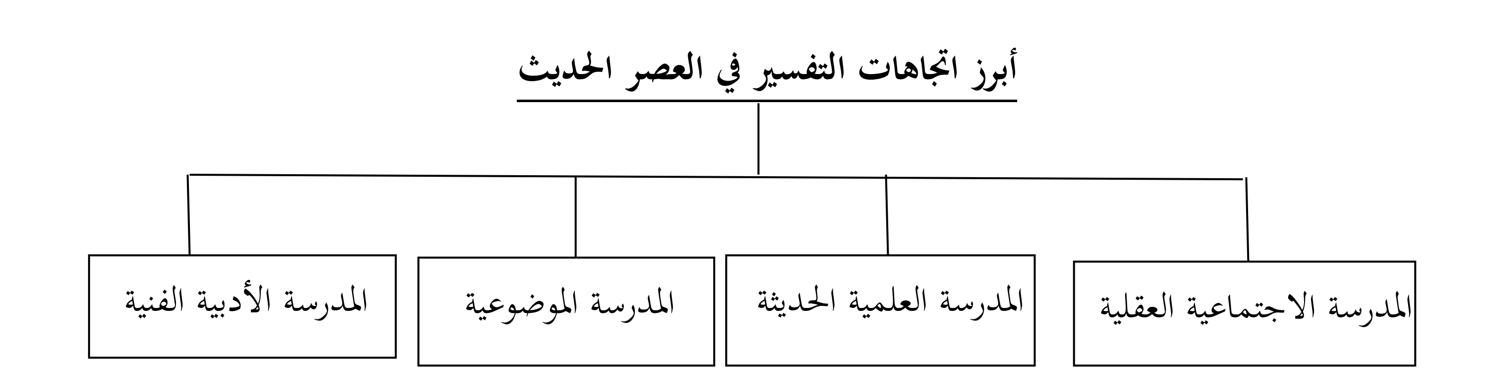
لإسقاط الخلافة وخلع السلطان عبدالحميد الثاني، وتولي حركة الاتحاد والترقي الحكم التي أعلنت انتهاء الخلافة عام (١٩٢٤هـ) على يد مصطفى كمال أتاتورك .

فكان أن قام ثلة من علماء الدين بعد أن تبين لهم أنَّ أهم أسباب تخلف الأمة الإسلامية واستعمارها هو هجر المسلمين لكتاب ربهم علمًا وعملًا، وتعلقهم بغيره من الأفكار والفلسفات، فأخذوا يدعون ويحثون على الرجوع لكتاب الله قراءة وتدبرًا وعملًا؛ لأنهم يؤمنون بأنه لا يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أوله، وهو التمسك بالكتاب والسنة.

ونتيجة لذلك فقد ظهرت دعوات متعددة اتخذت مناهج متميزة في سبيل الانقاذ والعودة إلى القرآن، وتحقيق التقدم الاجتماعي ومن أبرز هذه المناهج والاتجاهات:

١- المدرسة الاجتماعية العقلية ٢- المدرسة العلمية الحديثة

٣- المدرسة الموضوعية ٤- المدرسة الأدبية الفنية



أولًا: المدرسة الاجتماعية العقلية

نشأت هذه المدرسة في أواخر القرن الثالث عشر، وأوائل القرن الرابع عشر الهجري في مصر على يد جمال الدين الأفغاني ت ١٣١٥هـ، ومحمد عبده ت ١٣٢٣هـ، وجاءت نشأت هذه المدرسة إبَّان ضعف الدولة العثمانية، في حالة الأمة يغمرها الجهل والتخلف، هذا في الوقت الذي كان فيه الغرب "العالم النصراني" يتقدم في الماديات بصورة مذهلة، فكان موقف هذه المدرسة محاولة التأقلم مع التوفيق لتلك الحضارة الوافدة مع الإبقاء لهذا الانتماء الإسلامي، فدعت إلى الأخذ بتلك الحضارة، متأولة ما يتعارض معها من نصوص شرعية.

يقول الدكتور محمد حسين الذهبي ت ١٣٩٧هـ عن هذه المدرسة:" أعطت لعقلها حرية واسعة فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعو إلى ذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب، استبعاد بالنسبة لقدرة البشر القاصرة، واستغراب لا يكون إلا ممن جهل قدرة الله وصلاحيتها لكل ممكن كما أنها بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها وحملت بعض ألفاظ القرآن مالم يكن معهودها عند العرب في زمن نزول القرآن، وطعنت في الحديث تارة بالضعف، وتارة بالوضع مع أنها أحاديث صحيحة " أ.هـ.

وقد شابهت المعتزلة من وجوه:

١- إنكار بعض المعجزات أو تأويلها.

٢- تحكيم العقل والرجوع إلى أحكامه ورفعه إلى مرتبة الوحي.

٣- تأويل بعض الغيبيات كالملائكة والجن والسحر.

٤- رد بعض الأحاديث الصحيحة أو تأويلها.

أبرز تلاميذ هذه المدرسة:

١- محمد رشيد رضا ت ١٣٥٤هـ ٢- محمد مصطفى المراغي ت ١٣٦٤هـ

٣ - محمد فريد وجدي ت ١٣٧٣هـ ٤- عبدالقادر المغربي ت ١٣٧٥هـ

٥- قاسم أمين ت ١٣٢٦هـ ٦- محمد شلتوت ت ١٣٣٨هـ

٧-أحمد الباقوري ت ١٤٠٥هـ ٨- عبدالمتعال الصعيدي ت ١٣٧٧هـ

٩- عبدالعزيز جاويد ١٠- أحمد مصطفى الأعظمي

١١- محمد شحرور ١٢- محمد عمارة

١٣-محمد حسين هيكل ١٤- جمال الدين البناء

تقويم المدرسة العقلية وأثر العلماء في توجيهها :

تناولت أقلام كثيرة هذه المدرسة بين مدح وقدح، أو بين توجيه وتسديد مع اختلاف في هذه الأقلام من حيث التخصصات، حيث تجد قلم المفسر، وقلم المحدث، وقلم العقدي، وقلم الأديب، وقلم المؤرخ... الخ.

فمن أبرز من نقد هذه المدرسة:

١- الشيخ محمد عليش المالكي ٢- مصطفى صبري

٣ - الأستاذ سيد قطب ٤- الدكتور فهد الرومي

أما أبرز من بالغ في الثناء عليها فهم :

١- الدكتور محسن عبدالحميد ٢- محمد عمارة

أسماء هذه المدرسة :

١- الاتجاه أو المدرسة الهدائية: ويسمى هذا الاتجاه بالهدائي نظرًا لتركيز جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا على كون الهداية من أكبر مقاصد القرآن الكريم التي ينبغي لكل مفسر أن يستهدفها قبل كل شيء في تفسيره.

٢- الاتجاه الإصلاحي: ويسمى هذا الاتجاه بالاتجاه الإصلاحي نظرًا للدعوة إلى الإصلاح والتجديد الذي ينشده أصحاب هذه الفكرة وهذا الاتجاه بهذه التسمية يدخل فيه كثير من الحركات الإصلاحية التي ظهرت في العالم الإسلامي مثل:

- الدعوة السلفية بنجد التي قامت على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٠٦هـ).
- الدعوات الإصلاحية بالهند التي قامت على يد الشيخ شاه ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ).
- الدعوة الإصلاحية بمصر التي قامت على يد الأستاذ جمال الدين الأفغاني (ت ١٣١٥هـ).
- الحركة السنوسية بليبيا التي قامت على يد محمد السنوسي (ت ١٢٧٦هـ).

- الحركة المهدية بالسودان التي قامت على يد محمد أحمد المهدي (ت ١٢٠٢هـ).

٣- الاتجاه العقلي: وذلك لتقديمهم العقل على النص في بعض المواضع، وإعطاء العقل مجالًا واسعًا في الأمور الغيبية.

٤- الاتجاه الاجتماعي: وذلك لتركيزهم على القضايا الاجتماعية توضيحًا وتهذيبًا ووصفًا وعلاجًا.

ثانيًا: المدرسة العلمية الحديثة

من مظاهر التجديد في العصر الحديث الاتجاه العلمي في التفسير، وقد بعث إليه وجود آيات تشير إلى بعض مظاهر الكون لدى حديثها عن موضوعها الأصلي الذي جاءت من أجله كالاستدلال بها على وجود الله سبحانه وتعالى، أو بيان نعمه وآلائه على خلقه، مما دفع بعض العلماء إلى البحث عن مثل هذه الإشارات العلمية والمسائل الكونية والعمل على ربطها بما أظهرته البحوث العلمية الحديثة، وما كشفت عنه الدراسات المستجدة بوصفها مما يشهد لصدق القرآن ويؤيد أنه من عند عليم خبير.

وقد ظهر هذا اللون من التفسير في العصر الحديث بارزًا، وغدا نشيطًا، وقويًا كونه أسلوبًا يدعم العقيدة الإسلامية، ويثبت صحة الدين الإسلامي، ويظهر إعجاز القرآن، وقد راج رواجًا كبيرًا، وذلك بأن يعمد المفسر إلى الكشف عما أشار إليه القرآن من أمور علمية، أو طبية، أو فلكية، وغيرها، وجاء العلم الحديث يصدقها.

ومن أهم الكتب التي وضعت ضمن هذا اللون من التفسير:

١- كشف الأسرار النورانية القرآنية، فيما يتعلق بالأجرام السماوية والأرضية والحيوانات والنباتات والجواهر المعدنية لـ محمد بن أحمد الإسكندراني.

٢- إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي.

٣- الإسلام والطب الحديث للدكتور عبدالعزيز إسماعيل.

٤- الإسلام في عصر العلم للدكتور أحمد الغمراوي.

٥- التفسير العلمي للآيات الكونية لحنفي محمد؟

٦- إعجاز القرآن في طبقات الأرض لمحمد محمود إبراهيم.

٧- القرآن والعلم الحديث لعبدالرزاق نوفل.

٨- الجواهر لطنطاوي جوهري.

تقويم المدرسة وتوجيهها:

المؤلفات في هذا اللون من التفسير منها ما غالى وحمَّل الآيات ما لا تحتمل، ومنها ما هو مقبول سهل التناول، غايته في ذلك إظهار مزايا الإسلام وإعجاز القرآن الكريم في كونه امتاز

على سائر الكتب بأنه جاء يحث على العناية بعلوم الكون ودراستها؛ لأنَّ محاسن المخلوقات وعجائبها تذكر للتنبيه على حكمة الله سبحانه وتعالى وعظمته.

الشروط الواجبة لمن يفسر القرآن علميا:

١- أن يستوفي شروط المفسر كـ العلم باللغة العربية، وسلامة المعتقد، ومعرفة مواطن الإجماع...

٢- ألا تطغى المباحث العلمية على التفسير.

٣- مراعاة عصر ومستوى المخاطبين.

٤- ألا يتم التفسير إلا على ما ثبت قطعيًا من العلوم الكونية، بحيث صارت عند الكافة كالمشاهد المحسوس والبدهي الذي لا مرية فيه.

٥- اعتقاد أن حقائق القرآن ثابتة، وموضع تسليم وإيمان.

٦- ألا يجعل آيات الله عرضة للتضارب والتعارض.

٧- التفسير العلمي يجب أن يخدم السياق القرآني.

٨- التقيد التام بقواعد اللغة العربية.

٩- التفرقة بين الإعجاز العلمي، والتفسير العلمي.

التفسير العلمي: هو الكشف عن معاني الآية في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات علمية.

أما الإعجاز العلمي: فهو إخبار القرآن الكريم بحقيقة أثبتها العلم التجريبي أخيرًا، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم.

١٠- الجمع بين الأدلة وعدم الاجتزاء.

١١- ألا يخالف العقيدة أو الإجماع.

ثالثًا: المدرسة الموضوعية

كذلك وجدت في العصر الحديث مظهر من مظاهر التجديد، وهو مهم جدًا في الكشف عن معاني الآيات، وتفهم مرامي القرآن ومقاصده، وهو التفسير الموضوعي، فأصحابه لا يتبعون الأسلوب التقليدي في التفسير بمعنى تفسير الآيات بالتتابع والترتيب، وإنما يقوم المفسر بجمع الآيات التي تعالج موضوعا متشابهًا في القرآن كله، ويبدأ بدراستها وتحليلها والموازنة بينها، وبما يجلي له المعنى، ويتبين له المقصد القرآني، والحكم الذي تضمنه، وبهذه الطريقة يتمكن المفسر من إيجاد دراسة قرآنية متكاملة في موضوع معين مستقل عما سواه، ومتكامل في مفرداته وجزئياته كما حددها القرآن الكريم، مما يمكن الناس من التعرف التفصيلي على معالجتها، وأحكامها القرآنية، في القرآن الكريم ونحو ذلك.

وهذا اللون من التفسير مهم وضروري في العصر الحديث، فهو يكشف عن الحلول المناسبة والتشريعات المتكاملة الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية وغيرها، ويظهر صلاحية القرآن لحل المشكلات، ومعالجة الإخفاقات، ومسايرة ركب الحضارة المتقدم في الشؤون كلها.

وهذا اللون من التفسير وإن لم يكن جديدًا في أسلوبه ومنهجه العام، لكن الاهتمام به حديثا أصبح كبيرًا، والعناية به غدت شائعة في الدراسات الأكاديمية.

رابعًا: المدرسة الأدبية الفنية

ومن مظاهر التجديد في العصر الحديث ظهور مدرسة التفسير الأدبي، التي تهدف إلى إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، وصياغة المعاني التي يهدف القرآن إليها في أسلوب شيق أخاذ.

إن هذا اللون الأدبي يعد عملًا جديًدا في التفسير، وابتكارا يرجع فضله بعد الله تعالى إلى مفسري هذا العصر الحديث، وبالتحديد إلى مدرسة محمد عبده.

لقد كشفت مدرسة التفسير الأدبي عن بلاغة القرآن الكريم، وأوضحت إعجازه ومعانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من المعاني العذبة الرقراقة.

ومن أبرز رواد هذه المدرسة:

١- الأستاذ سيد قطب

٢- الدكتورة عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ

٣- الدكتور فاضل السامرائي

أبرز الكتب المؤلفة في هذا اللون من التفسير:

١- في ظلال القرآن لسيد قطب

٢- التفسير البياني للقرآن الكريم للدكتورة عائشة

٣- أسرار البيان في التعبير القرآني للدكتور فاضل السامرائي

٤- لمسات بيانية في نصوص التنزيل للدكتور فاضل السامرائي

٥- على طريق التفسير البياني للدكتور فاضل السامرائي

٦- أسئلة بيانية في القرآن الكريم للدكتور فاضل السامرائي.

الفصل الثالث: أقسام التفسير

المبحث الأول: أقسام التفسير باعتبار معرفة الناس له

المبحث الثاني: أقسام التفسير باعتبار طريق الوصول إليه

المبحث الثالث: أقسام التفسير باعتبار أساليبه

المبحث الرابع: أقسام التفسير باعتبار ترتيبه في التفسير

المبحث الخامس: أقسام التفسير باعتبار اتجاهات المفسرين فيه

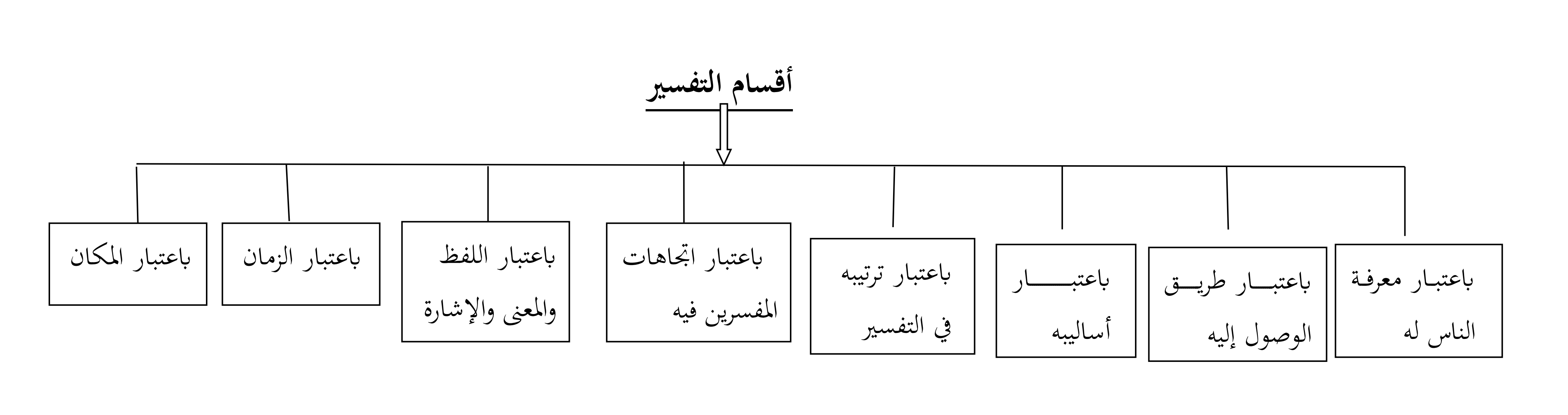
المبحث السادس: أقسام التفسير باعتبار اللفظ والمعنى والإشارة

المبحث السابع: أقسام التفسير باعتبار الزمان

المبحث الثامن: أقسام التفسير باعتبار المكان

أقسام التفسير

للتفسير أقسام عدة، وكل قسم مبني على اعتبار، ويكون هذا الاعتبار بالنظر إلى جهة من جهات التفسير، ويمكن تقسيم هذه الاعتبارات إلى ما يلي:



المبحث الأول: أقسام التفسير باعتبار معرفة الناس له

ينقسم التفسير باعتبار معرفة الناس له إلى أربعة أقسام هي:

١- **ما تعرفه العرب من كلامها**: يشمل هذا القسم ألفاظ القرآن وأساليبه في الخطاب؛ وذلك لأنه نزل بلغتهم وعلى طرائقهم في الكلام، وهذه الألفاظ والأساليب معلومة لديهم غير خافية، وإن كان قد يخفى على أفراد منهم شيء منها، ولذا تجد في تفاسير السلف تفسيرهم اللغوي لمعنى: "الصمد" و"الكفؤ"، و"الفلق"، والفاسق، ...الخ.

والأساليب لما كانت من سَنَنِهم في الكلام لم يخف عليهم المراد بها، فيعلمون من قوله تعالى: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ الدخان: ٤٩، أنَّ هذا الخطاب خطاب امتهان وتهكم، وإن كانت ألفاظه مما يستعمل في المدح، وذلك لأن السياق يدل على معنى الامتهان.

وهذا الوجه من فروض الكفاية، إذ لا يجب على كل مسلم معرفة جميع المعاني اللغوية والأساليب الكلامية الواردة في القرآن، وقد يرتقي إلى الواجب إذا توقف عمل الواجب على هذه المعرفة.

٢- **ما لا يعذر أحد بجهله**: وهذا يشمل الأمر بالفرائض، والنهي عن المحارم، وأصول الأخلاق والعقائد، فقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ البقرة: ٤٣، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا ﴾ آل عمران: ٩٧، وقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ البقرة: ١٨٣، لا يعذر أحد بجهل مثل هذه الخطابات، وهو يقرأ القرآن .

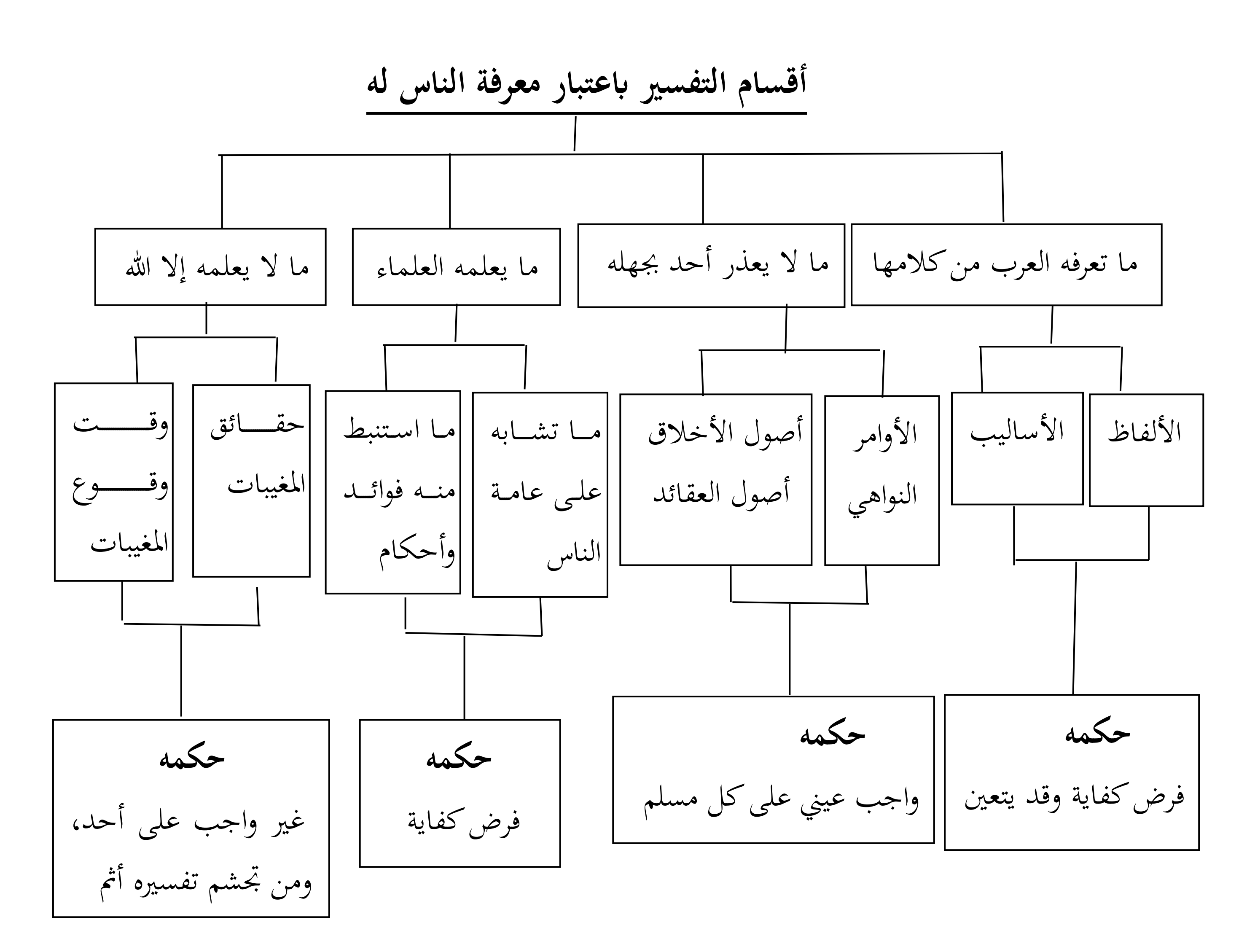
وكذلك يدخل فيه ما جاء من أمر بالصدق والأمانة، والنهي عن الكذب والخيانة، وعن إتيان الفواحش، وغيرها من الأوامر والنواهي المتعلقة بالأخلاق.

ويدخل فيه ما يتعلق بالعقائد، كقوله تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ محمد: ١٩، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ الأنبياء: ٢٥، وغيرها من الأوامر والنواهي المتعلقة بالتوحيد، فهذه كلها داخلة ضمن الواجب الذي يجب على المسلم تعلمه من التفسير .

٣- **ما يعلمه العلماء**: ومما يشمله هذا القسم ما تشابه منه على عامة الناس، وما استنبط منه من فوائد وأحكام، وهذا القسم من فروض الكفاية.

٤- **ما لا يعلمه إلا الله**: ومن ادعى علمه فقد كذب: ويشمل هذا حقائق المغيبات، ووقت وقوعها، فالدابة التي تخرج في آخر الزمان لا يعلم حقيقتها إلا الله، ولا يعلم وقت خروجها إلا الله، وهكذا سائر المغيبات.

وهذا النوع غير واجب على أحد، بل من تجشم تفسيره، فقد أثم وافترى على الله، وادعى علما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.



المبحث الثاني: أقسام التفسير باعتبار طرق الوصول إليه

ينقسم التفسير باعتبار طرق الوصول إليه إلى قسمين على المشهور هما:

أولًا: التفسير بالمأثور

اختلف العلماء في ضابط التفسير بالمأثور على قولين:

القول الأول: هو ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نقل عن الصحابة رضي الله عنهم، وما نقل عن التابعين رحمهم الله مما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من كلامه.

وقد ورد على هذا التعريف عدة اعتراضات أهمها:

١- أنَّ تفسير القرآن بالقرآن لا نقل فيه، بل هو ضمن تفسير من فسر به، فإن كان المفسر هو الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو من التفسير النبوي، وإن كان المفسر هو الصحابي، فهو من تفسير الصحابي، وإن كان المفسر هو التابعي، فهو من تفسير التابعي.

٢- تفسير الصحابي أو التابعي للقرآن بالقرآن هو من التفسير بالرأي؛ وذلك لأن طريق الوصول إلى تفسير هذه الآية بهذه الآية هو الرأي والاجتهاد، ولا يلزم أن كل من فسر آية بآية أن تفسيره هذا يقبل، بل قد يكون مرجوحا، وبناء عليه فحكمه حكم تفسير الصحابي والتابعي.

٣- لِمَ توقف النقل عند التابعين ولم يذكر من بعدهم، مع أن فيهم من الأئمة في التفسير من فيهم، وأقوالهم مدونة ومحفوظة والطريق إليها هو بالأثر كالتابعين؟

القول الثاني: هو ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسيره القرآن، وما روي عن الصحابة رضي الله عنهم مما له حكم المرفوع، وما أجمع عليه الصحابة أو التابعون.

قلت: يضاف إلى القول الثاني تفسير القرآن بالقرآن، إن كان صريحا، كتفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ الطارق: ٢ ، فسره تعالى بقوله: ﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ الطارق: ٣.

مصادر التفسير بالمأثور:

على القول الأول:

١- ما فسره القرآن الكريم بنفسه.

٢- ما جاء في السنة تفسيرا للقرآن.

٣- بيان القرآن بما صح وروده عن الصحابة رضي الله عنهم.

٤- بيان القرآن بما صح وروده عن التابعين رحمهم الله.

على القول الثاني:

١-ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢-ما روي عن الصحابة مما له حكم المرفوع "أسباب النزول والمغيبات ".

٣- ما أجمع عليه الصحابة والتابعون.

٤-صريح تفسير القرآن بالقرآن.

قيمة التفسير بالمأثور:

ترجع قيمة هذا التفسير إلى قيمة مصادره الأصلية التي تعد أحسن طرق التفسير، فالتفسير بالمأثور هو القاعدة الأساسية والركيزة الجوهرية التي ينبغي أن ينطلق منها كل مفسر.

أسباب تطرق الموضوعات والإسرائيليات إلى كتب التفسير بالمأثور:

مع ما للتفسير بالمأثور من أهمية بالغة في الكشف عن المراد من النص، فإن كثيرًا مما روي فيه قد تسرب إليه الخلل، وتطرق إليه الوهن والضعف، إلى حد كاد أن يفقد الثقة به لولا أن الله سبحانه وتعالى قد هيأ له رجال الجرح والتعديل، فأزاحوا عنه الشكوك بما ميزوا الصحيح من الباطل والضعيف، فسلمت كمية مهمة منه يطمئن إليها القلب وتسكن إليها النفس.

أسباب ضعف الرواية في التفسير بالمأثور:

١- كثرة الوضع في التفسير بالمأثور ٢- دخول الإسرائيليات

أهم كتب التفسير بالمأثور:

١-جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري .

٢-بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي .

٣-الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي .

٤-معالم التنزيل للبغوي .

٥-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية.

٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

٧-الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي .

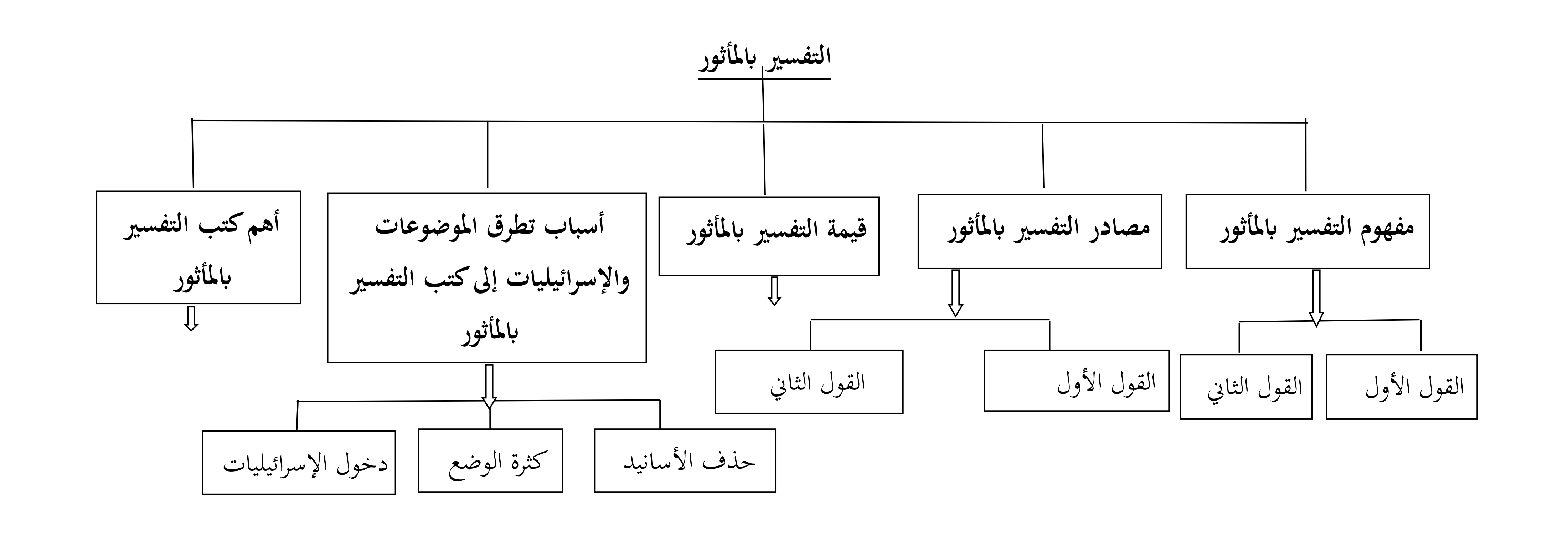
٨-الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي.

٩- تفسير ابن أبي حاتم.



صدر حديثاً موسوعة التفسير المأثور في ٢٤مجلدا، احتوت على أحاديث وآثار التفسير، وتعليقات أئمة التفسير على أحاديث وآثار التفسير، وترجيحات أئمة التفسير في معاني الآيات، وتخريج أحاديث التفسير وهي تقدر بأكثر من ١٢ألف حديثا.

قام على إعدادها أكثر من ٣٥باحثًا، وجرد فيها أكثر من ١١٢٥مجلدًا في التفسير والحديث والعقيدة، والسير والتراجم والفقه.


التفسير بالمأثور
مفهوم التفسير بالمأثور
القول الأول
القول الثاني
مصادر التفسير بالمأثور
القول الأول
القول الثاني
قيمة التفسير بالمأثور
أسباب تطرق الموضوعات والإسرائيليات إلى كتب التفسير بالمأثور
حذف الأسانيد
كثرة الوضع
دخول الإسرائيليات
أهم كتب التفسير بالمأثور

ثانيًا: التفسير بالرأي

التفسير بالرأي يعني التفسير بالاجتهاد، لذا فإنه عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم بالقول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر".

ويسمى التفسير العقلي أو التفسير الاجتهادي، أو التفسير بالدراية، أو التفسير بالاستنباط.

نشأة التفسير بالرأي:

ظهر التفسير بالرأي في أوائل عهد الصحابة رضي الله عنهم، والاجتهادات المنقولة عنهم في التفسير كثيرة، لكنهم لم يتوسعوا كتوسع من بعدهم؛ لعدم حاجتهم آنذاك إلى ما احتاج إليه من بعدهم لتمكنهم من اللغة، وبسبب فصاحتهم، وذكائهم ومشاهدتهم لأحوال التنزيل، ومصاحبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم، وقد حذا حذوهم أئمة التفسير من التابعين، فكانوا يفسرون القرآن بما أخذوه عنهم، كما وجهوا الآيات توجيها عقليا إلى جانب النقل وأوجدوا نوعا من الربط والتوازن بينهما.

ولما جاء القرن الثالث الهجري اتسع التفسير بالرأي، وكان على شكل محأولًات فردية أولًا قام بها بعض المفسرين، ومنهم شيخ المفسرين الطبري في ترجيح بعض الروايات على بعض، بالاعتماد على اللغة، وعلى عادات العرب في بحث متأمل ونظر متدبر، فهو وإن كان تفسيره بالمأثور إلا أنه أخذ فيه بالرأي متأسيا بمن سبقه من أعلام الصحابة.

ثم ظهرت التفاسير الكبيرة المتتابعة التي نهجت منهج التفسير بالرأي، حتى صار النقلي في بعضها قليلًا، كان للتفسير بالرأي مناهج متنوعة، فمنهم من نهج منهجا لغويًا، ومنهم من انتهج منهجا عقليًا، ومنهم من انتهج منهجا فقهيًا أو بيانيًا أو غير ذلك.

لكن الذي نجده من بين هذه المناهج التفسيرية آخذًا بالرأي أكثر من غيره، بحيث غالى فيه، وتوسع فيه توسعًا كبيرًا هو ما نجده في تفاسير المعتزلة الذين يعتمدون العقل ويمجدونه كثيرًا ويعولون عليه فيما يدعم آرائهم الاعتقادية.

دوافع التفسير بالرأي:

١- إن التفسير بالمأثور لم يغط كل الآيات القرآنية، كما أنه ليس كل ما فسر ورد النقل فيه، فاحتاج الناس إلى بيان ما لم يرد فيه مأثور.

٢- تطور الحياة الفكرية، والثقافية، والاجتماعية، ...الخ.

٣- ضعف اللغة العربية، وشيوع اللحن بسبب الاختلاط بالأعاجم، وبُعدُ الزمن من عصر الفصاحة؛ مما جعل الناس بحاجة إلى من يفسر لهم الألفاظ والتراكيب القرآنية، وبيان ما أجمل فيه.

٤- الخلاف المذهبي بين الفرق دفعهم إلى تلوين التفسير باللون المذهبي.

حكم التفسير بالرأي:

اختلف العلماء في حكم التفسير بالرأي، ووقفوا منه موقفين متعارضين، فقال جماعة بجوازه، وقال آخرون بمنعه وعدم جوازه، وذهبوا إلى أنه لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن برأيه، وإنما يلزم الوقوف على المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة وتابعيهم، ولكل منهم أدلته.

أولًا: أدلة المجيزين

استدلوا على قولهم بجواز التفسير بالرأي بأدلة من الكتاب والسنة والآثار والمعقول على النحو الآتي:

١- فمن الكتاب ما جاء في القرآن الكريم من آيات كثيرة تدعو إلى تدبر القرآن، وإلى استنباط الأحكام منه، كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد: ٢٤ ، وكقوله تعالى: ﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ النساء: ٨٣ ، ووجه الاستدلال: أن الله تعالى حث على تدبر القرآن، والتدبر والاتعاظ فرع الفهم والتفقه في كتاب الله، وكذلك تدل الآية على أنَّ في القرآن ما يستنبطه أولوا الألباب.

٢- ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنه: «**اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل**»، ولا شك أنَّ المراد بالتأويل الذي دعا به هو الفهم الزائد على المسموع؛ لأنَّه لو كان المراد به المسموع فقط لما كان لتخصيصه بذلك معنى مفهوم.

٣- ومن المأثور قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سُئل عن الكلالة: "أقول برأيي فإن

كان صوابًا فمن الله، وهو ما دون الولد والوالد" رواه الطبري، وقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما سئل: هل خصكم الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء سوى القرآن؟ فقال: "لا والذي خلق الحبة، وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت _الراوي عن علي رضي الله عنه_ وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر".

٤- ومن المعقول: عند النظر فيما جاء عن الصحابة والتابعين من تفسير بعض الآيات نجدها أقوالًا مختلفة لا يمكن الجمع بينهما، كما لا يمكن القول بأنها مسموعة من الرسول صلى الله عليه وسلم، مما يفيد أنهم فسروا بالاجتهاد، وكذلك جاء عن الصحابة تفسيرهم لِما لم يفسره النبي صلى الله عليه وسلم لهم؛ إذ معلوم أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يفسر القرآن كله آية آية، ولفظة لفظة.

فاحتاجوا بعده إلى بيان ما لم يحتاجوا إليه أول الأمر، ففسره الراسخون منهم، ولو كان غير جائز لكانوا خالفوا ووقعوا في المحذور.

ومن الأدلة العقلية على جواز التفسير بالرأي: أن القول بعدم جوازه يعني سد باب الاجتهاد، وتعطيل كثير من النصوص، وإيقاع الناس في الحرج، وهذا باطل بين البطلان، فالاجتهاد ثابت قطعًا؛ لأن الوقائع متجددة غير محدودة، والنصوص محدودة.

كل هذا يدل على جواز التفسير بالرأي لمن استكمل الشروط والأدوات الواجب توفرها في المفسر.

ثانيًا: أدلة المانعين

واستدلوا على عدم جواز التفسير بالرأي من الكتاب والسنة والآثار:

فمن الكتاب: ما جاء في كثير من الآيات التي تنهى عن القول على الله بالظن، كقوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ** ﴾ الإسراء: ٣٦، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾ البقرة: ١٦٩، كذلك التفسير موقوف على السماع بدليل قوله تعالى: ﴿ **فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ** ﴾ النساء: ٥٩، ومن الآيات الدالة على عدم جواز التفسير بالرأي قوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ** ﴾ النحل: ٤٤، فقد أضاف البيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فعُلم أنه ليس لغيره شيء من البيان لمعاني القرآن.

ومن السنة ما رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" **من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**"، وما رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن جندب رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**من قال في القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ**"، وهما صريحان في النهي عن تفسير القرآن بالرأي.

ومن الآثار: ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن قوله تعالى:﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾عبس: ٣١، فقال: ما الأب؟ ثم قال: "إن هذا لهو التكلف، فما عليك لا تدريه"، وما روي عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن تفسير آية من القرآن فقال:" إنا لا نقول في القرآن شيئا"، ومثله روي عن الشعبي ومسروق وغيرهما، مما يفيد التوقف في التفسير على المنقول وعدم الخوض فيه برأي، فكانوا يعظمون تفسير القرآن، ويتحرجون من القول فيه بآرائهم.

حقيقة الخلاف:

لو رجعنا إلى أدلة القائلين بالمنع، وعرفنا سر منعهم، ثم رجعنا إلى أدلة المجيزين، ووقفنا على ما شرطوه من شروط لا بد منها لمن يتكلم في التفسير برأيه، وحللنا أدلة الفريقين تحليلًا دقيقًا، لظهر لنا أن الخلاف لفظي لا حقيقي، ولبيان ذلك نقول:

الرأي قسمان:

قسم جار على موافقة كلام العرب، مع موافقة الكتاب والسنة، ومراعاة سائر شروط التفسير، وهذا القسم جائز بلا شك فيه، وعليه يحمل كلام المجيزين للتفسير بالرأي.

قسم غير جار على قوانين العربية، ولا موافق لأدلة الشرع، ولا مستوف لشرائط النهي، وهذا مورد النهي، ومحط الذم، وهو الذي يقصده عمر رضي الله عنه بقوله:" ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا فاسق بين فسقه، ولكنني أخاف عليها رجلا قد قرأ القرآن حتى أذلقه بلسانه، ثم تأوله على غير تأويله"، وهذا هو الذي يحمل عليه كلام المانعين للتفسير بالرأي.

أهلية المفسر للتفسير بالرأي:

إن القول بجواز التفسير بالرأي "الاجتهاد" لا يجعله ممكنا بأي حال، ولا مسوغًا

لاستغلاله من المغرضين أو الجاهلين، وإنما هو ممكن لمن استمكنت فيه المؤهلات، فلابد من الأهلية لدى الناظر في كتاب الله تعالى بقصد تفسيره، وهذه الأهلية تستلزم اجتماع جملة من العلوم عند المفسر، وتمكنه منها، بعضها كسبي وبعضها هبة من الله، ولطف منه، بعد صدق التوبة والنية، وسيأتي ــإن شاء الله ــ ذكر هذه العلوم عند ذكر شروط المفسر.

أهم كتب التفسير بالرأي

١- مفاتيح الغيب "التفسير الكبير" للفخر الرازي ت٦٠٦هـ.

٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ت٦٨٥هـ.

٣- غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ت٧٢٨هـ.

٤- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ت٧٥٤هـ.

٥- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ت ٦٧١هـ.

٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي ت٧٠١هـ.

٧- لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن ت ٧٤١هـ.

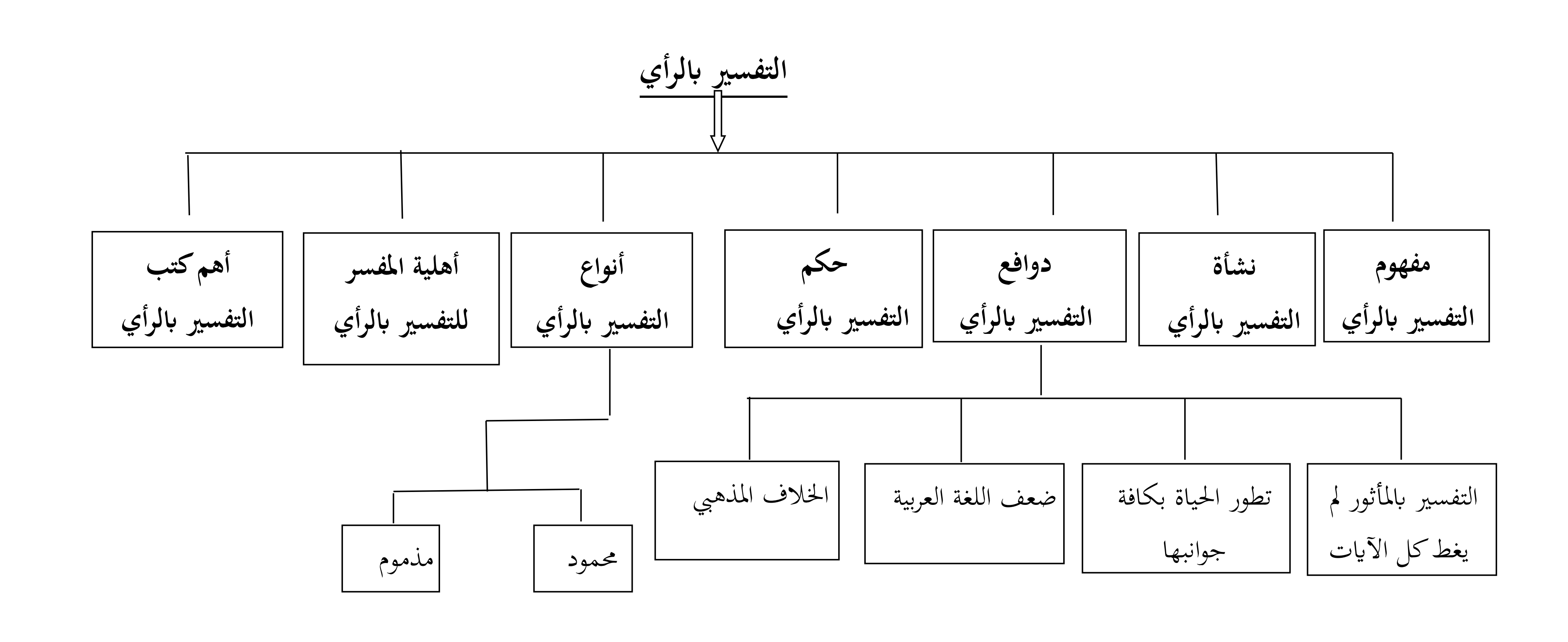
٨- السراج المنير للخطيب الشربيني ت ٩٧٧هـ.

٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ت٩٨٢هـ.

١٠- تفسير الجلالين لجلال الدين المحلي ت ٨٦٤هـ، وجلال الدين السيوطي ت٩١١هـ.

١١- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للآلوسي ت١٢٧٠هـ.

١٢- التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور.



التفسير بالرأي
مفهوم التفسير بالرأي
نشأة التفسير بالرأي
دوافع التفسير بالرأي
حكم التفسير بالرأي
أنواع التفسير بالرأي
أهلية المفسر للتفسير بالرأي
أهم كتب التفسير بالرأي
التفسير بالمأثور لم يغط كل الآيات
تطور الحياة بكافة جوانبها
ضعف اللغة العربية
الخلاف المذهبي
محمود
مذموم

المبحث الثالث: أقسام التفسير باعتبار أساليبه

ينقسم التفسير باعتبار أساليبه إلى أربعة أقسام هي:

أولًا: التفسير التحليلي

هو أن يقوم المفسر بتحليل كل آية تحليلًا موسّعا مفصلًا، ويتعرض لمختلف الموضوعات والمباحث والمسائل في العقيدة، والنحو، والبلاغة، والقراءات، والأحكام وغيرها، وهذا النوع هو الغالب على التفاسير، وتختلف فيه من حيث الطول والقصر.

ومن الكتب التي تسير على حسب التفسير التحليلي:

١- البحر المحيط لأبي حيان
٢- معالم التنزيل للبغوي
٣- المحرر الوجيز لابن عطية
٤ -التفسير الكبير للرازي
٥- روح المعاني للآلوسي
٦- فتح القدير للشوكاني
٧ - التحرير والتنوير لابن عاشور.

ثانيًا: التفسير الإجمالي

هو أن يقوم المفسر ببيان المعنى الإجمالي للآيات دون التعرض للتفاصيل، كالإعراب واللغة والبلاغة، والفوائد وغيرها.

من أمثلة الكتب التي تسير على حسب التفسير الإجمالي:

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي.
٢- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا.
٣- تفسير المراغي تحت عنوان المعنى الإجمالي.
٤- أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري.
٥- التيسير في أحاديث التفسير للناصري.
٦- تفسير الأجزاء العشرة الأولى لمحمود شلتوت.

ثالثًا: التفسير المقارن

هو أن يعمد المفسر إلى قولين أو أكثر في التفسير، ويقارن بينها، مع ترجيح ما يراه راجحًا بأدلته وقواعده.

ومن أمثلة الكتب التي تسير على حسب التفسير المقارن:

١- جامع البيان للطبري ٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير

وهذا الأسلوب واسع الميدان فسيح الأركان، فقد تكون المقارنة بين نصين من نصوص القرآن، وهذا يدخل في علم مشكل القرآن، وقد تكون المقارنة بين نص قرآني وحديث نبوي يتفق مع النص القرآني أو يعارضه ظاهرًا، وهذا أيضًا يدخل في علم مشكل القرآن، أو علم مشكل الحديث، وقد تكون المقارنة بين نص قرآني ونص آخر في التوراة والإنجيل أو غيرها من الكتب، وذلك لبيان مزية القرآن وفضله، أو لبيان التحريف الواقع في الكتب الأخرى.

ومن أشهر الكتب المصنفة بهذا الأسلوب كتاب:

١- القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم لموريس بوكاي.

٢- محمد في التوراة والإنجيل والقرآن لإبراهيم خليل.

رابعًا: التفسير الموضوعي

يعتمد هذا الأسلوب على دراسة لفظة، أو جملة، أو موضوع في القرآن الكريم، وهو على أقسام:

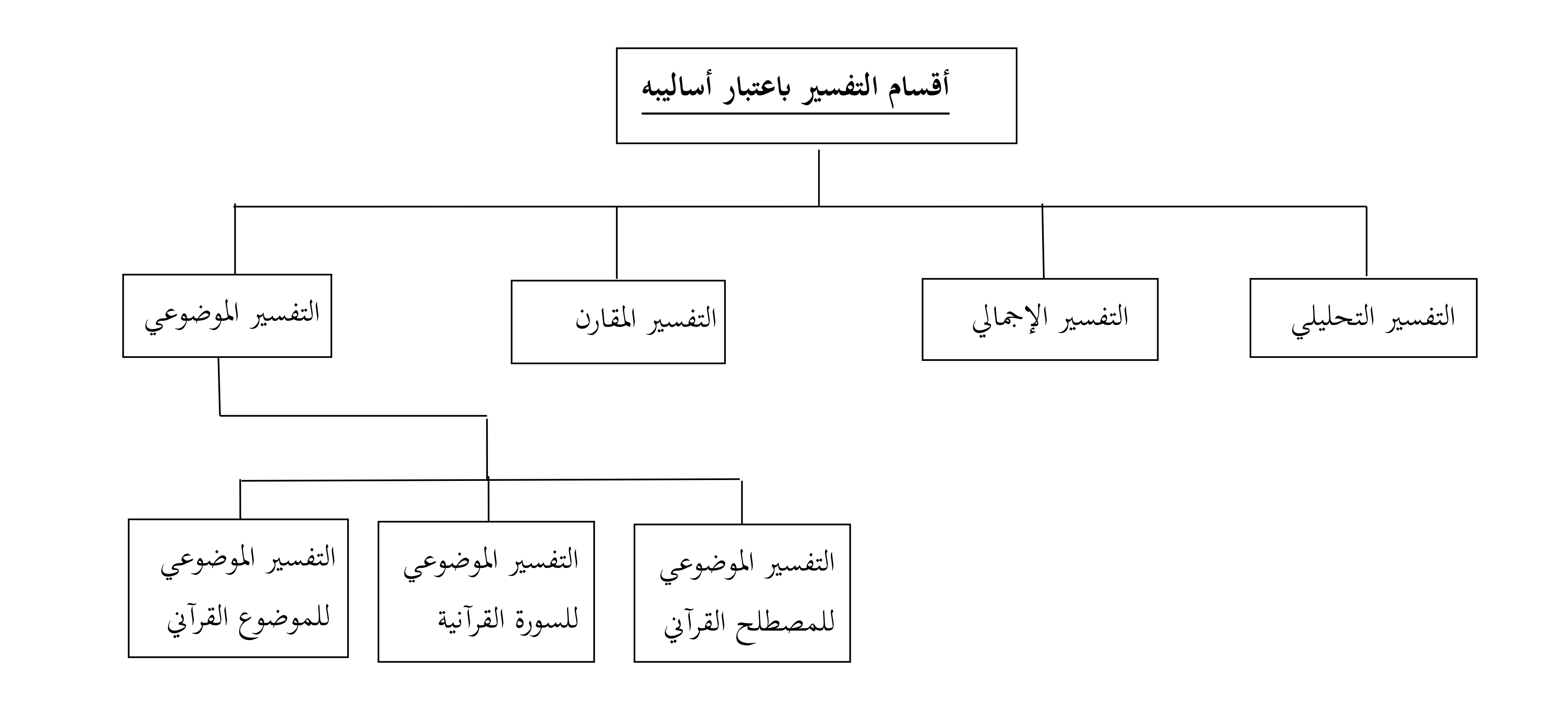
١- أن يكون عرض الموضوع من خلال القرآن كله، كموضوع: "صفات عباد الرحمن في القرآن " ويسمى التفسير الموضوعي للموضوع القرآني.

٢- أن يكون عرض الموضوع من خلال سورة. كموضوع: الأخلاق الاجتماعية في سورة الحجرات، ويسمى التفسير الموضوعي للسورة القرآنية.

٣- أن يستعرض المفسر لفظة أو جملة قرآنية، ويبين معانيها في القرآن، كلفظة: "الأمة " في القرآن، وجملة: "الذين في قلوبهم مرض " في القرآن، ويسمى التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.

ملحوظة:

هذه التقسيمات المذكورة من: تحليلي وإجمالي، ومقارن، تقسيمات فنية، ولا يعني هذا أن كل تفسير قد تميز بأحدها فقط، بل قد تجد في تفسير من التفاسير هذه الأقسام، ولكن الحكم للأغلب، فابن جرير مثلا تجد في تفسيره التحليل، والإجمال، والمقارنة.


أقسام التفسير باعتبار أساليبه
التفسير التحليلي
التفسير الإجمالي
التفسير المقارن
التفسير الموضوعي
التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني
التفسير الموضوعي للسورة القرآنية
التفسير الموضوعي للموضوع القرآني

المبحث الرابع: أقسام التفسير باعتبار ترتيبه

ينقسم التفسير باعتبار ترتيبه إلى قسمين:

١- مرتب حسب ترتيب المصحف المعروف، بمعنى أن المفسر يبدأ بتفسير سورة الفاتحة ثم سورة البقرة، وهكذا حتى يختم بتفسير سورة الناس، والتفاسير حسب هذا الترتيب كثيرة جدًا.

٢- مرتب حسب ترتيب النزول، بمعنى أن المفسر يبدأ تفسيره بأول سورة نزلت، ثم يظل يتتبع تلك السور حسب النزول، ويختم تفسيره بتفسير آخر سورة نزلت، والتفاسير حسب هذا النوع قليلة جدًا، وحسب علمي لا يوجد إلا ثلاثة تفاسير هي:

أ- تفسير بيان المعاني للشيخ عبدالقادر ملاحويش العاني، وقد طبع هذا التفسير في ستة مجلدات.

ب- التفسير الحديث للأستاذ محمد عزة دروزة، وقد طبع هذا التفسير في عشرة مجلدات.

ت- معارج التفكر ودقائق التدبر للشيخ عبدالرحمن بن حسن حنبكة الميداني، ولم يكمله.

الدوافع لهذا النوع من التفسير:

١- تجنب ما وقع فيه المفسرون من التكرار.

٢- تعريف القارئ كيفية نزول القرآن وتوقيفه على أسباب نزوله.

٣- يمكن هذا المنهج من متابعة السيرة النبوية زمنا بعد زمن.

٤- تجنب الاختلاف في أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.

٥- بيان حكمة التنزيل ومبادئ القرآن ومتناولاته عامة بأسلوب وترتيب حديثين.

٦- ليتذوق القارئ معاني القرآن بصورة سهلة وميسورة.

٧- التجاوب مع رغبة الشباب المتذمرين من الأسلوب التقليدي في التفسير.

٨- إن هذا المنهج يحقق تسلسل التكامل التربوي.

حكم هذا اللون من التفسير:

اختلف العلماء المعاصرون في حكم هذا اللون من التفسير على قولين:

القول الأول: الجواز، وحجتهم في ذلك الدوافع السابقة لهذا النوع من التفسير، ولأن ترتيب السور في المصحف إنما هو عند التلاوة، لا عند الدراسة القرآنية التفسيرية، وممن قال

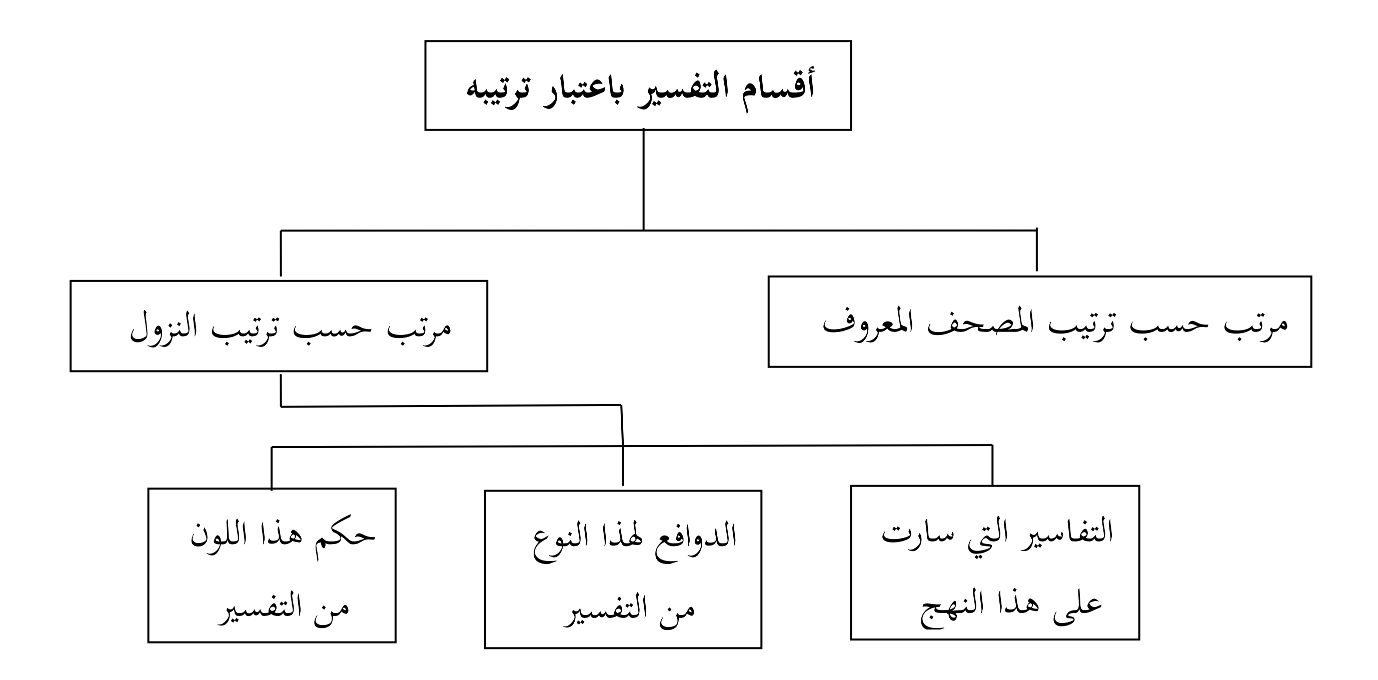
بجوازه من المعاصرين الشيخ أبو اليسر عابدين، والشيخ عبدالفتاح أبو غدة.

القول الثاني: المنع، حجتهم في ذلك: أن هذا اللون من التفسير يوقع في محاذير منها:

١- أنه مخالف لإجماع الأمة على ترتيب سور القرآن الكريم بعد جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه.

٢- أن تفسير القرآن حسب ترتيب النزول قد يجرئ بعضهم على إعادة ترتيب الآيات في السور حسب النزول.

٣- أن هذ التفسير يقضي على جهود العلماء واستنباطاتهم في المناسبات بين السور.



المبحث الخامس: أقسام التفسير باعتبار اتجاهات المفسرين فيه

المراد بالاتجاه: الوجهة التي قصدها المفسر، وغلب عليه، أو كانت بارزة في تفسيره، بحيث تميز بها عن غيره.

والاتجاهات في التفسير لها اعتبارات، فمنها ما يكون بالنظر إلى المذهب العقدي للمفسر، ومنها ما يكون بالنظر إلى العلم الذي غلب على التفسير ونحو ذلك.

أمثلة على بعض التفاسير بالنظر إلى المذهب العقدي

١- الاتجاه السلفي
١-جامع البيان لابن جرير الطبري
٢-تفسير القرآن العظيم لابن كثير
٣-أضواء البيان للشنقيطي

٢- الاتجاه المعتزلي
١-الكشاف للزمخشري
٢-تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبدالجبار

٣-الاتجاه الأشعري
مفاتيح الغيب للرازي

٤- الاتجاه الشيعي
١-مجمع البيان للطبرسي
٢-مرآة الأنوار للكازراني

٥-الاتجاه الباطني
مفتاح باب الأبواب لميرزا محمد مهدي خان

٦-الاتجاه الخارجي
هميان الزاد إلى دار المعاد لمحمد بن يوسف طفيش

٧-الاتجاه الصوفي
١-عرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمد الشيرازي
٢-التأويلات النجمية لنجم الدين داية وعلاء الدولة السمناني

٨-الاتجاه الفلسفي
١-فصوص الحكم للفارابي
٢-رسائل ابن سينا

٩-الاتجاه الإلحادي
الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن لمحمد أبو زيد.

أمثلة لبعض التفاسير بالنظر إلى العلم الذي غلب على التفسير

١–الاتجاه اللغوي

١–معاني القرآن للفراء

٢–مجاز القرآن لأبي عبيدة

٢–الاتجاه النحوي

إعراب القرآن للنحاس

البحر المحيط لأبي حيان

الدر المصون للسمين الحلبي

٣–الاتجاه البلاغي

الكشاف للزمخشري

التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور

٤–الاتجاه الفقهي

١–الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

٢–أحكام القرآن للجصاص

٣–أحكام القرآن لكيا الهراسي

٤–أحكام القرآن لابن العربي

٥–الاتجاه العلمي

الجواهر في تفسير القرآن الكريم لطنطاوي جوهري

٦–الاتجاه الأدبي

في ظلال القرآن لسيد قطب

٧–الاتجاه التربوي

١–التفسير التربوي للقرآن الكريم لأنور البار

٢–ملامح التفسير التربوي لإبراهيم بن سعيد الدوسري

٨–الاتجاه النفسي

القرآن وعلم النفس لمحمد عثمان نجاتي

المبحث السادس: أقسام التفسير باعتبار اللفظ والمعنى والإشارة

ينقسم التفسير باعتبار اللفظ والمعنى والإشارة إلى ثلاثة أقسام:

أولًا: التفسير باللفظ، وهو بيان معنى اللفظة في كلام العرب، والاستدلال على ذلك بالشواهد إن وجدت.

وهذا الأسلوب الذي تسلكه معاجم اللغة، ككتاب العين للخليل، وكتاب جمهرة اللغة للأزدي، وغيرها من المعاجم، ولقد كان لهذا الأسلوب مكانة في تفسير السلف، ومن خلال استقراء تفسيرهم وجد أن لهم في البيان اللغوي للقرآن على هذا الأسلوب طريقين:

الأول: أن يذكروا معنى اللفظة في اللغة دون أن ينصوا على ما يدل عليه من شعر أو نثر، مثاله ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في بيان معنى "دهاقا" من قوله تعالى: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ النبأ: ٣٤ ، قال: "ملاىٔ".

الثاني: أن ينصوا على الاستدلال بلغة العرب في تفسير اللفظة وهذا قسمان:

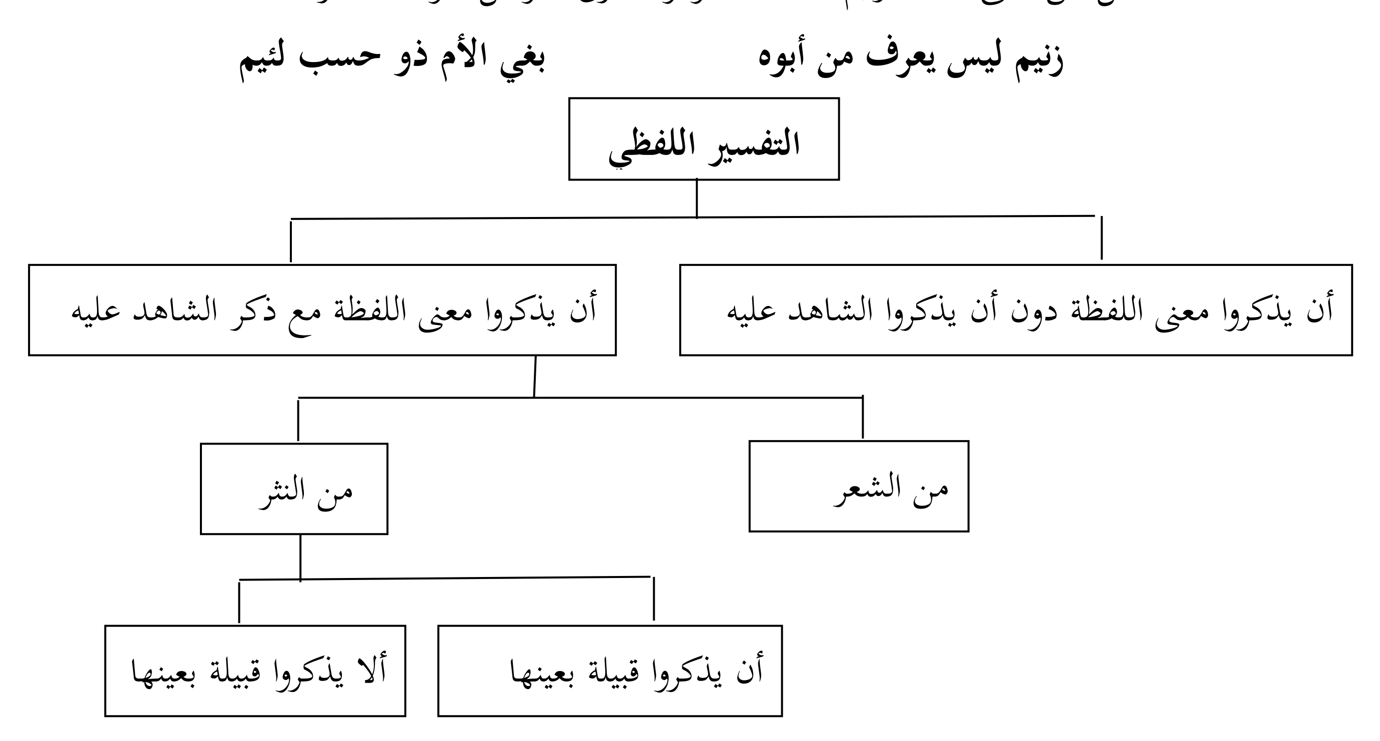
القسم الأول: أن يستشهدوا بالشعر، و**القسم الثاني**: أن يستشهدوا بالنثر، وهو نوعان:

النوع الأول: أن ينصوا على لغة القبيلة التي نزل القرآن بلفظها.

النوع الثاني: أن يرجعوا إلى منثور كلام العرب دون أن ينصوا على لغة قبيلة بعينها.

مثال ما نصوا على الاستدلال على معناه بلغة العرب: ما روي عن عكرمة ت١٥٠هـ عندما سئل عن معنى كلمة "زنيم" فقال:" هو ولد الزنى"، وتمثل بقول الشاعر:

زنيم ليس يعرف من أبوه   بغي الأم ذو حسب لئيم



ثانيًا: التفسير بالمعنى، هو بيان المراد بالآية دون النظر إلى تحرير الألفاظ في اللغة.

أي أن المفسر لا يلتزم بيان المفردات اللغوية، بل يذهب إلى المعنى المراد، ولو بألفاظ غير مطابقة لألفاظ الآية.

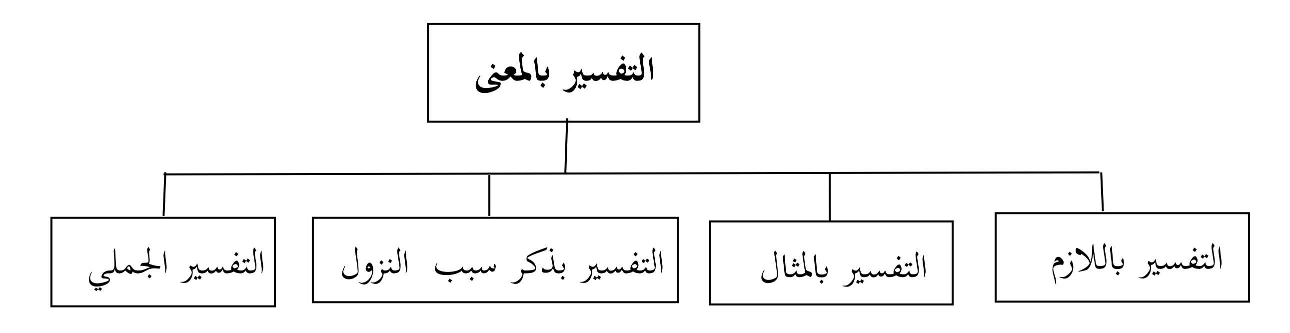
وهو أنواع كثيرة منها:

النوع الأول: التفسير باللازم، كتفسير قوله تعالى:﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ** ﴾ البقرة: ٢٧، أولئك هم الهالكون، فمادة "خَسِرَ" في اللغة تدل على النقص، ويكون تفسير من فسره بالهلاك من التفسير باللازم، أي: أنَّ لازم خسارة هذا الخاسر هلاكه.

النوع الثاني: التفسير بالمثال، كتفسير قوله تعالى:﴿ **وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ** ﴾البقرة: ٥٧، فُسِّر المن بأنه شراب كان ينزل عليهم، مثل العسل، وهذا تفسير بالمثال إذ المراد بالمنّ عموم ما من الله به على بني إسرائيل، ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**الكمأة من المنّ**".

النوع الثالث: التفسير بذكر سبب النزول، فقد يعدل المفسر عن ذكر بيان الألفاظ إلى بيان سبب النزول، فيكون من باب التفسير بالمعنى، كتفسير قوله تعالى:﴿ **إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ** ﴾ آل عمران: ١٢٢، فيذكر سبب النزول وأنها نزلت في بني سلمة وبني الحارث.

النوع الرابع: التفسير بالمعنى الجملي: بمعنى أن المفسر يبين معنى الآية إجمالا دون التعرض لبيان مفرداتها، كتفسير قتادة ت ١١٧هـ قوله تعالى:﴿ **كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ** ﴾ الصف: ٤، قال: "ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه، فكذلك الله تبارك وتعالى لا يحب أن يختلف أمره، وإن الله وصف المؤمنين في قتالهم، وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله، فإنه عصمة لمن أخذ به" رواه السيوطي في الدر المنثور.



ثالثًا: التفسير باعتبار الإشارة، وهو المسمى بـ "التفسير الإشاري، والتفسير على القياس، والتفسير الصوفي الفيضي": وهو تأويل القرآن بغير ظاهره؛ لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، وقيل: هو إلحاق معنى باطن في الآية بظاهرها الذي يدل عليه اللفظ.

آراء العلماء في التفسير الإشاري قبولا أو منعا:

اختلف العلماء حوله فمنهم من أجازه ومنهم من منعه، والراجح أنه يقبل بشروط، وأهم هذه الشروط هي:

١- ألا يتنافى مع معنى الآية الظاهري.

٢- أن يكون المعنى صحيحًا في نفسه.

٣- أن يكون في اللفظ إشعار به.

٤- أن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

٥- ألا يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.

٦- ألا يكون تأويلًا بعيدًا سخيفًا.

فإذا توفرت فيه هذه الشروط، قُبِلَ، ولا يجب الأخذ به؛ لأنه إلهامات غير مقيدة بلغة أو بقوانين.

أهم كتب التفسير الإشاري:

١- تفسير القرآن العظيم لأبي محمد سهل بن عبدالله التستري.

٢- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن بن محمد النيسابوري.

٣- حقائق التأويل لأبي عبدالرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي.

٤- تفسير روح المعاني للآلوسي.

الفرق بين التفسير الإشاري، والتفسير الباطني:

والتفسير الباطني هو: التفسير بغير الظاهر مع إبطال الظاهر أو جعله للعامة دون الخاصة.

ويفرق بينهما بالآتي:

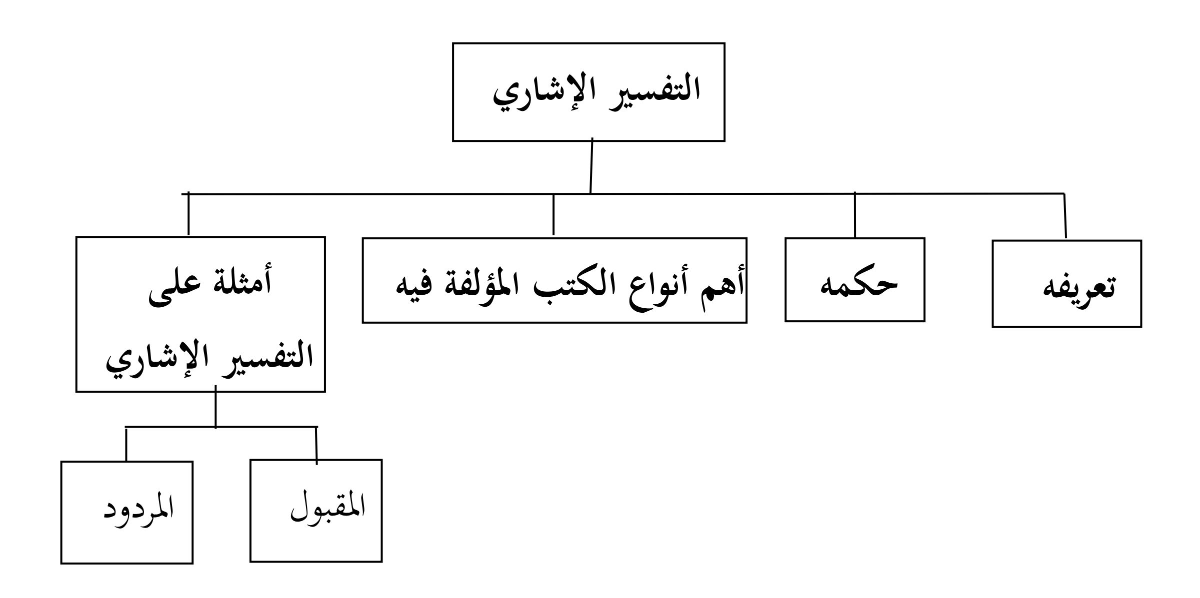
١- التفسير الإشاري لا يمنع إرادة الظاهر، أما التفسير الباطني فيقول أربابه: المعنى الظاهر غير مراد أصلا.

٢- التفسير الإشاري منه المقبول ومنه المردود حسب توافر الشروط، أما التفسير الباطني

فالأصل فيه الرد، وعدم القبول.

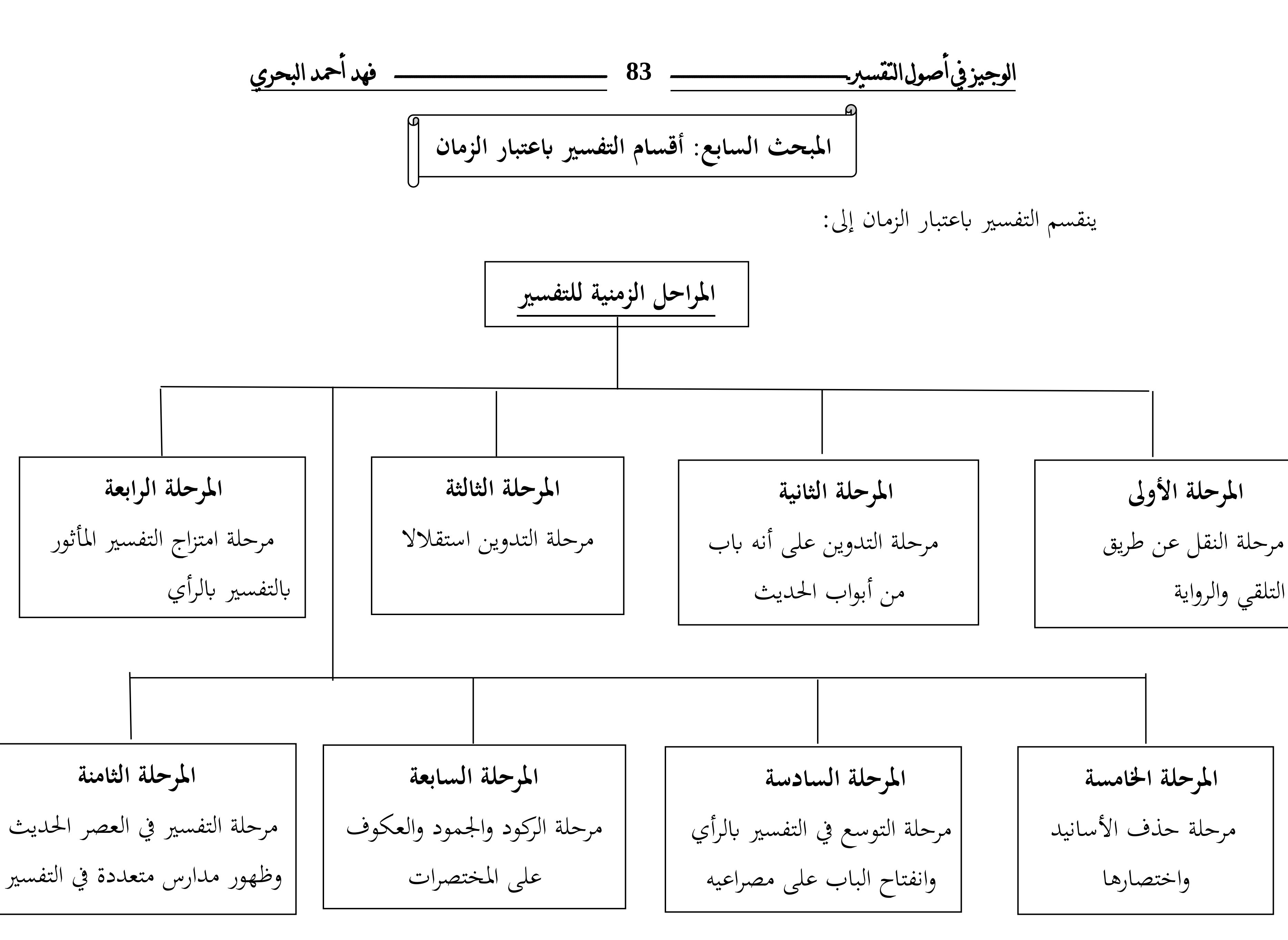
مثال للتفسير الإشاري المقبول: تفسير قول الله عز وجل: ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٨، يقول التستري: "عجل كل إنسان ما أقبل عليه، فأعرض به عن الله من أهل وولد، ولا يتخلص من ذلك إلا بعد إفناء جميع حظوظه من أسبابه، كما لم يتخلص عبدة العجل من عبادته إلا بعد قتل النفوس".

مثال التفسير الإشاري المردود: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾ المزمل: ٨، يقول: "واذكر اسم ربك الذي هو أنت، أي: اعرف نفسك، واذكرها، ولا تنسها، فينسك الله، واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها"، فهذا التفسير أشبه بالقول بوحدة الوجود، فهو تفسير مردود.



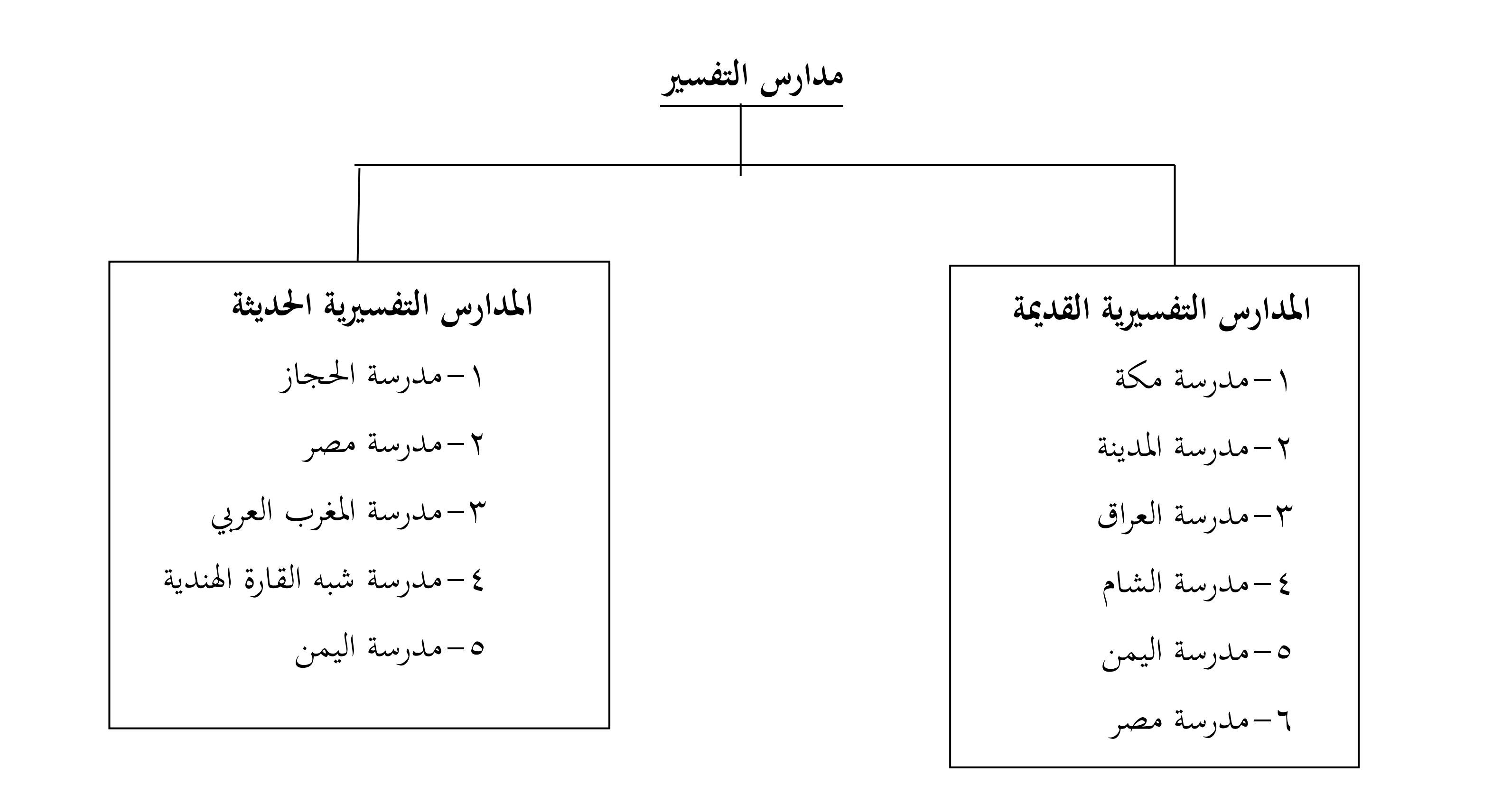
المبحث السابع: أقسام التفسير باعتبار الزمان

ينقسم التفسير باعتبار الزمان إلى:



المبحث الثامن: أقسام التفسير باعتبار المكان

التفسير باعتبار المكان ينقسم بعدد المدارس التفسيرية سواء كانت في الماضي أم في العصر الحديث، ولذلك يصعب جدًا تحديد المدارس على وجه الدقة؛ لذا سنذكر أهم تلك المدارس قديما وحديثا:



الفصل الرابع: طرق التفسير

المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن

المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة

المبحث الثالث: تفسير القرآن بأقوال السلف

المبحث الرابع: تفسير القرآن باللغة

المبحث الخامس: تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد

المبحث السادس: تفسير القرآن بأقوال أهل الكتاب

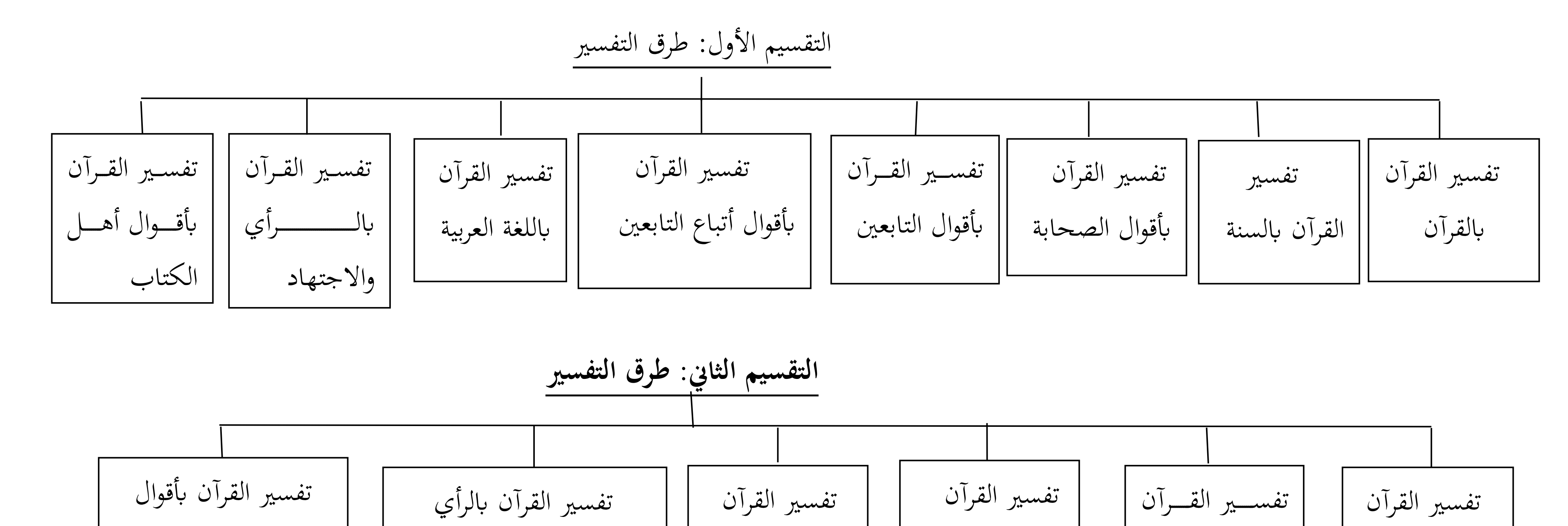
طرق التفسير

طرق التفسير هي: المراجع الأولية التي يرجع إليها المفسر عند تفسيره للقرآن الكريم

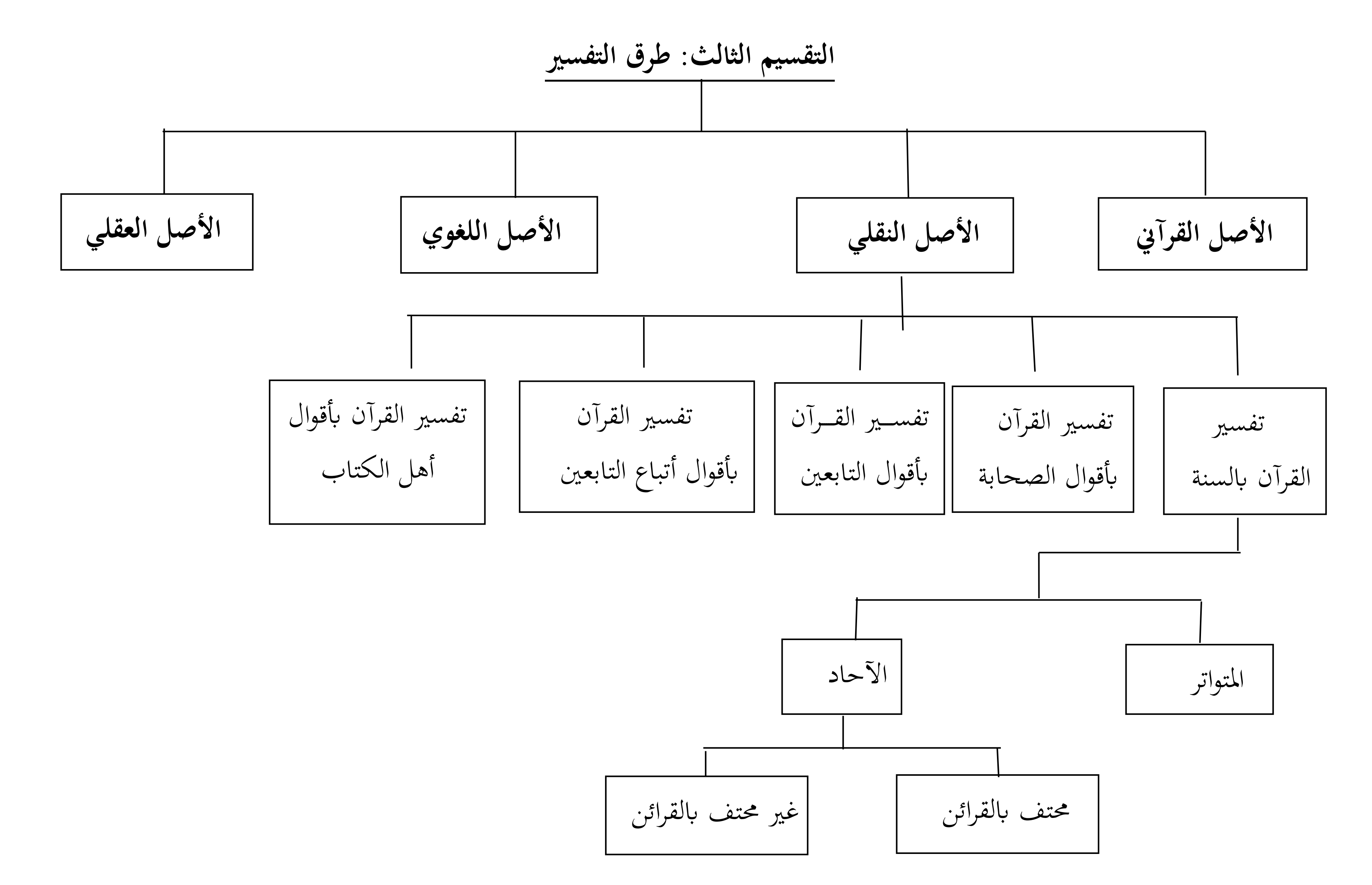
وتسمى: ١-طرق التفسير ٢-استمداد التفسير ٣-أصول التفسير ٤-مصادر التفسير ٥-أمهات مآخذ التفسير ٦-مآخذ التفسير.

تقسيمات طرق التفسير:

اختلف الباحثون في علم أصول التفسير حول تقسيمات طرق التفسير، وإن كانوا متفقين على مضمون هذه التقاسيم، وأبرز هذه التقاسيم هي:



التقسيم الثالث: طرق التفسير



المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن

تفسير القرآن بالقرآن هو: بيان معنى آية بدلالة آية أخرى، وهي أجل الطرق وأصحها؛ لأنه لا أحد أعلم من الله بكلامه، ولأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم فعله.

أقسامه:

هو نوعان: ١-صريح، ويسمى تفسير القرآن للقرآن ٢-غير صريح، ويسمى تفسير القرآن بالقرآن.

فالأول: ما دل النص صراحة على التفسير، ويجب قبوله، ولا يجوز رده، **أما الثاني** فإن ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو حجة، وإن ورد عن غيره فهو مبني على الاجتهاد، فقد يكون صحيحًا مقبولًا، وقد لا يكون صحيحًا، بل قد يفعله المبتدع.

وقد يكون التفسير متصلا كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ الطارق: ٢، فسر بقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴾ الطارق: ٣، وقد يكون منفصلًا كقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ الأنعام: ٨٢، فسر بقوله تعالى في سورة لقمان: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان: ١٣، فالأول أصرح، والثاني أصعب.

أنواعه: أنواعه كثيرة منها:

١- **بسط الموجز:** مثل قصة أصحاب السبت التي أوجزت في سورة البقرة، وبسطت في سورة الأعراف.

٢- **بيان المجمل**، وهو ما احتاج إلى بيان كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ المائدة: ١، بينه تعالى في الآية التي تليها بقوله: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ ﴾ ...**الآية**، المائدة: ٣.

٣- **تقييد المطلق**، والمطلق هو المتناول لواحد لا بعينه كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ آل عمران: ٩٠، قيدت بقوله تعالى: ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾ النساء: ١٨.

٤- **تخصيص العام**، والعام هو الكلام المستغرق لما يصلح له بحسب الواقع دفعة بلا حصر، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾البقرة: ٢٢٨، خص بقوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾الطلاق: ٤.

٥- **تفسير الغريب**، والغريب هو الذي يقل استعماله، كقوله تعالى: ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ الحجر: ٧٤، فَسَّر السجيل بقوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴾ الذاريات: ٣٣.

٦- **بيان المعنى**: كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾ المعارج: ١٩ - ٢١.

٧- **تأكيد المفهوم**: وهو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق، كالمفهوم من قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ المطففين: ١٥، جاء منطوقا في قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٣.

أمثلة على هذا النوع من التفسير:

١- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

٢- مفاتيح الرضوان لابن الأمير الصنعاني.

٣- تفسير القرآن بكلام الرحمن لثناء الله الهندي الأمرتسري

٤- أضواء البيان للشنقيطي.

ويشترط لمن يقوم بهذا النوع من التفسير عدة شروط منها:

١- الإلمام بالقرآن، وبمعانيه، وعاداته.

٢- الإلمام بالوجوه والنظائر.

٣- الإلمام بالقراءات.

٤- إدراك سياق الآية وسابقها ولاحقها.

٥- الإلمام بأوجه الروابط بين الآيات، ومن أهم تلك الروابط:

- اتفاق الحدث، واختلاف التعبير.
- حمل اللفظة المتفقة بين الآيتين على معنى واحد.

أهم القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالقرآن:

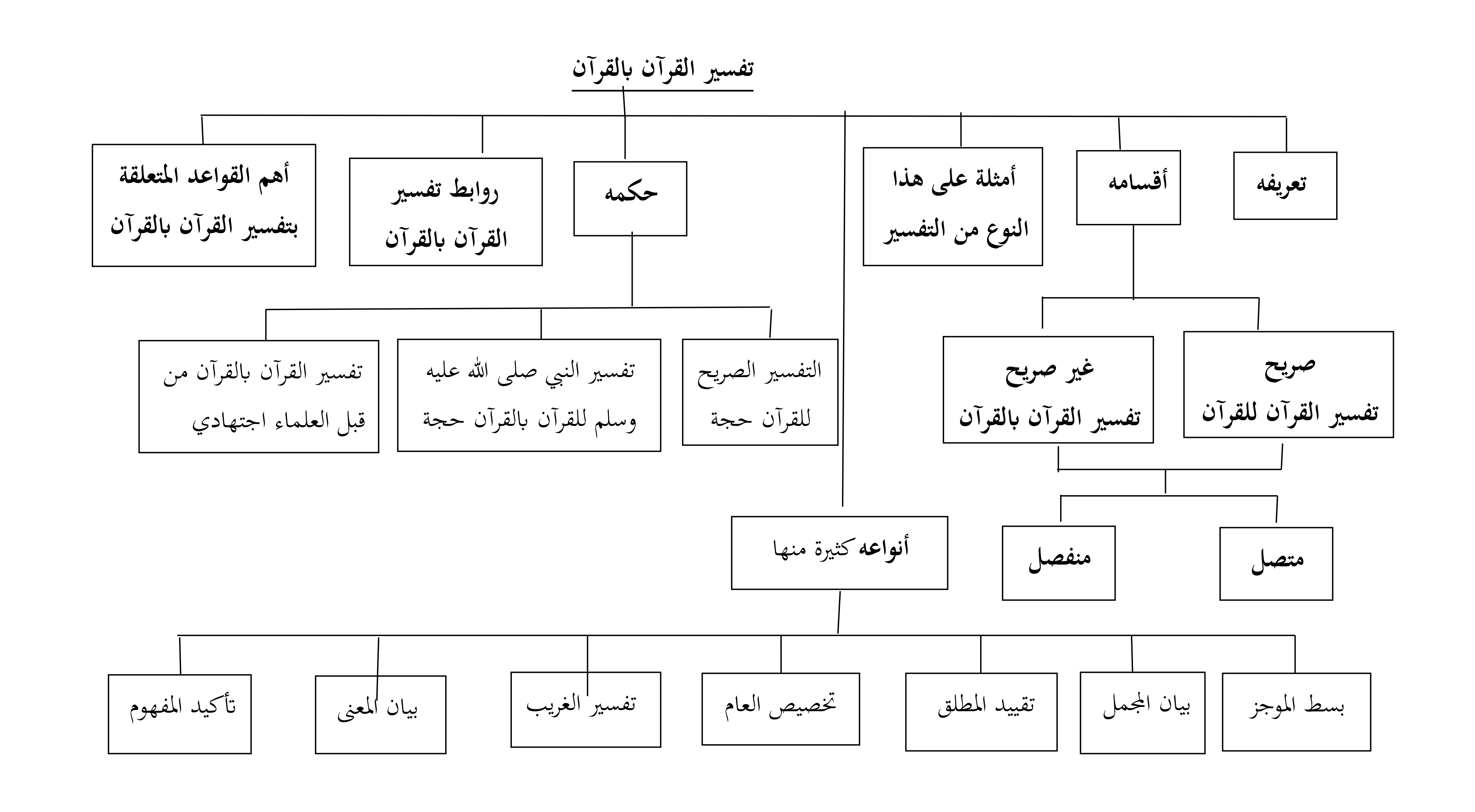
١- تفسير القرآن بالقرآن أفضل طرق التفسير.

٢- تفسير القرآن بالقرآن تارة يكون من باب المطابقة، وتارة من باب التضمن، وتارة من باب الالتزام.

٣- من مصادر تفسير القرآن بالقرآن التفسير بالقراءات الثابتة.

٤- يستفاد من القراءة الشاذة في تفسير القرآن بالقرآن.

٥- لا يستقل تفسير القرآن بالقرآن عن تفسير القرآن بالسنة.


تفسير القرآن بالقرآن
تعريفه
أقسامه
أمثلة على هذا النوع من التفسير
حكمه
روابط تفسير القرآن بالقرآن
أهم القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالقرآن
صريح تفسير القرآن للقرآن
غير صريح تفسير القرآن بالقرآن
متصل
منفصل
التفسير الصريح للقرآن حجة
تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن بالقرآن حجة
تفسير القرآن بالقرآن من قبل العلماء اجتهادي
أنواعه كثيرة منها
بسط الموجز
بيان المجمل
تقييد المطلق
تخصيص العام
تفسير الغريب
بيان المعنى
تأكيد المفهوم

المبحث الثاني: تفسير القرآن بالسنة

تفسير القرآن بالسنة: بيان معنى آية بحديث نبوي.

ووجه اعتبار السنة مصدرا للتفسير، أنَّ الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم ببيان القرآن؛ ولأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بمراد الله عز وجل.

أقسامه:

يمكن تقسيم تفسير القرآن بالسنة إلى نوعين:

١- التفسير النبوي "التفسير المباشر بالسنة"   ٢- التفسير غير المباشر بالسنة.

أولًا: التفسير النبوي "التفسير المباشر بالسنة"

هو أن يعمد النبي صلى الله عليه وسلم إلى آية يذكرها في كلامه أو يشير إليها، ثم يبين معناها أو يقر أحد من أصحابه على فهمه لها، وله أنواع كثيرة منها:

١- أن ينصَّ صلى الله عليه وسلم على تفسير آية ابتدًاء سواء قدم التفسير على الآية أو آخره، كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الكوثر ثم قال: "**أتدرون ما الكوثر؟**" فقلنا: الله ورسوله أعلم**!** قال: "**فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير**".

٢- أن يشكل على الصحابة شيء، فيبينه لهم، كما في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ الأنعام: ٨٢.

٣- أن يتأول القرآن فيعمل بما فيه، كما في قوله تعالى:﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ ﴾ النصر: ٣.

٤- أن يتلو الآية في موطن يعرف به معناها، مثل قوله تعالى في غزوة بدر:﴿ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ القمر: ٤٥.

٥- أن يقر أحد أصحابه على فهمه لها، كإقراره لعمرو بن العاص رضي الله عنه عندما تيمم في ليلة باردة شديدة، ولم يغتسل من جنابته، فتلا عمرو قوله تعالى:﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾النساء: ٢٩، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم إقرارًا له، ولم يقل شيئًا.

حكمه:

متى ثبت الحديث، وكان واردًا مورد التفسير للآية، وجب قبوله وحرم رده، أما الموضوع فيجب تجنبه، وكذا ما اشتد ضعفه، أما الضعيف فيقدم على الأقوال دون إلزام به، ويرجح به.

ثانيًا: التفسير بالسنة غير المباشر

هو أن يفسر المفسر الآية بكلام للنبي صلى الله عليه وسلم لم يرد في سياق التفسير.

وله أنواع كثيرة منها:

١- بيان التأكيد كقوله صلى الله عليه وسلم:" **لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه**"، فإنه موافق لقوله تعالى:﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ البقرة: ١٨٨ ، وهذا كثير.

٢- بيان المجمل كأعداد الصلوات وكيفياتها.

٣- تخصيص العام كتخصيص قوله صلى الله عليه وسلم: "**ليس لقاتل ميراث**" لعموم قوله تعالى:﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾النساء: ١١.

٤- تقييد المطلق، كتقييد قوله تعالى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾ المائدة: ٣٨ ، بأن تكون اليمنى، ومن مفصل الكف وأن تبلغ السرقة النصاب، كما جاءت في السنة.

٥- أيضًاح المشكل كما في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ الانشقاق: ٣، قال صلى الله عليه وسلم: "**يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر**".

٦- بيان ما سكت عنه القرآن، كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها.

الكتب المصنفة في تفسير القرآن بالسنة:

الكتب المصنفة في تفسير القرآن بالسنة تصنف على قسمين:

الصنف الأول: من اقتصر على رواية المأثور دون زيادة، وأهم تلك الكتب:

١- تفسير عبدالرزاق الصنعاني ت٢١١هـ.

٢- تفسير ابن مردويه ت٤١٤هـ.

٣- تفسير عبد بن حميد ت٢٤٩هـ.

٤- تفسير ابن أبي حاتم ت٣٢٧هـ.

٥- تفسير ابن المنذر ٣١٨هـ.

٦- الدر المنثور للسيوطي ٩١١هـ.

الصنف الثاني: من ذكر ما يتعلق بالآية من لغة وقراءات وفقه ونحوها، وأهم تلك الكتب هي:

١-جامع البيان للطبري. ٢-بحر العلوم للسمرقندي

٣-الكشف والبيان للثعلبي. ٤-معالم التنزيل للبغوي.

٥-الجواهر الحسان للثعالبي. ٦-تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

حكمـه:

يمكن تقسيم التفسير بالسنة غير المباشر من حيث الحجية إلى قسمين:

الأول: ما يكاد يقع عليه الاتفاق من أن الحديث يفسر الآية، وهذا حجة بلا خلاف.

الثاني: ما يكون الاستدلال بالحديث على بيان معنى الآية فيه منازعة بين العلماء، وهذا لا يكون حجة مطلقًا، وإنما يكون الحديث قرينة في الترجيح.

أهم القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالسنة:

١- يجب الاعتناء بأقسام البيان النبوي فهي من أوجه بيان السنة للقرآن.

٢- السنة مبينة للقرآن، وهي مستقلة عنه.

٣- ليس في السنة ما يخالف القرآن.

٤- يجب الحذر في المنقول من الموضوع، وما اشتد ضعفه.

٥- لا يستقل تفسير القرآن بالسنة عن تفسير القرآن بالقرآن.

٦- لا يجوز العدول عن تفسير النبي صلى الله عليه وسلم.

تفسير القرآن بالسنة

- **تعريفه**
- **أقسامه**
  - التفسير المباشر بالسنة
    - تعريفه
    - أنواعه
    - حكمه
  - التفسير غير المباشر بالسنة
    - تعريفه
    - أنواعه
    - أهم الكتب المصنفة فيه
    - حكمه
- **أهم القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالسنة**

المبحث الثالث: تفسير القرآن بأقوال السلف

السلف: القوم المتقدمون، ويراد بهم في الاصطلاح: الصحابة والتابعون وتابعيهم.

ويدل على خيريتهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم** " رواه البخاري ومسلم.

وتفسير القرآن بأقوال السلف: هو بيان معاني القرآن الكريم بأقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم.

التعريف بطبقات السلف:

أولًا: طبقة الصحابة

الصحابي: هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا، ومات على ذلك.

والمفسر من الصحابة: هو من كان له آراء في التفسير، وكان متصديا له.

ثانيًا: طبقة التابعين

التابعي: هو من لقي الصحابي، وهو مؤمن، ومات على ذلك.

ثالثًا: طبقة أتباع التابعين

تابع التابعي: هو من لقي التابعي، وهو مؤمن، ومات على ذلك.

وجه اعتبار أقوال الصحابة مصدرا للتفسير:

أهمية تفسير الصحابة:

ذكر العلماء أسبابا تدل على أهمية الرجوع إلى تفسيرهم، ومن أهمها:

١- أنهم شهدوا التنزيل، وعرفوا أحواله.

٢- أنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن.

٣- أنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن.

٤- حسن فهمهم، وسلامة قصدهم، وتزكية الله لهم.

وأما وجه اعتبار أقوال التابعين وأتباعهم مصدرا للتفسير:

١- أن التابعين وأتباعهم وعاء لتفسير الصحابة.

٢- ثبات منهجهم ومصادرهم على ما كان عليه الصحابة.

٣- يلزم من عدم اعتماد أقوالهم انقطاع حلقات الصحابة.

٤- اعتماد تفسيرهم لدى العلماء المدونين للتفسير بالمأثور.

٥- أنهم في عصر الاحتجاج اللغوي.

أنواع تفسير السلف:

يمكن تقسيم التفسير الذي وجد عند السلف من خلال نظرين: النظر إلى ما رووه، والنظر إلى ما قالوه بالاجتهاد.

النوع الأول: التفسير المنقول، وهذا النوع يشمل:

١- ما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسيراته الصريحة وله عدة صور:

الصورة الأولى: أن يرويه الصحابي عن النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا يعد من قبيل التفسير النبوي، لا من تفسير الصحابي.

الصورة الثانية: أن يذكر التابعي أو تابع التابعي تفسير النبي صلى الله عليه وسلم بالإسناد إليه.

الصورة الثالثة: أن يذكر التابعي أو تابع التابعي التفسير النبوي ويرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم دون إسناد، فيكون مرسل التابعي، أو مقطوع تابع التابعي، وهناك خلاف في قبول المراسيل كما هو مقرر في علم مصطلح الحديث.

٢- ما يروى عنهم من أسباب النزول الصريحة، وغالبا ما تكون عبارتهم الصريحة في ذلك: "فأنزل الله" أو عبارة: "فأنزلت" أو عبارة: "فنزلت" الدالة على التعقيب، وقد يرد غير هذه العبارات مما يوحي بسبب النزول المباشر، ويؤخذ ذلك من العبارة وسياقها.

والأصل في هذه الأسباب الصريحة التي يرويها الصحابة أنها في حكم المرفوع، إلا إذا ظهر ما يدل على أن الصحابي قالها باجتهاده، وهو لا يقصد سبب النزول المباشر، بل يريد أن ما ذكره يدخل في حكم الآية.

وسبب النزول الصريح يبنى عليه التفسير، ولا تجوز مخالفته بل يكون دليلًا على بطلان التفسير الذي يخالف ما دل عليه السبب، أما إذا روى التابعي أو تابع التابعي أسباب النزول الصريحة فله حالتان:

الحالة الأولى: أن يذكر الإسناد إلى الصحابي.

الحالة الثانية: أن تكون رواية التابعي مرسلة، ورواية تابع التابعي مقطوعة لا يذكرون فيها الصحابي، وهذا كثير عندهم، وقد سبق أن هذه المراسيل فيها خلاف، فمنهم من قبلها بإطلاق، ومنهم من ردها بإطلاق، ومنهم من قبلها إذا تعددت طرقها؛ لأن ذلك يدل على وجود أصل صحيح للمروي.

٣- ما يرويه التابعون عن الصحابة:

وحكمه حكم تفسير الصحابي؛ إلا أنه بالنسبة للراوي من قبيل المنقول، وإن كان بالنسبة لقائله رأي.

٤- ما يرويه أتباع التابعين عن التابعين:

وحكمه حكم تفسير التابعي، إلا أنه بالنسبة للراوي من المنقول، وإن كان بالنسبة لقائله رأى.

النوع الثاني: تفسير السلف بالرأي

وهذا النوع يشمل:

١- ما يكون له عندهم أكثر من وجه في المعنى، كتفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴾ الطور: ٦، ورد تفسيرات عن الصحابة، الأول: المسجور أي: الموقد، الثاني: المحبوس، الثالث: المملوء.

٢- ما يحكونه من أسباب النزول غير الصريحة، مثاله: ما روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال: "نزلت في الحرورية﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ﴾ المائدة: ٣٣، والحرورية "الخوارج" لم يكونوا موجودين لما نزلت الآية، لكن سعدًا نَزَّلَ الآية عليهم، ورأى أنهم يدخلون في حكمها.

٣- ما يربطون الآية به من القصص:

وهذه القصص إما أن تكون واردة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإما أن تكون مما تناقله العرب من أخبارهم، وإما أن تكون من أخبار بني إسرائيل، فإن كان الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التفسير، فإنه يلحق بالتفسير النبوي من حيث القبول، وإن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قصة توافق ما ورد في القرآن من دون أن ينص على أنها تفسير للآية، فإن حمل الآية عليها ــ وإن كان الارتباط بينهما واضحًا ــ من اجتهاد المفسر، وذلك كاجتهاده في

ربط القصص التي عن النبي صلى الله عليه وسلم أيًّا كان مصدرها.

ويدخل في ذلك تفسيرهم للمغيبات، فبعض الأخبار الواردة في اليوم الآخر، أو ما ورد من أخبار آخر الزمان مما أشار إليه القرآن، يرد فيها الاحتمال السابق في القصص، فيحتمل أنها مما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أنهم أخذوه من مصدر آخر.

وهذا يشمل تفسير التابعين وأتباعهم، فما رووه في المغيبات حكمه حكم المراسيل والمقطوعات، فليست مقبولة على الإطلاق ولا مرفوضة على الإطلاق، بل مرجع ذلك يعتمد على المثال المتكلم فيه، ومدى صحته وقبوله من عدمه.

حجية تفسير القرآن بأقوال السلف:

ينقسم تفسير السلف من حيث الحجية إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول: ما هو حجة باتفاق العلماء، ويندرج تحت هذا القسم ما يلي:

١- ما يرويه الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم من تفسيرات.

٢- ما يرويه الصحابة من أسباب النزول الصريحة.

٣- ما أجمع عليه الصحابة أو التابعون أو أتباع التابعين.

٤- ما يكون له وجه واحد في المعنى لا غير، كتفسير قوله تعالى:﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾البقرة: ٢ ، لا شك فيه، فلا يوجد للريب معنى آخر فيقع احتماله.

القسم الثاني: ما هو من قبيل الاجتهاد، ويندرج تحت هذا القسم ما يلي:

١- ما يرويه التابعون عن الصحابة.

٢- ما يرويه أتباع التابعين عن التابعين.

٣- ما يحكيه الصحابة أو التابعون أو أتباع التابعين من أسباب النزول غير الصريحة.

٤- ما يكون له عندهم أكثر من وجه في المعنى.

٥- ما يربطون الآية به من القصص.

القسم الثالث: ما حصل فيه الخلاف بين القبول والرد، ويندرج تحت هذا القسم ما يلي:

١- ما يرويه التابعون أو أتباع التابعين من التفسيرات النبوية.

٢- ما يرويه التابعون أو أتباع التابعين من أسباب النزول الصريحة.

٣- ما نقل عن أحد الصحابة أو التابعين أو أتباع التابعين من قول اشتهر ولا يعلم له مخالف.

ملحوظة: ما نقله الصحابة أو التابعون أو أتباع التابعين عن أهل الكتاب يأخذ حكم مرويات أهل الكتاب.

هل يجب نقد كل المرويات الواردة في التفسير؟

أما ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيجب تمييز الصحيح من الضعيف، خاصة إن ترتب على ذلك حكم عقدي أو فقهي.

أما ما ورد عن السلف، فقد اختلفت أنظار العلماء في ذلك، فمنهم من ذهب إلى أن الأصل هو نقد تلك الروايات، وتمييز صحيحها من ضعيفها، ومنهم من ذهب إلى أن الأصل عدم النقد، وعليه سار المتقدمون من المحدثين والمفسرين، ومنهم من توسط في ذلك، فذهب إلى وجوب بيان الطرق التفسيرية التي اشتهرت بالضعف، مع إمكانية الاستفادة منها ما دامت لم تذكر قولًا منكرًا، ومن أجل ذلك ذكر العلماء أهم الطرق الواردة في التفسير عن الصحابة رضي الله عنهم، ومنها:

أهم الطرق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

١- طريق الزهري عن علي زين العابدين عن أبيه الحسن عن أبيه علي رضي الله عنه، وهي من أصح الأسانيد.

٢- طريق هشام بن عروة عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلماني عنه، وهذه يخرج منها البخاري.

٣- طريق ابن أبي الحسين عن الطفيل عنه، وهي صحيحة أيضًا.

أهم الطرق عن ابن عباس رضي الله عنهما:

١- طريق أبي صالح كاتب الليث عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة الوالبي عنه، وقد اعتمدها البخاري فيما يعلقه في تراجم الأبواب، وهي من أجود الطرق.

٢- طريق عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير عنه، وهي نسخة يحتج بها.

٣- طريق شبل بن عباد عن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر عنه وهي طريق صحيحة.

٤- طريق جويبر بن سعيد وأبي روق ومقاتل بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم عنه،

وهذه الطريق فيها كلام.

٥- طريق الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة، وهي طريق حسنة ونسخة مستقلة.

٦- طريق محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي عن أبيه عن عمه عن أبيه عن أبيه عطية بن سعد العوفي عنه، وهو مسلسل بالضعفاء، وقد يتساهل فيه؛ لأن حديثهم عن كتاب، وقد أخرج منها الطبري كثيراً.

٧- طريق السدي عن أبي مالك غزوان الغفاري عنه، وقد أخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم.

٨- طريق الكلبي عن أبي صالح باذام مولى أم هانئ عنه، وهي من أوهى الطرق عن ابن عباس، وقد أخرج منها ابن منذر وسعيد بن منصور، وغيرهم.

٩- طريق جويبر بن سعيد عن الضحاك بن مزاحم عن نافع الأزرق، ولا تثبت كنسخة والمحاورة بين ابن عباس ونافع لها أصل.

أهم الطرق عن أبي بن كعب رضي الله عنه

١- طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عنه، وهي طريق حسنة ونسخة مستقلة أخرج منها الطبري وابن أبي حاتم.

أهم الطرق عن ابن مسعود رضي الله عنه:

١- طريق السدي عن مرة الهمداني عنه، وقد خرج منها الطبري والحاكم وغيرهما.

طرق السلف في التعبير عن التفسير

الأصل في التفسير أن يكون بيانا للمفسر بما يطابقه في المعنى إلا أن المفسر قد يعدل عن ذلك إلى بيان معنى الآية بطرق أخرى أهمها:

٢- التعبير بالمثال، كتفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ الأنعام: ١٧ ، الضر هو المرض، فهذا تفسير بالمثال.

٣- التعبير بذكر سبب النزول كتفسير قوله تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا ﴾ آل عمران: ١٢٢ ، نزلت في بني سلمة وبني الحارث، فهذا تفسير بذكر السبب.

٤- التعبير باللازم، كتفسير: ﴿ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ بالهالكين، وهذا تفسير باللازم، إذ معنى "الخاسرون" في الأصل: الناقصون.

٥- التعبير بجزء المعنى

٦- التفسير السياقي، وهو المراد باللفظة في سياق معين، كتفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴾ عبس: ٢٠، فالسبيل بالاتفاق هو الطريق، لكنهم اختلفوا في معناه السياقي، فقيل: يسر له طريق خروجه من بطن أمه، وقيل: يسر له طريق الخير والشر.

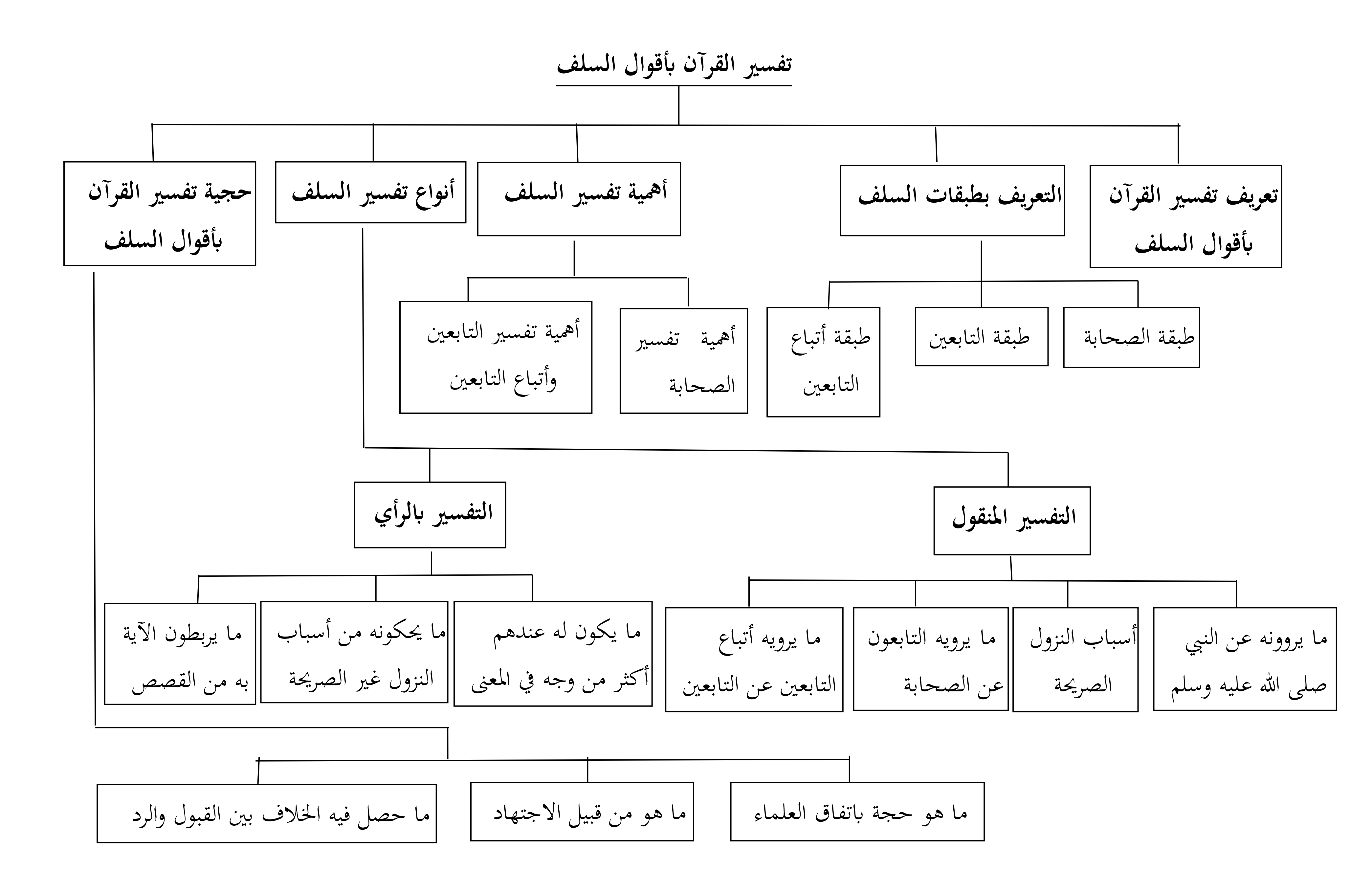
أهم القواعد المتعلقة بتفسير السلف:

١- قول الصحابي مقدم على غيره في التفسير، وإن كان ظاهر السياق لا يدل عليه.

٢- فهم السلف للقرآن حجة يُحْتَكَم إليه لا عليه.

٣- إذا اختلف السلف في تفسير آية على قولين لم يجز لمن بعدهم إحداث قول ثالث يخرج عن قولهم.

٤- لا يجوز أن يقع عند السلف خطأ محض في فهم معنى من المعاني، بحيث يقال: إنهم أخطؤوا جميعًا في فهم هذه الجملة أو تلك؛ لأنه يلزم منه تجهيل الأمة بفهم كلام ربها.


تفسير القرآن بأقوال السلف
تعريف تفسير القرآن بأقوال السلف
التعريف بطبقات السلف
أهمية تفسير السلف
أنواع تفسير السلف
حجية تفسير القرآن بأقوال السلف
طبقة الصحابة
طبقة التابعين
طبقة أتباع التابعين
أهمية تفسير الصحابة
أهمية تفسير التابعين وأتباع التابعين
التفسير المنقول
التفسير بالرأي
ما يروونه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أسباب النزول الصريحة
ما يرويه التابعون عن الصحابة
ما يرويه أتباع التابعين عن التابعين
ما يكون له عندهم أكثر من وجه في المعنى
ما يحكونه من أسباب النزول غير الصريحة
ما يربطون الآية به من القصص
ما هو حجة باتفاق العلماء
ما هو من قبيل الاجتهاد
ما حصل فيه الخلاف بين القبول والرد

المبحث الرابع: تفسير القرآن باللغة

تفسير القرآن باللغة هو: بيان معاني القرآن الكريم بمدلول مفرداته وتراكيبه في لغة العرب.

ووجه اعتبار اللغة مصدرًا للتفسير، أنه لا يخلو تفسير آية من الآيات من الحاجة إلى معرفة اللغة، ولأن اللغة سد منيع يحول دون حمل ألفاظ القرآن العربية على مدلولات مصطلحة لا تعرفها العرب من كلامها، واللغة تعد أوسع مصادر التفسير استعمالًا.

مراحل التفسير باللغة:

المرحلة الأولى: التفسير باللغة عند السلف

كان التفسير باللغة أغلب تفاسير السلف؛ لذا فالحاجة للرجوع إلى تفسيراتهم اللغوية أصل مقدم على الرجوع إلى أقوال أهل اللغة؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم من أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وتفسيرهم بلسانهم معتبر غير معترض عليه من جهة اللغة، وأما التابعون فكان فيهم من هو عربي محض، وهو في اللسان كالصحابة، وكان فيهم الموالي، وهؤلاء ممن تعلم العربية من مخاطبات الصحابة الذين علموهم، ولم يؤثر عنهم ما هو مخالف للعربي، وكذا كان الحال في تفسير أتباع التابعين، فإنهم عاشوا في عصر الاحتجاج باللغة، إلا صغارهم، وأقل أحوالهم أن يكونوا نقلة للغة، وبالجملة فإن ما ينقل عنهم من التفسير المعتمد على اللغة حجة من جهة اللغة.

المرحلة الثانية: التفسير باللغة عند علماء العربية أثناء التدوين اللغوي

ظهر الاهتمام بجمع كلام العرب وتدوينه في النصف الثاني من القرن الثاني، وأول مدون ظهر هو كتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي ت١٧٥هـ، مرتبًا على حسب مخارج الحروف، وقد ظهر فيه بيان كثير من المفردات القرآنية، وظهرت في هذه المرحلة كتبا في غريب القرآن ومعاني القرآن، وهي تتضمن جملة كبيرة من التفسير اللغوي.

المرحلة الثالثة: مرحلة ما بعد تدوين اللغة

وهذه المرحلة تعتمد على النقل والاستفادة مما دونه علماء اللغة المتقدمون، وهؤلاء النقلة قد يكونون ممن اشتهر بالتفسير، وقد يكون ممن اشتهر بالعربية، وعمل هؤلاء على النقل أو الاختيار، كما هو الحال في تفاسير المتأخرين، كالواحدي ت٤٦٨هـ، وابن عطية ت٥٤٢هـ وغيرهم.

حجية تفسير القرآن باللغة:

يمكن تقسيم أقوال اللغويين في بيان المفردات القرآنية باعتبار حجيتها إلى ما يلي:

١- أن يتوافق قول اللغويين مع أقوال الصحابة والتابعين، وهذا كثير جدًا وهو حجة.

٢- أن يكون تفسيرهم اللغوي مبطلا لتفسير السلف اللغوي، وهذا قليل جدًا، وتفسيرهم هذا لا يقبل.

٣- أن يكون تفسير اللغويين إضافة من قبيل التنوع، وهذا إذا كانت الآية تحتمله، فإنه يصح تفسير اللفظ القرآني به.

٤- أن يرد عنهم المعنى اللغوي، ولا يكون واردًا عند مفسري السلف، فهذا يقبل؛ لأنهم أهل التخصص في المقام الأول.

الشروط اللازمة في التفسير اللغوي:

١- الصدور عن أصل لغوي صحيح، فعلى المفسر التوقف عند لغة العرب التي نزل بها القرآن، فيحقق اللفظ من حيث دلالته الأولى في أصل الوضع.

٢- حمل اللفظ على ما يحتمله في لغة العرب.

٣- ثبوت النقل عن الأصل؛ لأن احتمال اللفظ للمعنى في اللغة لا يسوغ الحمل عليه من غير دليل يثبت صحة إرادة ذلك المعنى لهذا اللفظ.

٤- اعتبار عرف القرآن ومعهوده في استعماله للألفاظ "ضبط الدلالة بمقاصد الخطاب ومراد المتكلم.

٥- أن يتعاهد المحافظة على الفصاحة والإعجاز.

٦- الاستظهار بالسماع عند الحاجة.

٧- إذا تجاذب اللفظ المعنى والإعراب قدم المعنى.

٨- مراعاة السياق.

٩- مراعاة أصول الشرع وثوابته المقررة.

١٠- مراعاة ما يسوغ تفسيره لغويًا.

١١- مراعاة مراتب الدلالة البيانية.

أهم القواعد المتعلقة بتفسير القرآن باللغة:

١- في تفسير القرآن بمقتضى اللغة يراعى المعنى الأغلب والأشهر والأفصح دون الشاذ أو القليل.

٢- قد يتجاذب اللفظة الواحدة المعنى والإعراب فيتمسك بصحة المعنى ويؤول لصحته الإعراب.

٣- تحمل نصوص الكتاب على معهود الأميين في الخطاب.

٤- كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء.

٥- لا يجوز حمل ألفاظ الكتاب على اصطلاح حادث.

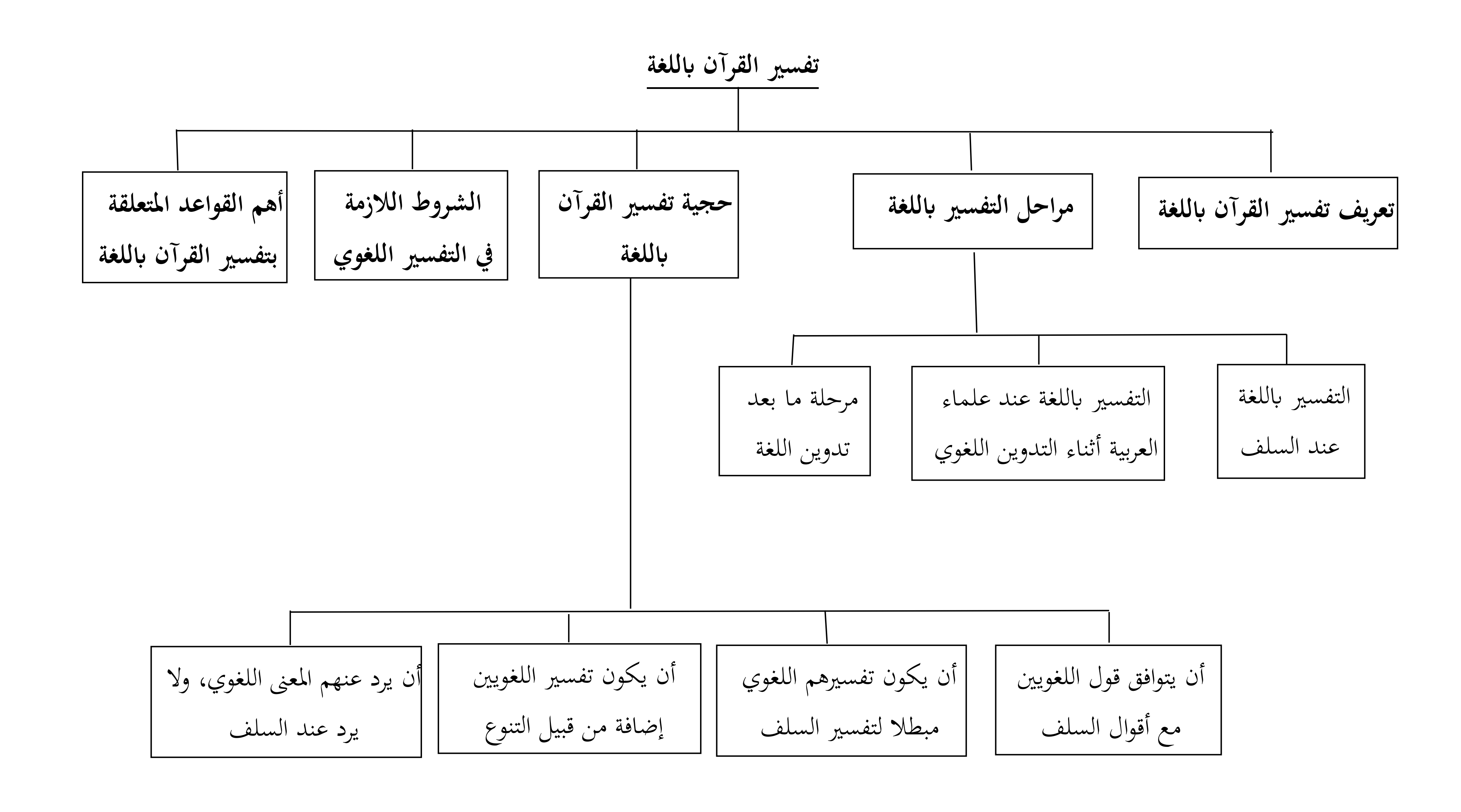
٦- القرآن عربي فيسلك به في الاستنباط والاستدلال مسلك العرب في تقرير معانيها.

٧- مهما أمكن إلحاق الكلام بما يليه، أو بنظيره فهو الأولى.

٨- الاختيار والترجيح بين تفسيرات السلف اللغوية، لا يعني رد المعنى من جهة اللغة.

٩- قد يكون تفسير السلف غير مطابق للمعنى اللغوي، فيحتاج الناظر في كلامهم إلى أن يضم إليه ما تقتضيه لغة العرب وأسرارها، وذلك بالنظر إلى تحرير معنى اللفظة في اللغة، أو البحث في العلاقة بين تفسير اللفظة عند السلف ومعناها المطابق في اللغة، وقد يرد التفسير لبيان المراد باللفظة في السياق.

١٠- التحرير اللغوي لمعنى اللفظ في لغة العرب يفيد في معرفة معنى اللفظ وتثبيته في الذهن ثم في علاقته بالمعنى السياقي الذي ورد في الآية.


تفسير القرآن باللغة
تعريف تفسير القرآن باللغة
مراحل التفسير باللغة
حجية تفسير القرآن باللغة
الشروط اللازمة في التفسير اللغوي
أهم القواعد المتعلقة بتفسير القرآن باللغة
التفسير باللغة عند السلف
التفسير باللغة عند علماء العربية أثناء التدوين اللغوي
مرحلة ما بعد تدوين اللغة
أن يتوافق قول اللغويين مع أقوال السلف
أن يكون تفسيرهم اللغوي مبطلا لتفسير السلف
أن يكون تفسير اللغويين إضافة من قبيل التنوع
أن يرد عنهم المعنى اللغوي، ولا يرد عند السلف

المبحث الخامس: تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد

تفسير القرآن بالرأي والاجتهاد هو: تفسير القرآن بالاجتهاد بعد الرجوع إلى التفسير بالمأثور، مع الالتزام بقواعد التفسير وشروطه وآدابه، والدراية الكافية بكل ما يحتاجه المفسر من علوم وأدوات.

مجالات الرأي والاجتهاد في التفسير:

١-التخير من أقوال السلف والترجيح بينها.

٢-أن يأتي المفسر برأي جديد لم يسبقه إليه السلف.

وجه اعتبار الاجتهاد مصدرا من مصادر التفسير:

واعتبار الاجتهاد مصدرًا من مصادر التفسير نظرًا لتجدد الحوادث والقضايا التي تقتضي بيان الأحكام الشرعية فيها، ولأن الاجتهاد في التفسير "القول بالرأي" كان قديمًا، وكانت بذوره من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، واستمر ذلك بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ لأن علماء الصحابة صاروا هم المرجع للمسلمين الجدد، فوقع منهم الاجتهاد حسب ما بين يديهم من المعلومات، ثم برز في جيل صغار الصحابة مفسرون من التابعين كانت لهم آراؤهم المستقلة، وكذا الحال في جيل أتباع التابعين، فقد برز منهم جماعة، وصغار التابعين متوافرون.

أنواع الرأي:

الرأي نوعان: رأي محمود، ورأي مذموم.

والرأي المحمود: هو ما كان عن علم أو غلبة ظن، وهذا هو الرأي الذي كان في طبقات السلف الثلاث.

والرأي المذموم: هو الذي يكون عن جهل وهوى.

ويمكن الحكم على تفسير ما بأنه مذموم إذا عُلِمَ مخالفته للأصول المتفق عليها وعلى ثباتها في التفسير، ومَرَدُّ ذلك إلى سببين:

السبب الأول: من يسلب لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به.

السبب الثاني: من يحمل ألفاظ القرآن ما لم يدل عليه ولم يرد به.

فهذان الصنفان قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلًا فيكون خطؤهم في الدليل

والمدلول، وقد يكون حقًا فيكون خطؤهم في الدليل.

وهذا شأن طوائف من المبتدعة كالخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم.

العلوم التي يحتاج إليها المفسر بالرأي:

١- التفسير النبوي المباشر.

٢- معاني ألفاظ القرآن الكريم.

٣- الحكم الشرعي الذي تنطق به الآية.

٤- أسباب النزول المباشرة، وقصص الآي التي يتأثر بها التفسير.

٥- الناسخ والمنسوخ باصطلاح السلف، وهو رفع معنى النص بنص آخر كرفع العموم بالتخصيص، ورفع الإطلاق بالتقييد، ورفع الإجمال بالبيان.

٦- تفسير السلف.

٧- علم اللغة بكافة فروعها.

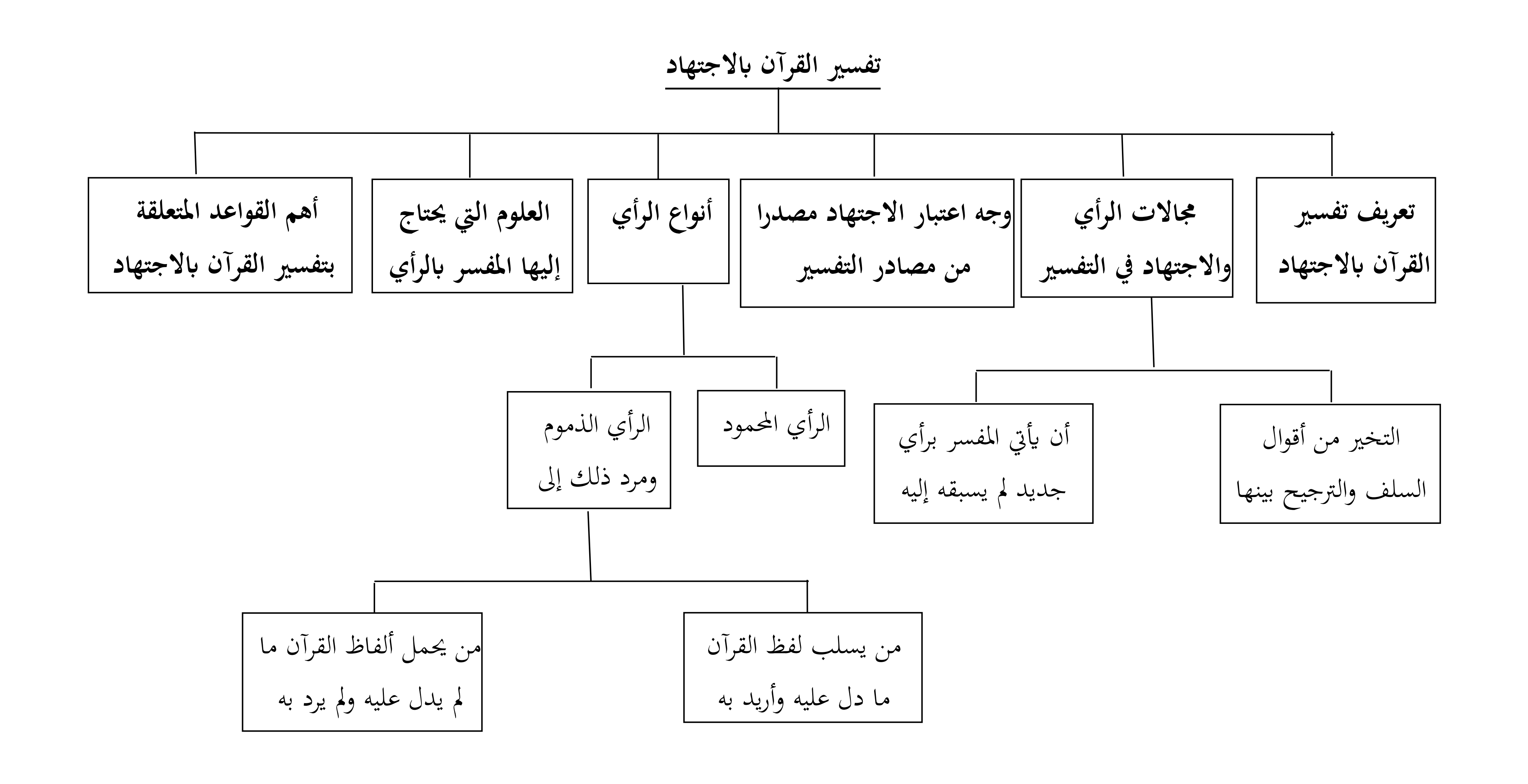
٨- علم القراءات.

٩- علم العقيدة.

١٠- علم أصول الفقه.

أهم القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالرأي والاجتهاد:

١- التفسير إما بنقل ثابت أو رأي صائب وما سواهما فباطل.


تفسير القرآن بالاجتهاد
تعريف تفسير القرآن بالاجتهاد
مجالات الرأي والاجتهاد في التفسير
وجه اعتبار الاجتهاد مصدرا من مصادر التفسير
أنواع الرأي
العلوم التي يحتاج إليها المفسر بالرأي
أهم القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بالاجتهاد
التخير من أقوال السلف والترجيح بينها
أن يأتي المفسر برأي جديد لم يسبقه إليه
الرأي المحمود
الرأي الذموم ومرد ذلك إلى
من يسلب لفظ القرآن ما دل عليه وأريد به
من يحمل ألفاظ القرآن ما لم يدل عليه ولم يرد به

المبحث السادس: تفسير القرآن بأقوال أهل الكتاب

المقصود بتفسير القرآن بأقوال أهل الكتاب: هو الاستفادة من مرويات اليهود والنصارى في بيان بعض المعاني الواردة في قصص القرآن، وما يتعلق بها.

وتسمى الإسرائيليات أيضًا من باب التغليب، ويقصد بها: كل ما أخذه العلماء عن بني إسرائيل "اليهود والنصارى" من أخبار.

والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

وجه اعتبار أقوال أهل الكتاب مصدرا من مصادر التفسير:

أن الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم من مفسري السلف استخدموا الإسرائيليات، وجعلوها مصدرًا من مصادرهم، وواقع الروايات يشهد بذلك، ولا يلزم من جعل الإسرائيليات مصدرًا من مصادر التفسير مساواته لبقية مصادر التفسير، بل المصادر السابقة تتفاوت في نفسها قوة وأهمية، وحجة، ومع ذلك فمصدر الإسرائيليات ليس مفتوحا على مصراعيه بل ذلك محدود بحدود، ومقيد بضوابط.

مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير:

إنَّ دخول الإسرائيليات في التفسير يرجع إلى عهد الصحابة في مبدئه، وذلك لاتفاق القرآن مع التوراة والإنجيل في ذكر بعض القصص والأخبار، مع فارق أن القرآن يوجز فيها والتوراة والإنجيل تطنب وتفصل فيها بإسهاب.

فكان بعض الصحابة يرجع إلى أهل الكتاب لاستبيان تفصيل قصة أو حادثة وردت في القرآن الكريم موجزة فيسألهم عنها؛ لأنه يجد في نفسه ميلا إلى معرفة تفصيل ما طواه القرآن الكريم وأوجزه، من ذلك أسماء الأشخاص والأماكن وزمن الحادثة وما يتعلق بها، فيجيبهم الذين دخلوا الإسلام من أهل الكتاب بما عرفوه من كتبهم عن تفصيل ما جاء مختصرًا في القرآن، ومنه دخل ما ألقوا إليهم من قصص وأخبار في التفسير.

لذا فقد تميز ما أخذوه عنهم بما يلي:

٢- لا يعدو ما أخذوه أن يكون بيانا وتوضيحا لقصة أو بيانًا لما أجمله القرآن منها.

٣- توقفهم فيما يلقى إليهم فلا يحكمون عليه بصدق أو كذب ما دام يحتمل كلا الأمرين.

٤- لم يسألوهم عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام، اللهم إلا إذا كان على جهة التقوية والاستشهاد لما جاء به القرآن.

٥- كان الصحابة لا يصدقون اليهود والنصارى فيما يخالف الشريعة أو يتنافى مع العقيدة الإسلامية.

٦- كانوا لا يعدلون عما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك إلى سؤال أهل الكتاب؛ لأنه إذا ثبت الشيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فليس لهم أن يعدلوا إلى غيره.

٧- لم يسألوا أهل الكتاب عن الأشياء التي يشبه أن يكون السؤال عنها نوعا من اللهو واللعب والعبث، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف، ومقدار سفينة نوح، ونوع خشبها ونحو ذلك.

٨- أنهم لا يأخذون عنهم ما يقولونه بتسليم مطلق لهم، ولا يسلمون لهم بكل ما يقولونه، بل كانوا يعرضون ما يسمعونه منهم للنقد والمراجعة، فيردون عليهم مالا يرونه صحيحًا، ويبينون لهم وجه الصواب فيه.

وأما المفسرون من التابعين فقد توسعوا في الأخذ عن أهل الكتاب، وكثرت على عهدهم الروايات الإسرائيلية في التفسير، ويرجع ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب في الإسلام وميل النفوس لسماع التفاصيل عما يجمله القرآن.

فظهر في هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا _كما يعتقدون_ هذه الثغرات القائمة في التفسير، بما هو موجود عند اليهود والنصارى، فحشوا التفسير بكثرة القصص المتناقضة والأساطير المخالفة للعقل.

ثم جاء بعد عصر التابعين من ولعوا ولعًا شديدًا بالإسرائيليات، وأفرطوا في الأخذ منها إلى الحد الذي جعلهم لا يردون قولا وإن كان العقل لا يتصوره، واستمر هذا الشغف بالإسرائيليات إلى درجة أصبح الكثير منها نوعًا من الخرافة، بل وجد منها ما يخالف العقيدة الثابتة بالكتاب والسنة، ولما جاء دور التدوين للتفسير أخذ بعض المفسرين يحشدون ويحشون كتبهم بهذا القصص الإسرائيلي الذي كان له أكبر الأثر في إضعاف قيمة كتب التفسير بالمأثور؛ لأنه اختلط فيها الغث والسمين والصحيح بالعليل، مما يجعل القارئ يعتقد بأنها كلها

من واد واحد.

ومن أكثر التفاسير نقلا للإسرائيليات من غير نقد لها: تفسير الخازن "لباب التأويل"، وتفسير الثعلبي "الكشف والبيان".

أبرز المواضع التي ذكرت فيها الروايات الإسرائيلية المبالغ فيها:

١- قصة هاروت وماروت "سورة البقرة".

٢- قصة الجبارين ودخول بني إسرائيل قريتهم "سورة المائدة

٣- الإسرائيليات في قصة سفينة نوح عليه السلام "سورة هود".

٤- الإسرائيليات في قصة داوود عليه السلام "سورة ص".

٥- الإسرائيليات في قصة يوسف عليه السلام "سورة يوسف".

٦- الإسرائيليات في المائدة التي طلبها الحواريون "سورة المائدة".

٧- الإسرائيليات في سؤال موسى ربه الرؤية "سورة الأعراف".

٨- الإسرائيليات في نسبة الشرك إلى آدم وحواء "سورة الأعراف".

٩- الإسرائيليات في قصة أصحاب الكهف "سورة الكهف".

١٠- الإسرائيليات في قصة ذي القرنين "سورة الكهف ".

١١- الإسرائيليات في قصة يأجوج ومأجوج "سورة الكهف ".

١٢- الإسرائيليات في قصة ملكة سبأ "سورة النمل".

١٣- الإسرائيليات في قصة الذبيح وأنه إسحاق "سورة الصافات".

١٤- الإسرائيليات في قصة أيوب عليه السلام "سورة ص".

أسباب دخول الإسرائيليات في التفسير:

١- أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية، وإذا تشوقوا إلى شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود، فإنما يسألون عنها أهل الكتاب قبلهم.

٢- دخول بعض أهل الكتاب في الإسلام، فكانوا ينقلون لمن يسألهم عن شيء من ذلك ما جاء في كتبهم، فيأخذونه منهم وثوقا بهم، كعبدالله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه، وعبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج.

٣- أن ما كانوا يسألون عنه لا تتعلق به الأحكام ولا تتعلق به مسائل العقيدة، فلا يحتاطون له؛ لأنه لا يجب به عمل، ولا يلزم التحري عن صحته.

٤- أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أذن لهم في التحديث عن بني إسرائيل فيما لا يجدون في دينهم ما يكذبه ولا يخالف الشريعة.

مقاصد رواية الإسرائيليات في التفسير:

١- تعيين المبهم، كتعيين عدد الدرهم في قوله تعالى:﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ ﴾ يوسف: ٢٠، فقد روى ابن عباس وابن مسعود وقتادة والسدي أنها عشرون درهما.

٢- تفصيل المجمل، كما ورد في تفاصيل إغراق فرعون وجنوده كما في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ البقرة: ٥٠، فقد ذكر الطبري عدة روايات إسرائيلية في كيفية إغراق فرعون وقومه.

٣- كشف المشكل، ومن أمثلته ما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره عند قوله تعالى:﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾البقرة: ١٠٢، قال: "إن قال لنا قائل: وما هذا الكلام من قوله﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾البقرة: ١٠٢، ولا خبر مضى قبل عن أحد أنه أضاف الكفر إلى سليمان، بل إنما ذكر أتباع من اتبع من اليهود ما تلته الشياطين، فما وجه نفي الكفر عن سليمان بعقب الخبر عن اتباع من اتبع الشياطين في عمل السحر وروايته عن اليهود؟ قيل وجه ذلك..."، ثم ذكره مستدلًا عليه بروايات إسرائيلية عن ابن عباس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة، وابن إسحاق وغيرهم، ولخصه بقوله في آخر تلك الروايات: "فإن كان الأمر في ذلك ما وصفنا...، فبَيِّن أن في الكلام متروكًا، ترك ذكره اكتفاء بما ذكر منه، وأنَّ معنى الكلام: واتبعوا ما تتلو الشياطين من السحر على ملك سليمان فتضيفه إلى سليمان، وما كفر سليمان فيعمل السحر، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر.

٤- ترجيح المحتمل، ومن أمثلته قول ابن جرير في تفسيره عند قوله تعالى:﴿ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾آل عمران: ٤٩، حيث قال: "القول في قوله جل ثناؤه:، وكان إحياء عيسى الموتى بدعاء الله، يدعو لهم فيستجيب له كما حدثنا...، ثم أسند عن وهب بن منبه رواية بتفصيل

ذلك، وفيها أنه: "كان يداويهم بالدعاء إلى الله".

٥- بيان سبب القصة، مثاله ما أورده الطبري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾ ص: ٢١، قال: "إن داود قال: يارب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله، قال الله: إني ابتليتهم بما لم ابتلك به، فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به، وأعطيتك كما أعطيتهم، قال: نعم..." الخ، فهذه الرواية الإسرائيلية الموضوعة تبين سبب القصة.

كيف نميز الخبر الإسرائيلي من جملة الأخبار:

يمكن تمييز الخبر الإسرائيلي بأحد طريقين:

الأول: النص، ويشمل:

١- النقل من كتبهم، ومن عباراتهم في ذلك: "نجد مكتوبا في الإنجيل" "وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول".

٢- النقل عن أحبارهم ورواتهم كما في قولهم: "حدثني بعض أهل العلم بالكتاب الأول" و"أهل التوراة يقولون".

الثاني: القرائن، وتشمل:

١- القرائن اللفظية، كقولهم: "كنا نُحَدَث، "ذُكِرَ لنا"، "وبَلَغَنا" في سياق أخبار أنبيائهم وأحاديث بدء الخلق ونحو ذلك.

٢- القرائن الحالية، كأن يكون الناقل للخبر من مسلمة أهل الكتاب كعبدالله بن سلام رضي الله عنه، وكعب الأحبار، أو يعرف بالتحدث عنهم كوهب بن منبه، وابن إسحاق، وقتادة، والسدي ونحوهم، في سياق أخبار أنبيائهم وعجائب أحوالهم ونحوها.

ولا تخفى إفادة الطريق الأول للقطع بكون الخبر من الإسرائيليات، بخلاف الطريق الثاني الذي يفيد الظن الغالب.

مصادر الإسرائيليات:

للإسرائيليات مصدران هما:

الأول: كتب بني إسرائيل، وأصل كتبهم التوراة التي أنزلها الله على نبيه موسى عليه السلام، والسلف يتوسعون في تسمية ما عداها من كتب بني إسرائيل بالتوارة.

الثاني: علماء بني إسرائيل، ولهم مآخذ منها:

١- كتبهم ٢- ما نقلوه عن أسلافهم من أخبار أقوامهم

٣- ما اختلقوه من عند أنفسهم ٤- ما نقلوه عن غيرهم من رواة التاريخ وأخبار الأمم.

ذكر الأمور العقدية أو التشريعية في الإسرائيليات:

المفسر الذي يورد الروايات الإسرائيلية ويستفيد منها لا يوردها ليأخذ منها "أحكامًا تشريعية"، ولا ليأخذ منها "أحكاما عقدية"، وإنما أوردها ليبين أمرًا في الآية أو يزيد تفصيلًا على ما في الآية، وورود هذه الأمور التشريعية أو العقدية إنما هو بالتبع لا بالإصالة.

حكم الأخذ بالإسرائيليات:

تنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق، فذلك صحيح وتجوز روايته.

الثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه أو يناقضه، أو كان لا يتفق مع دليل العقل القاطع، فهذا لا تصح روايته ولا يقبل.

الثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من ذاك، فلا نصدق به، ولا نكذب به، وإنما يلزم التوقف فيه، وتجوز حكايته، وغالب هذا القسم مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف أهل الكتاب أنفسهم في مثله اختلافًا كثيرًا وبسببه يأتي عن المفسرين خلاف فيه، وهذه الإسرائيليات تذكر للاستشهاد لا للاعتضاد.

ويدل على هذا القسم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**إذا حدثكم أهل الكتاب، فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله، فإن كان حقا، لم تكذبوهم، وإن كان باطلا لم تصدقوهم**"، رواه أحمد في المسند وأبو داود في سننه.

وما ورد عن بعض السلف من المنع من الرواية عن أهل الكتاب فيمكن حمله على وجهين:

الوجه الأول: أن النهي ينصب على ما كان فيه طلب الاهتداء من المرويات الإسرائيلية.

الوجه الثاني: أن النهي عن كثرة سؤالهم، وطلب ما عندهم من الغرائب.

ضوابط تفسير القرآن بأقوال أهل الكتاب:

١- موافقة كتاب الله عز وجل.

٢- أن لا يدفع الخبر الإسرائيلي خبر عن المعصوم.

٣- موافقة لغة العرب.

٤- تتابع قول الصحابة والتابعين عليه.

٥- أن يكون من الأمور الممكنة وليس المستحيلة.

أقطاب الروايات الإسرائيلية:

إن من يتصفح كتب التفسير بالمأثور يلحظ أن غالب ما يدون فيها من إسرائيليات يدور على أشخاص من أهمهم:

١-عبدالله بن سلام.

٢- كعب الأحبار.

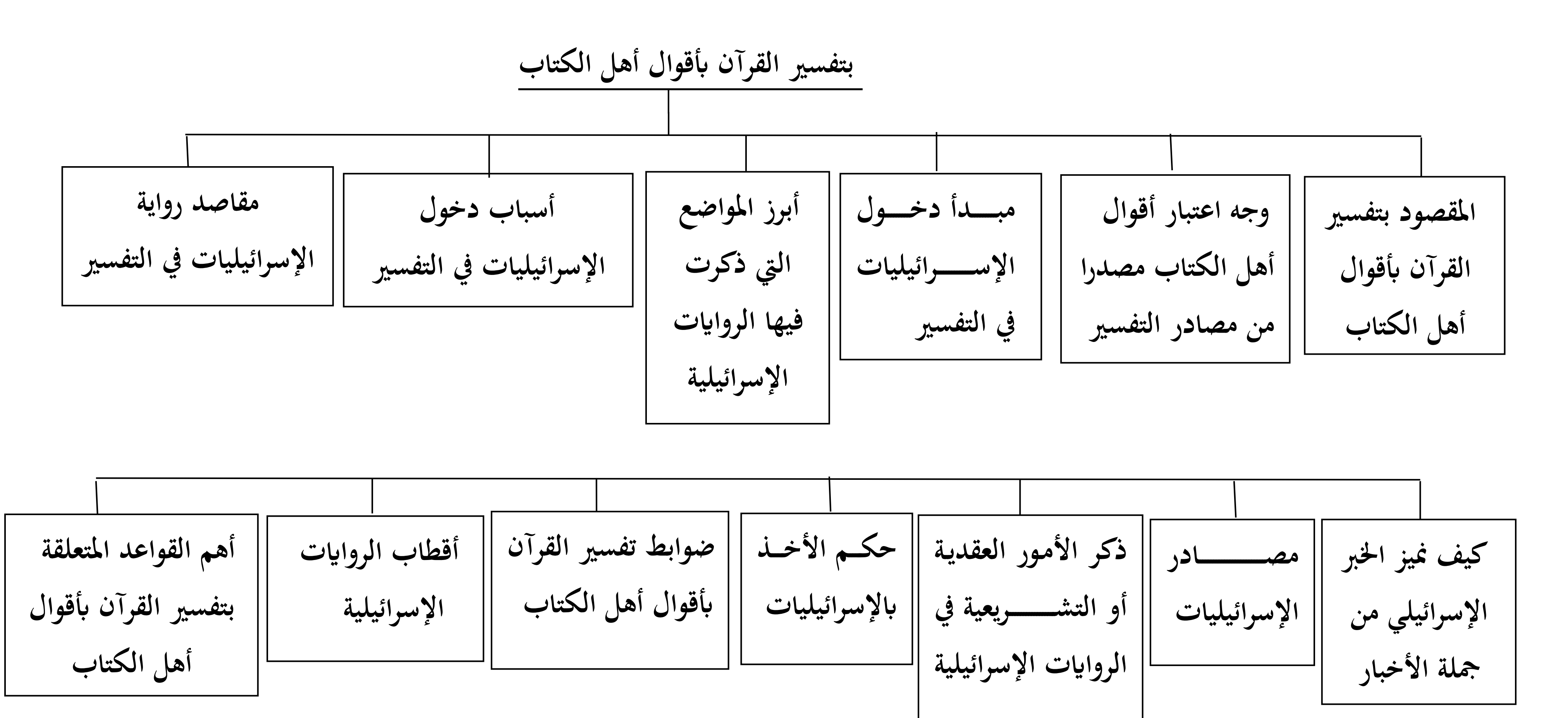
٣-وهب بن منبه.

٤-عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج.

أهم القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بأقوال أهل الكتاب:

١-لا يكاد يوجد تفسير إلا وفيه جمع من مرويات بني إسرائيل.

٢-الاختلاف في تفاصيل القصة لا يبطل أصل القصة.



بتفسير القرآن بأقوال أهل الكتاب
المقصود بتفسير القرآن بأقوال أهل الكتاب
وجه اعتبار أقوال أهل الكتاب مصدرا من مصادر التفسير
مبدأ دخول الإسرائيليات في التفسير
أبرز المواضع التي ذكرت فيها الروايات الإسرائيلية
أسباب دخول الإسرائيليات في التفسير
مقاصد رواية الإسرائيليات في التفسير
كيف نميز الخبر الإسرائيلي من جملة الأخبار
مصادر الإسرائيليات
ذكر الأمور العقدية أو التشريعية في الروايات الإسرائيلية
حكم الأخذ بالإسرائيليات
ضوابط تفسير القرآن بأقوال أهل الكتاب
أقطاب الروايات الإسرائيلية
أهم القواعد المتعلقة بتفسير القرآن بأقوال أهل الكتاب

الفصل الخامس: الدخيل في تفسير القرآن الكريم

المبحث الأول: الدخيل من قبل الرواية.

المبحث الثاني: الدخيل من قبل الدراية

الدخيل في تفسير القرآن الكريم

تعريف الدخيل: الدخيل مأخوذ من الفعل دخل، والدخول ضد الخروج، والدخيل على الشيء ما لم يكن أصيلًا فيه.

والدخيل في التفسير هو: ما أقحم في التفسير مما لم يستجمع شروط التفسير.

ويقابل الدخيل الأصيل، فالأصيل في التفسير هو ما دل على معنى كلام الله "القرآن" بما يقتضيه بنصه أو بإشارته أو بفحواه.

أسباب دخول الدخيل على التفسير:

هناك عدة أسباب لدخول الدخيل على التفسير منها:

١- حذف الأسانيد.

٢- قلة الاطلاع على علم مصطلح الحديث.

٣- أسباب دخول الإسرائيليات السابق ذكرها.

٤- ظهور القراءات المعاصرة التي لا تلتزم بضوابط التفسير.

٥- العدول عن مصادر التفسير الأصيلة، وأصوله الصحيحة الثابتة.

٦- إخضاع النصوص القرآنية للأهواء والتعصب والبدع.

٧- عدم الاستناد إلى الأصول الصحيحة التي يجب أن يلتزم بها في التفسير بالرأي، وعدم تحقق كفاءة المفسر.

الفرق بين الدخيل في التفسير والخطأ في التفسير:

الخطأ في التفسير: هو العدول عن الصراط المستقيم والإعراض عن المنهج السليم، والابتعاد عن الأصول الصحيحة والمصادر الأصيلة للتفسير، وارتكاب الغلط فيه الذي هو ضد الصواب ونقيض السداد، وغير الصحة، وعكس الحق، وخلاف الحقيقية سواءً حصل ذلك تعمدًا أو سهوًا، تعنتًا أو نسيانًا، قصًدا أو ذهولًا، ولم يثبت التراجع عنه، ولم يظهر التنازل منه، ولم يعلم عدم الاستمرار فيه، ولم يعرف ترك السلوك عليه من صاحبه.

ومن خلال هذا التعريف يتضح أن الخطأ في التفسير أشمل وأعم من الدخيل في التفسير؛ لأن تفسير الآية بما هو دخيل يعتبر من الخطأ في التفسير، فالدخيل هو تفسير الآية بما لا أصل

له في التفسير، أما الخطأ في التفسير فقد يكون له أصل لكنه خالف قاعدة من القواعد المتعارف عليها بين العلماء.

إذن الدخيل في التفسير هو جزئية من جزئيات الخطأ في التفسير، فكل دخيل خطأ، وليس كل خطأ دخيل، فالعلاقة بينهما علاقة عموم وخصوص.

أقسام الدخيل في التفسير:

ينقسم الدخيل في التفسير إلى قسمين:

القسم الأول: الدخيل المنقول، وهو ما يأتيه الدخيل والفساد من قِبَل عدم ثبوته، أي من حيث السند، أو من قِبَل اختلال شرط القبول فيه، أي: من حيث المتن، وإن ثبت من حيث السند.

والدخيل في المنقول إجمالا يشمل ما يلي:

١- الأحاديث الموضوعة والواهية.

٢- الأحاديث الضعيفة التي يكون ضعفها مما لا ينجبر، كأن كان بانخرام العدالة.

٣- ما كان من مأثور الصحابة فيما ليس للرأي فيه مجال، ولكن عرف عنه بالأخذ من الإسرائيليات المخالفة للكتاب أو ثابت السنة.

٤- ما لم يثبت من مأثورات الصحابة بأن كان موضوعًا عليهم، أو مرويًا عنهم بسند ضعيف.

٥- محاولات تعيين ما أبهمه القرآن الكريم.

٦- التفسير المبني على قراءة ضعيفة أو موضوعة.

٧- الإسرائيليات.

٨- ما لم يثبت عن التابعين وأتباع التابعين، بأن كان موضوعا عليهم، أو كان ضعيف السند.

القسم الثاني: الدخيل في الرأي، هو التفسير الذي نشأ عن الرأي غير الجائز "الرأي المذموم".

والدخيل في الرأي إجمالا:

١- شغل الناس عن هداية القرآن.

٢- مخالفة معهود العرب.

٣- مخالفة السنة الصحيحة.

٤- مخالفة الإجماع.

٥- الخطأ اللغوي.

٦- الإلحاد في التفسير بحمله على غير معناه.

٧- الخلل في تحكيم العقل.

٨- عدم احترام جانب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٩- التكلف الزائد في استخراج معان من باطن النصوص، دون دليل يدل على صحتها أو جوازها.

المبحث الأول: الدخيل من قبل الرواية

يندرج تحت الدخيل من قبيل الرواية عدة أنواع نذكر أهمها بإيجاز هي:

أولًا: الإسرائيليات

من الأسباب التي أدت إلى ذهاب الثقة بكثير من التفسير بالمأثور كثرة الإسرائيليات، فهي من أعظم أودية الدخيل في التفسير، وقد مر الكلام عن الإسرائيليات في الفصل السابق، وينبغي أن يعلم أن العلاقة بين الدخيل والإسرائيليات هي العموم والخصوص، فالإسرائيليات نوع من أنواع الدخيل، فكل رواية إسرائيلية تعد من الدخيل، وليس كل دخيل يعد من الإسرائيليات.

ومن أمثلة الدخيل في التفسير من الروايات الإسرائيلية ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ﴾ ص: ٢٣، إذ يذكر بعض المفسرين أن سيدنا داود عليه السلام كان له تسع وتسعون امرأة، وعشق امرأة قائد الجيش "أوريا" فأرسله إلى معركة ليقتل من أجل أن يتزوج امرأته، وذلك كله باطل لا يثبت.

ثانيًا: محاولات تعيين ما أبهمه القرآن

ساق القرآن الكريم كثيرًا من أخبار الأمم السابقة؛ لتكون عبرة لنا، قال عز من قائل: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِى قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ يوسف: ١١١، فأبهم القرآن كثيرًا من تفاصيل القصص؛ لحكم كثيرة منها: تسهيل القرآن وحفظه، وأن لا يشتغل الناس بتفاصيل القصة عن الاعتبار بها، ومع هذا ولع كثير من المفسرين بالبحث عن تلك المبهمات مخالفين بذلك مقصد القرآن الأهم، فوقعوا في الدخيل، وركبوا كل صعب وذلول بحثًا عنها، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني.

وهذه المبهمات التي لم نطلع عليها، لا سبيل إليها إلا بخبر الصادق المعصوم لا يجوز الخوض فيها؛ لأنها من القول على الله تعالى بغير علم، وهو من الافتراء على الله تعالى، ومع هذا خاض بعض المفسرين في ذلك وحاولوا تعيين كل ما أبهمه القرآن، وقد حاول السيوطي جمع شيء من ذلك في كتابه الإتقان، كما أن له كتابًا مفردًا أسماه: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن.

ولا يعني هذا أن كل مبهم عُيِّن من الدخيل، بل المقصد أن هذا من مظان الدخيل

وأوديته، وهذا ما طريقه النقل فإن كنت ناقلًا فالصحة، والدخيل من هذا القبيل ما لم يصح إسنادًا.

ثالثًا: الروايات الموضوعة والواهية

نشأ الوضع في التفسير بادئ ذي بدء متزامنًا ومقترنًا مع نشأته في الحديث؛ لعدم انفصال أحدهما عن الآخر، وكذلك مرويات التفسير كانت تأخذ حكم مرويات الحديث صحة وضعفا، وكذلك الرواة فمنهم الثقة ومنهم المجروح، والجرح درجات، فمنهم من تكلموا في حفظه، ومنهم من رمي بالكذب والافتراء.

وكان ظهور الوضع قد ابتدأ حين افترق المسلمون إلى فرق متعددة ومذاهب مختلفة، وظهر التناحر الفكري، والتنازع المذهبي، ولا سيما حين امتدت الدولة الإسلامية إلى بلدان وأماكن شاسعة، كان أصحابها على ديانات وثقافات مختلفة، فوجد مع هذا أهل الأهواء والبدع الذين روجوا لبدعهم، وتعصبوا لنحلهم، ودخل في الإسلام من يبطن الكفر ويظهر الإسلام كيدًا له ولأهله، فوضعوا ما وضعوا، ليصلوا إلى أهدافهم السيئة، ويمكن أن نذكر إجمالًا أهم الأسباب الدافعة على الوضع هي:

١- التعصب المذهبي ٢- الخلاف السياسي

٣- الكيد للإسلام وأهله. ٤- الوعظ والإرشاد.

٥- تحاشي الاتهام بالتفسير بالرأي. ٦- حذف الأسانيد.

قال السيوطي ــرحمه اللهــ: "ثم ألف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد، ونقلوا الأقوال بترًا، فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل، ثم صار كل من يسنح له قول يورده، ومن يخطر بباله شيء يعتمده، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانًا أن له أصلًا".

أشهر التفاسير التي عرف عنها نقل الموضوعات:

١- تفسير مقاتل بن سليمان ٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي

٣- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي.

ومن أمثلة هذه الموضوعات: ما يذكره بعض المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بيت زيد بن حارثة في غيبته، فرأى زينب في زينتها، وفي رواية: أن الريح كشف عن ستر بيتها فرآها في حسنها، فوقع حبها في قلبه، فرجع وهو يقول: سبحان الله العظيم، سبحان

مقلب القلوب، فلما حضر زيد بلغه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذهب زيد، وقال: بلغني أنك أتيت منزلي، فهلا دخلت يا رسول الله لعل زينب أعجبتك فأفارقها؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجك واتق الله، فنزلت الآية.

وهذه الرواية باطلة ليس لها شاهد من نقل ولا عقل، وهي من وضع أعداء الدين، ولم يذكر هذه الرواية إلا بعض المفسرين، والإخباريين دون إسناد صحيح، ولم يوجد شيء من ذلك في كتب الحديث المعتمدة التي عليها المعول عند الاختلاف، والذي جاء في الصحيح يخالف ذلك، وليس فيه هذه الرواية المنكرة.

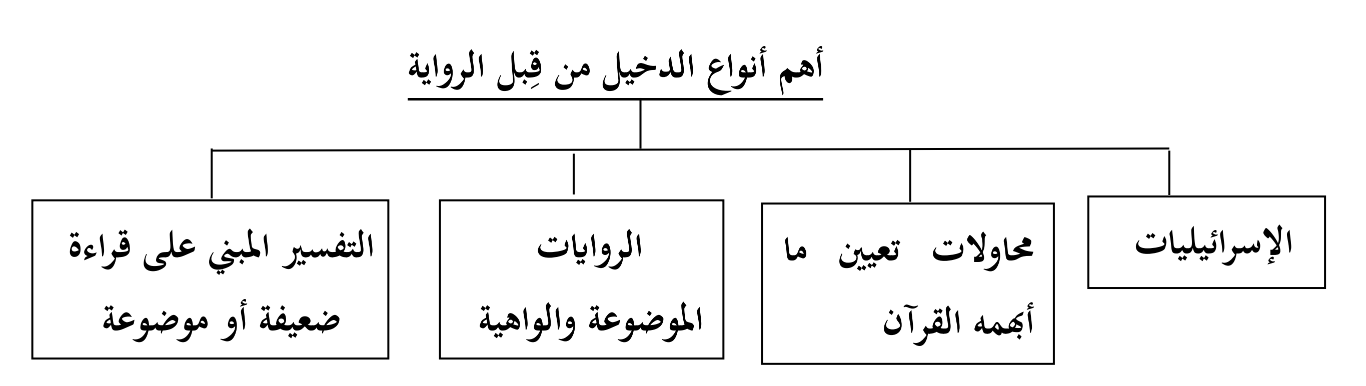
رابعًا: التفسير المبني على قراءة ضعيفة أو موضوعة

إن القراءة الصحيحة لا جرم يجب اعتمادها في تفسير القرآن الكريم بها، وهذا من قبيل تفسير القرآن بالقرآن الذي هو أعلى درجات التفسير، فالقراءات أبعاض القرآن، ولكن في كتب التفسير قراءات ضعيفة أو موضوعة لا يحل تفسير القرآن الكريم بها.

ومن أمثلة ذلك ما جاء عن بعضهم قراءة "كذَّب" بالتخفيف في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ الأنعام: ١٤٨، فالقراءة الصحيحة المتواترة بتشديد الذال من قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ ﴾ الأنعام: ١٤٨، ومعناها واضح لا إشكال فيه، وهناك قراءة موضوعة لا أصل لها بتخفيف الذال.

قال الزمخشري: "وقرئ ﴿كَذَّبَ ﴾ بالتخفيف"، وهي قراءة موضوعة وشاذة، يعني شاذة شذوذًا شديدًا، ولم يروها أحد عن أحد من أهل القراءات الشاذة، ولعلها من وضع بعض المعتزلة في المناظرة.

وكقراءة: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ الفلق: ٢ عند المعتزلة بتنوين الراء، وجعل ما نافية.



المبحث الثاني: الدخيل من قبل الدراية

هناك فسحة في تفسير القرآن الكريم لأهل النظر والاجتهاد، ولكن بضوابط وشروط ذكرت فيما سبق، ولما كان التفسير من قِبَل الرأي والاجتهاد أكثر وأوسع، كثر فيه الدخيل، وسنذكر أهم أنواع الدخيل من قبل الرأي هي:

أولًا: مخالفة السنة الصحيحة الثابتة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

إنَّ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو أفهم الناس للقرآن، إذ عليه أنزل، وهو المكلف ببيانه، فإذا صح عنه شيء، فلا يصح العدول عنه بحال من الأحوال.

ومن أمثلة الدخيل الذي يكون من هذا القبيل: ما ذهب إليه بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ المائدة: ٦، إذ قالوا: بأنَّ الواجب هو مسح القدمين في الوضوء وليس الغسل، وهذا التفسير مردود، لمخالفته السنة الصحيحة، قال ابن تيمية: "ومن يقول: يمسحان بلا إسالة يمسحهما إلى الكعاب لا إلى الكعبين، فهو مخالف لكل واحدة من القراءتين، كما أنه مخالف للسنة المتواترة، وليس معه لا ظاهر ولا باطن، ولا سنة معروفة، وإنما هو غلط في فهم القرآن، وجهل بمعناه وبالسنة المتواترة، ...ومن مسح على الرجلين فهو مبتدع، مخالف للسنة المتواترة".

ثانيًا: مخالفة الإجماع

كما أنه لا يجوز مخالفة ما ثبت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم، كذلك لا يجوز مخالفة الأمة؛ إذ هي معصومة، والإجماع الذي نعنيه هنا هو ما ثبت دون شك فيه مما لا يسع الجهل به.

ومن أمثلة مخالفة الإجماع ما جاء عن بعض المعاصرين من إنكار قطع يد السارق إذا سرق مرة أو مرتين، إذ يقول: "إذا نظرنا في لفظ السارق في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ المائدة: ٣٨، نجد أنها وردت بصيغة اسم الفاعل من فعل سرق، التي تدل على دوام وطول ممارسة الفاعل لهذا الفعل، كقولنا كاتب، ونفهم أنه سبحانه يعني السارق الذي داوم على السرقة، ومارسها طويلا حتى أصبحت

مهنة له، ويحدد له جزاءه ذكرًا كان أم أنثى بقطع الأيدي، ونفهم أنه تعالى لا يعني أبدًا الإنسان الذي سرق مرة واحدة، لأنه لو عنى ذلك لقال "ومن يسرق" والقائلون بالبتر يوجبونه على الذي يسرق ولو مرة واحدة، منطلقين من عموم الآية شرطها وجزائها، ورغم أن الوجوب يشمل الأيدي، إلا أنَّ انعقاد الإجماع أخرج الآية من العموم إلى الخصوص فصار البتر لليدين بدءا باليمنى وليس للأيدي عموما" أ.هـ.

فصاحب هذه القراءة _محمد شحرور_ مع اعترافه بإجماع المسلمين يخالفه قصدًا، ويذهب إلى أنَّ السارق ليس مجرد من سرق مرة أو مرتين بل يعني الذي داوم على السرقة ومارسها طويلا، حتى أصبحت مهنة له، وهذه هي المخالفة للإجماع.

وما ذهب إليه محمد شحرور باطل لمخالفته الإجماع، وهذه وحدها كافية لرد تفسيره والحكم عليه بأنه دخيل، ثم إنَّ التعليل الذي ذكره ليس صحيحًا في اللغة، فمن قال إن الإنسان لا يوصف بأنه سارق إلا إذا اتخذ السرقة سلوكًا؟ إن المبالغة في السرقة يقال لصاحبها سراق، ثم إن الألف واللام هنا موصولية، والفاء في معنى الشرط بحسب القاعدة الأصولية الشهيرة: تعليق الحكم على وصف مشتق يؤذن بعلية ما منه الاشتقاق، قال الزمخشري:" ودخول الفاء لتضمنها معنى الشرط؛ لأن المعنى: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يتضمن معنى الشرط".

ثالثًا: الخطأ اللغوي

إن القرآن العظيم قد نزل بلسان العرب قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ يوسف: ٢، وقال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ الشعراء: ١٩٥، فمن أراد فهمه فلا سبيل له إلى ذلك إلا بلسان العرب، وكل تفسير لا يلتزم بقواعد العربية وضعا واستعمالًا يعد من الدخيل.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾ البقرة: ٧٤، إذ جعل بعضهم " إن" المشددة بمنزلة ما النافية، قال أبو حيان _رحمه الله_: " وأما من زعم أنَّ "إن" المشددة بمعنى "ما" النافية، فلا يصح قوله، ولا يثبت ذلك في لسان العرب" ا.هـ.

رابعًا: الخلل في تحكيم العقل

العقل نوعان: عقل برهاني لا يختلف فيه، وهو المبادئ الذهنية الأولى، وعقل نسبي وهو عبارة عن استحسانات نسبية تختلف باختلاف المتغيرات، وبسبب الخلط بين النوعين يحصل الخلل في تحكيم العقل، فيزعم بعض المفسرين الاحتكام إلى العقل فيقع في تأويلات تعسفية، وإنكار حقائق ثابتة، ويتطاول على الأمور الغيبية فينكرها بحجة التحكيم العقلي، وينتج عن ذلك الدخيل في التفسير.

ومن أمثلة ذلك إنكار الدكتور نصر حامد أبو زيد لحقائق السحر والجن والشياطين والحسد بحجة تطور العقل البشري إذ يقول: "إن العودة إلى الإسلام لا تتم إلا بإعادة تأسيس العقل في الفكر والثقافة، وذلك على خلاف ما يدعو إليه الخطاب الديني المعاصر من تحكيم النصوص" ا.هـ

ثم جاء يطبق هذه القاعدة فقال عند ذكره لقول الله تعالى:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ﴾البقرة: ١٠٢، قال:" السحر والحسد والجن والشياطين مفردات في بنية ذهنية ترتبط بمرحلة محددة من تطور الوعي الإنساني، وقد حول النص الشياطين إلى قوى معوقة، وجعل السحر أحد أدواتها لاستلاب الإنسان، إلى أن قال: "وليس ورود كلمة الحسد في النص الديني دليلًا على وجودها الفعلي الحقيقي، بل هو دليل على وجودها في الثقافة مفهومًا ذهنيًا"، وغير ذلك من الأمثلة التي سار عليها المبالغون في تحكيم العقل.

خامسًا: الإلحاد في تفسير القرآن بحمله على غير معناه

من أخطر أنواع الدخيل الذي يكون في هذا الباب ما كان من قبيل الإلحاد في تفسير القرآن، وهو بالميل المقصود عن معنى الآية الحقيقي وحملها على معنى آخر، وهذا نوع من التلاعب في الدين، قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾فصلت: ٤٠، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "هو أن يوضع الكلام على غير موضعه".

وقد كثر هذا في تفسير أهل الأهواء والبدع بدءا من الخوارج، وقد بلغ أشده في تفاسير الباطنية والرافضة.

ومن أمثلة ذلك ما نقل الجلال السيوطي ــرحمه الله ــ عن شيخ الإسلام سراج الدين

البلقيني رحمه الله فتواه في رجل قال في قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ البقرة: ٢٥٥، إن معناه من ذل من الذل، ذي إشارة إلى النفس يشف من الشفا جواب من، عِ أمر من الوعي، فأفتى بأنه ملحد.

سادسًا: مخالفة معهود العرب

إن اللغة قد تستجد لألفاظها معان جديدة لا تكون مقصودة لمن تكلم بمثل الكلام في الزمان الماضي؛ لذا لا يجوز حمل ألفاظ القرآن على غير معانيها إبان نزول الوحي، ويجب الاحتراز مما طرأ على معانيها من تطور في الاستعمال، قال الشاطبي: " لابد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة وإن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب" ا هـ.

وهذا لا يعني الاقتصار على أفهامهم، بل مناهجهم في فهم الخطاب وأساليبه ومعاني المفردات التي كانت شائعة عندهم.

ومن الدخيل الذي جاء من هذا القبيل ما نجده الآن من بعض المتخصصين في العلوم الكونية من مجازفات وإقحام للنصوص في غير مجالها مع الابتعاد عن معهود العرب في فهم الخطاب، ومن أمثلة ذلك ما قاله الدكتور محمد شحرور في تفسيره المعاصر لقوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ الفجر: ١ - ٣، إذ قال: "قلنا إن قانون صراع المتناقضات الداخلي في الشيء نفسه، يؤدي إلى تغير الصيرورة بشكل مستمر وهلاك شيء وظهور شيء آخر، وهذا القانون حتمي لا رد له، ويسير باتجاه واحد، فهو لذلك قدر الموجودات كلها الذي يعبر عنه بالتسبيح، فالخلق الأول بدأ بانفجار كوني هائل حيث قال: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ ، إذ أن الفجر هو الانفجار الكوني، و﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ معناه أن المادة مرت بعشر مراحل للتطور حتى أصبحت شفافة للضوء، لذا أتبعها قوله: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾، إذ أن أول عنصر تكون في هذا الوجود هو الهيدروجين وفيه الشفع في النواة والوتر في المدار" ا.هـ

ولا شك أن هذا التفسير المعاصر مخالف تمام المخالفة لمعهود العرب في فهم الكلام، فالفجر بمعنى الانفجار الكوني، والليالي بمعنى مراحل تطور المادة، والشفع والوتر هو

الهيدروجين، فهذا أمر لم يكن معهودا للعرب وقت التنزيل، بل ولا حتى العرب يومنا هذا، فما الفجر عند العرب إلا بزوغ نور النهار بعد ظلمة الليل، وما الليل إلا غياب نور الشمس وهو ما يقابل النهار، أما تفسيرها بهذه الطريقة الرمزية العجيبة، فشيء لا يعرفه إلا الخيال الواسع لصاحب القراءة المعاصرة.

سابعًا: شغل الناس عن هداية القرآن

كذلك رأينا بعض الناس وخاصة في المدة الأخيرة يشغل الناس عن هداية القرآن العظيم، وهي المقصد الأساس لتنزيله؛ ليدخلهم في معادلات رياضية أو يقحم القرآن في غير مجاله، أو يضخم قضية العدد وما سمي بالإعجاز العددي، إلى قضايا لا تمت إلى القرآن بصلة، وقد رأينا بعضهم يحاول أن يستنبط الإشارة إلى أحداث سبتمبر من خلال أرقام الآيات ونحو ذلك.

إذ فهم بعضهم من قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ التوبة: ١٠٩، أنَّ تدمير البرجين كان في الحادي عشر من الشهر التاسع، والبرجان في الشارع رقم (١٠٩) أي يوافق رقم الآية.

وهذا الكلام غير دقيق وغير علمي، فأرقام الصفحات والآيات ذلك كله طارئ محدث، ثم إنَّ عدد الآي مختلف فيه كما هو معروف لدى علماء القرآن.

ثامنًا: عدم مراعاة خصوصية الألفاظ المضافة إلى الله سبحانه وتعالى

المضاف إلى الله تعالى نوعان:

الأول: صفة لا تقوم إلا بمحل، فهذه تكون من صفات الله عز وجل، مثل: عزة الله، وقدرة الله، وكلام الله، وسمع الله، وبصر الله، فهذه صفات لا تقوم إلا بموصوف، فتكون من صفات الله عز وجل.

الثاني: شيء بائن من الله عز وجل مخلوق، فهذا ليس من صفات الله، وإنما هو مضاف إليه سبحانه وتعالى على سبيل التشريف والتكريم، مثل: مساجد الله، وبيوت الله، وناقة الله، ومثل قوله تعالى في آدم: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى ﴾ الحجر: ٢٩، كذلك في عيسى بن مريم، فإن الروح شيء بائن عن الله تعالى منفصل، مخلوق من مخلوقاته، لكنه أضيف إليه على سبيل

التشريف والتكريم، وبسبب عدم التمييز بين هذين النوعين يقع الخلط وينتج عن ذلك نوع من أنواع الدخيل في التفسير.

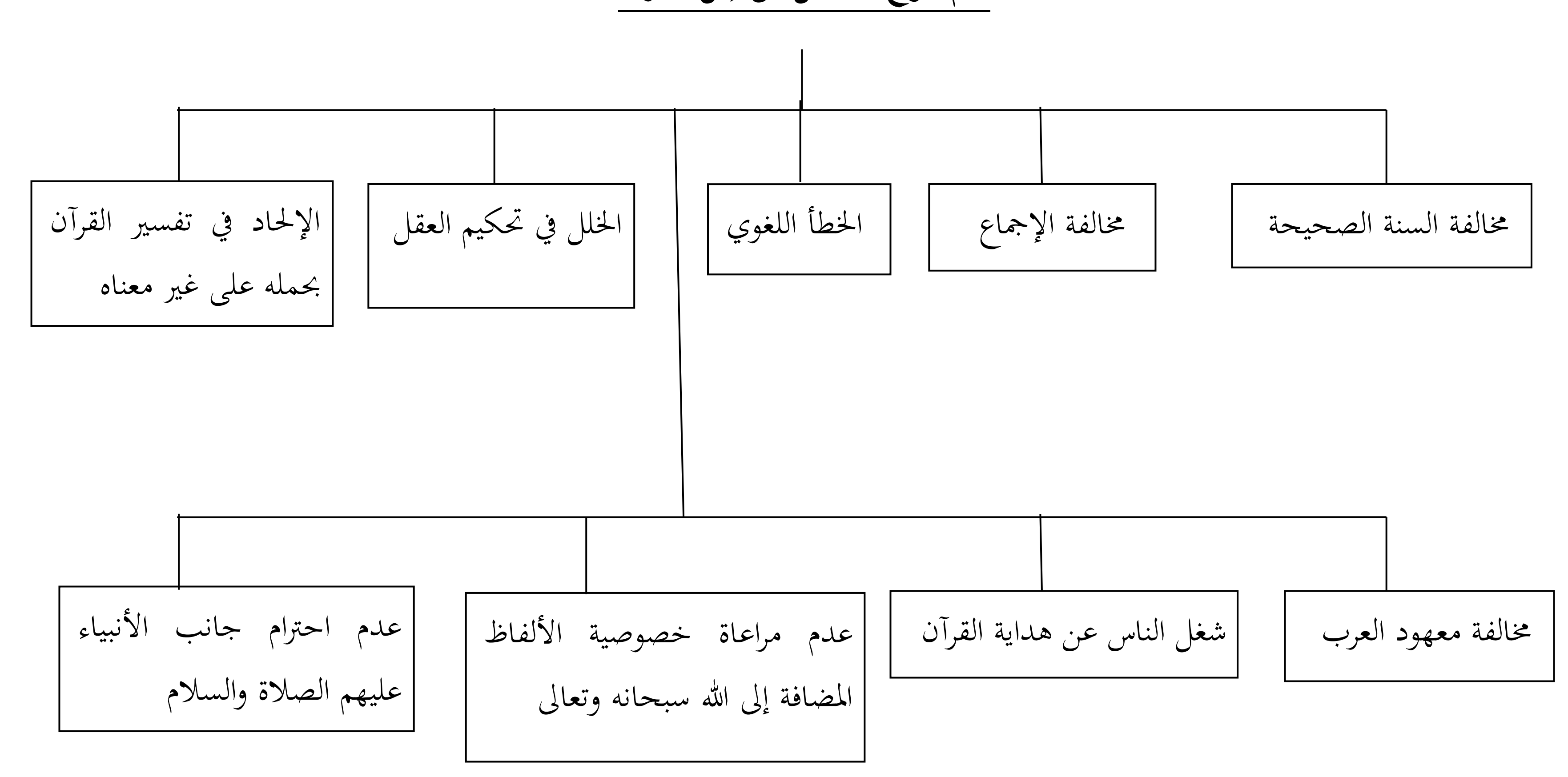
تاسعًا: عدم احترام جانب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الرسل عليهم صلوات الله وسلامه لهم علينا واجب التوقير والاحترام، وقد جاءت أخبارهم في القرآن العظيم وعلى رأسهم خاتمهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والألفاظ المنسوبة إليهم يجب الانتباه إليها عند التفسير، وذلك لأنَّ أنبياء الرحمن لهم أحكام خاصة دلت عليها قواطع الشريعة، ويجب حمل الآيات التي جاءت في حقهم على أليق المعاني وأرفعها.

مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ المزمل: ١ - ٢، إذ قال الزمخشري فيها: " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائماً بالليل متزملاً في قطيفه فنبه، ونودي بما يهجن إليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفته واستعداده للاستثقال في النوم، كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن" ا.هـ

قال الإمام الآلوسي بعد أن نقل مقالة الزمخشري تلك: "فأنه تعالى وإن كان له أن يخاطب حبيبه بما شاء لكنا نحن لا نجري على ما عامله سبحانه به بل يلزمنا الأدب والتعظيم لجنابه الكريم ولو خاطب بعض الرعايا الوزير بما خاطبه به السلطان طرده الحجاب وربما كان العقاب هو الجواب" ا.هـ

أهم أنواع الدخيل من قِبل الدراية



الفصل السادس: الاختلاف في التفسير والإجماع عليه

المبحث الأول: الاختلاف في التفسير

المبحث الثاني: الإجماع في التفسير

المبحث الأول: الاختلاف في التفسير

الاختلاف في اللغة: ضد الاتفاق، والاختلاف والمخالفة أن يأخذ كل واحد طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله.

أنواع الاختلاف في التفسير

تنوعت أساليب العلماء في تقسيم أنواع الاختلاف في التفسير؛ وذلك بالنظر إلى اعتبار دون اعتبار، وسنذكر أهم تلك الاعتبارات وهي:

أولًا: باعتبار حقيقة الاختلاف

ينقسم اختلاف المفسرين باعتبار حقيقة الاختلاف إلى قسمين:

الأول: اختلاف التضاد

وضابطه أنه لا يمكن القول بالمعنيين معًا، إذ يلزم من القول بأحدهما عدم القول بالآخر.

ومثاله: تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ البقرة: ٢٣٧، فقد قيل في تفسير الذي بيده عقدة النكاح قولان:

الأول: الزوج، والثاني: الولي، فإذا كان الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج، فلا يمكن أن يقال هو الولي، وكذا العكس، إذ لا يمكن أن يجتمع القولان معا في التفسير.

الثاني: اختلاف التنوع

وهو أن تحمل الآية على جميع ما قيل فيها إذا كانت معان صحيحة غير متعارضة.

وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: ما يكون أحد القولين في معنى القول الآخر، لكن العبارتين مختلفتان.

القسم الثاني: ما يكون معنى أحدهما غير معنى الآخر، لكن لا يتنافيان، فهذا قول صحيح، وهذا قول صحيح، وهو على أربعة أقسام هي:

الأول: أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى في المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى.

مثاله: اختلاف المفسرين في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦، فقال بعضهم: القرآن، وقال بعضهم: هو الإسلام.

فهذان القولان متفقان؛ لأن دين الإسلام هو اتباع القرآن، ولكن كل منهما نبه على وصف غير وصف الآخر.

الثاني: أن يذكر كل مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل المثال.

ومثاله: اختلاف المفسرين في معنى النعيم الوارد في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ التكاثر: ٨، قيل في النعيم أقوال منها: الأمن والصحة والأكل والشرب، وقيل: تخفيف الشرائع، وقيل: الإدراك بحواس السمع والبصر، فهذا المذكور كله أمثلة للنعيم.

الثالث: أن يكون اللفظ محتملًا لأمرين، إما لأنه مشترك في اللغة، أو لأنه متواطئ.

ومن أمثلته في المشترك _وهو ما اتحد فيه اللفظ واختلف فيه المعنى_ لفظ قسورة في قوله تعالى: ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴾ المدثر: ٥١، قيل: هو الرامي، وقيل: هو الأسد، وقيل: هو النبل.

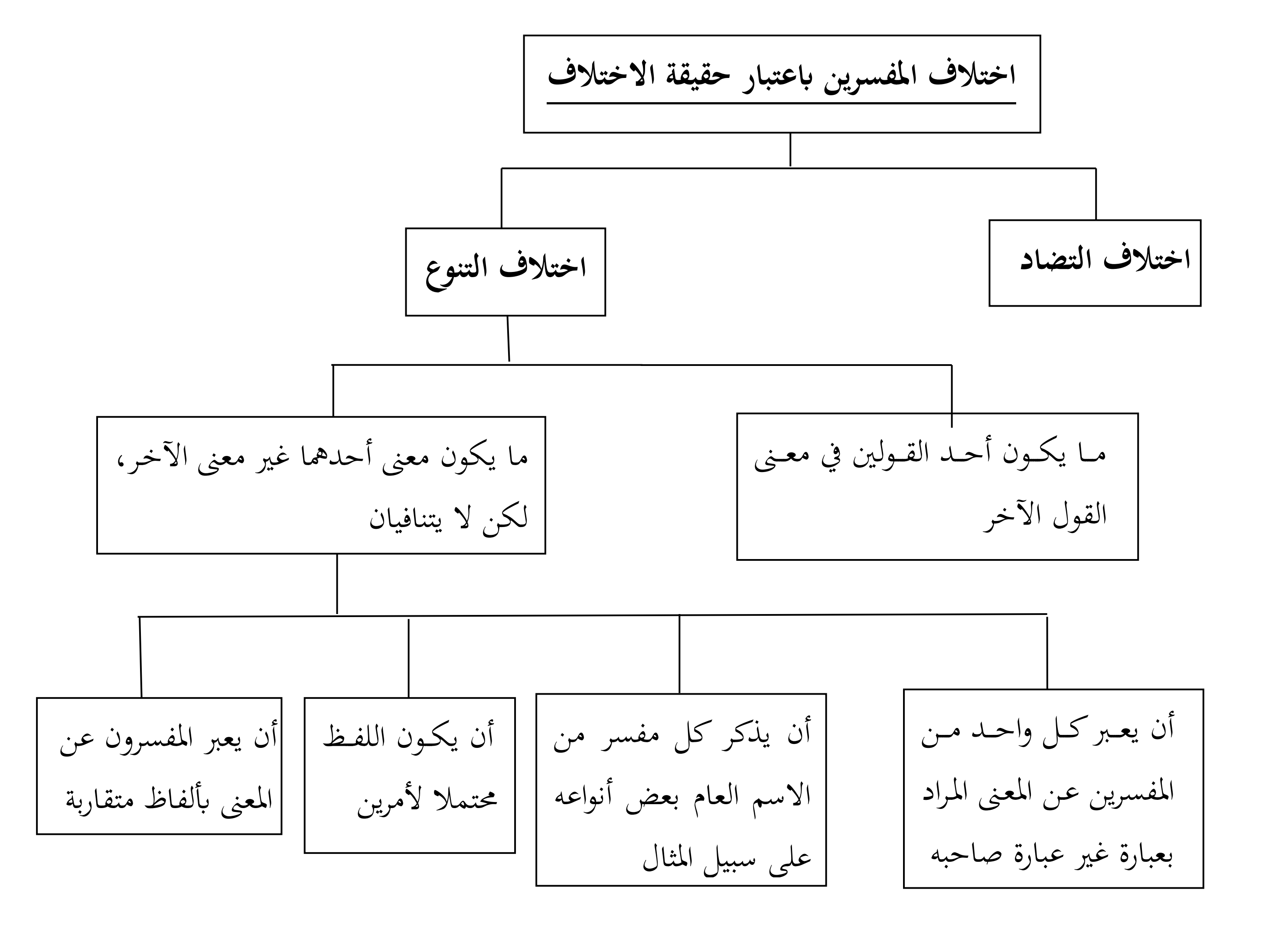
ومن أمثلته في المتواطئ _وهو نسبة وجود معنى كلي في أفراده وجودا متوافقا غير متفاوت_ الضمير الذي يحتمل عوده إلى شيئين، كالضمير في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾ الانشقاق: ٦، فالضمير في قوله "فملاقيه" يحتمل عوده إلى الكدح وإلى الرب.

ومن أمثلته كذلك لفظ "الخنس"، فقيل هو بقر الوحش، والظباء، وقيل: الكواكب والنجوم.

وفي هذا النوع يمكن أن تكون هذه الأقوال داخلة ضمن معاني الآية، فتحمل عليها جميعًا، ويمكن أن يكون أحدهما راجحًا، فيكون هو المختار وما عداه فهو مرجوح.

الرابع: أن يعبر المفسرون عن المعنى بألفاظ متقاربة

مثل قوله تعالى: ﴿ أَن تُبْسَلَ ﴾ الأنعام: ٧٠، قيل: تحبس، وقيل: ترتهن.


اختلاف المفسرين باعتبار حقيقة الاختلاف
اختلاف التضاد
اختلاف التنوع
ما يكون أحد القولين في معنى القول الآخر
ما يكون معنى أحدهما غير معنى الآخر، لكن لا يتنافيان
أن يعبر كل واحد من المفسرين عن المعنى المراد بعبارة غير عبارة صاحبه
أن يذكر كل مفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل المثال
أن يكون اللفظ محتملا لأمرين
أن يعبر المفسرون عن المعنى بألفاظ متقاربة

ثانيًا: باعتبار العبارة والتمثيل والمعنى

يقول ابن جزي ــرحمه الله ــ: "واعلم أن التفسير منه: متفق عليه، ومختلف فيه، ثم إن المختلف فيه على ثلاثة أنواع:

الأول: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى، فهذا عده كثير من المؤلفين خلافًا وليس في الحقيقة بخلاف؛ لاتفاق معناه، وجعلناه نحن قولًا واحدًا، وعبَّرنا عنه بأحد عبارات المتقدمين، أو بما يقرب منها، أو بما يجمع معانيها.

الثاني: اختلاف في التمثيل؛ لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد، وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد: المعنى العام التي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، فهذا عده أيضًا كثير من المؤلفين خلافاً وليس في الحقيقة بخلاف؛ لأنَّ كل قول منها مثال للمراد وليس بكل المراد، ولم نعده نحن خلافاً بل عبرنا عنه بعبارة عامة تدخل تلك الأقوال تحتها، وربما ذكرنا بعض تلك الأقوال على وجه التمثيل مع التنبيه على العموم المقصود.

الثالث: اختلاف المعنى، فهذا هو الذي عددناه خلافًا ورجَّحنا فيه بين أقوال الناس" ا.هـ

ثالثًا: باعتبار اللفظ والمعنى

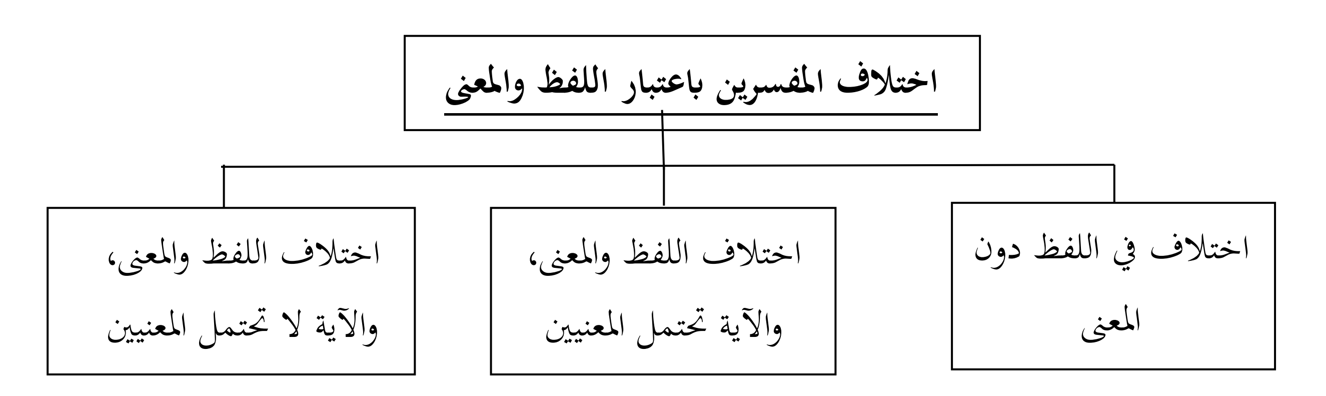
الأول: الاختلاف في اللفظ دون المعنى، فهذا لا تأثير له في معنى الآية، مثاله قوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ الإسراء: ٢٣، قال ابن عباس رضي الله عنهما: " قضى: أمر"، وقال مجاهد: وصى، وقال الربيع بن أنس: أوجب، وهذه التفسيرات معناها واحد أو متقارب، فلا تأثير لهذا الاختلاف في معنى الآية.

الثاني: اختلاف في اللفظ والمعنى، والآية تحتمل المعنيين لعدم التضاد بينهما، فتحمل الآية عليهما، وتفسر بهما، ويكون الجمع بين هذا الاختلاف أنَّ كل واحد من القولين ذكر على وجه التمثيل لما تعنيه الآية أو التنويع، مثاله قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا ﴾ الأعراف: ١٧٥، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه رجل من أهل اليمن، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: هو رجل من بني إسرائيل، وقيل: رجل من أهل البلقاء.

والجمع بين هذه الأقوال: أن تحمل الآية عليها كلها؛ لأنها تحتملها من غير تضاد، ويكون كل قول ذكر على وجه التمثيل.

الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى، والآية لا تحتمل المعنيين معا للتضاد بينهما فتحمل الآية على الأرجح منهما، بدلالة السياق أو غيره.

مثال ذلك: قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ النحل: ١١٥، قال ابن عباس رضي الله عنهما: غير باغ في الميتة، ولا عاد في أكلها، وقيل: غير خارج على الإمام ولا عاص بسفره، والأول أرجح؛ لأنه لا دليل في الآية على الثاني، ولأنَّ المقصود بحل ما ذكر مع الضرورة، وهي واقعة في حال الخروج على الإمام وفي حال السفر المحرم وغير ذلك.



رابعًا: باعتبار تعدد المعنى وعدمه

أولًا: الاختلاف الذي ترجع فيه الأقوال إلى معنى واحد، ويندرج تحته أربعة أنواع من الاختلاف:

الأول: الأقوال التي تعد أمثلة للفظ العام

مثال ذلك: اختلاف السلف في حسنة الدنيا في قوله تعالى:﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ البقرة: ٢٠١، فقيل: هي العافية، وقيل: هي العلم والعبادة، وقيل: المال، وهذه الأقوال إنما هي تمثيل لحسنة الدنيا.

الثاني: التعبير عن اللفظ بجزء معناه

تحتمل بعض ألفاظ العرب أكثر من مدلول، بحيث إن اللفظ إذا أطلق صار مركبًا من هذه المعاني، ومن أمثلة ذلك لفظ المور في قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴾ الطور: ٩، وقوله تعالى:﴿ أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ الملك: ١٦، أي: فإذا الأرض

تذهب بكم وتجيء وتضطرب، وهذا المور يشمل الحركة والذهاب والمجيء والاضطراب؛ لذا كانت عبارات السلف في تفسير مور السماء تذكر هذه المعاني الجزئية من لفظ المور كما سبق.

الثالث: التعبير عن اللفظ بلازمه

التعبير بلازم معنى اللفظ من جهة اللغة أو من جهة السياق خروج عن تفسير اللفظ بما يدل عليه من لغة العرب، واستخدام هذا الأسلوب فيه دلالة على أن المفسر يريد التنبيه على ما وراء اللفظ من المعنى الحقيقي الذي لا يدركه القارئ.

ومثاله: تفسير السدي رحمه الله لفظ بث في قوله تعالى:﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ النساء: ١، بمعنى خلق، فتفسير "بث" بمعنى خلق، إنما هو تفسير باللازم، وإلا فمعنى بث: نشر، ويكون اللازم أنه لا بث لهم إلا بخلقهم.

الرابع: التعبير عن اللفظ بما يقارب معناه

يعتمد هذا النوع على معرفة الفروق بين الألفاظ الذي يدل على عدم وجود الترادف بين كلمتين، كما يعتمد على معرفة المعنى الجملي المراد في الآية، فإذا جاءت عبارات متغايرة تدل على المقصود حُكِم بأن التعبير عن ذلك إنما هو لمجرد تقريب المعنى.

ومن أمثلة ذلك: تفسير لفظ "مزجاة" من قوله تعالى:﴿ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ ﴾ يوسف: ٨٨، فقيل: ردية زيوف لا تنفق حتى يوضع منها، وقيل: رثة المتاع، وقيل: غير طائل، وقيل: ناقصة، وقيل: ردية، وقيل: قليلة.

ثانيًا: الاختلاف الذي ترجع في الأقوال إلى أكثر من معنى

وله صورتان:

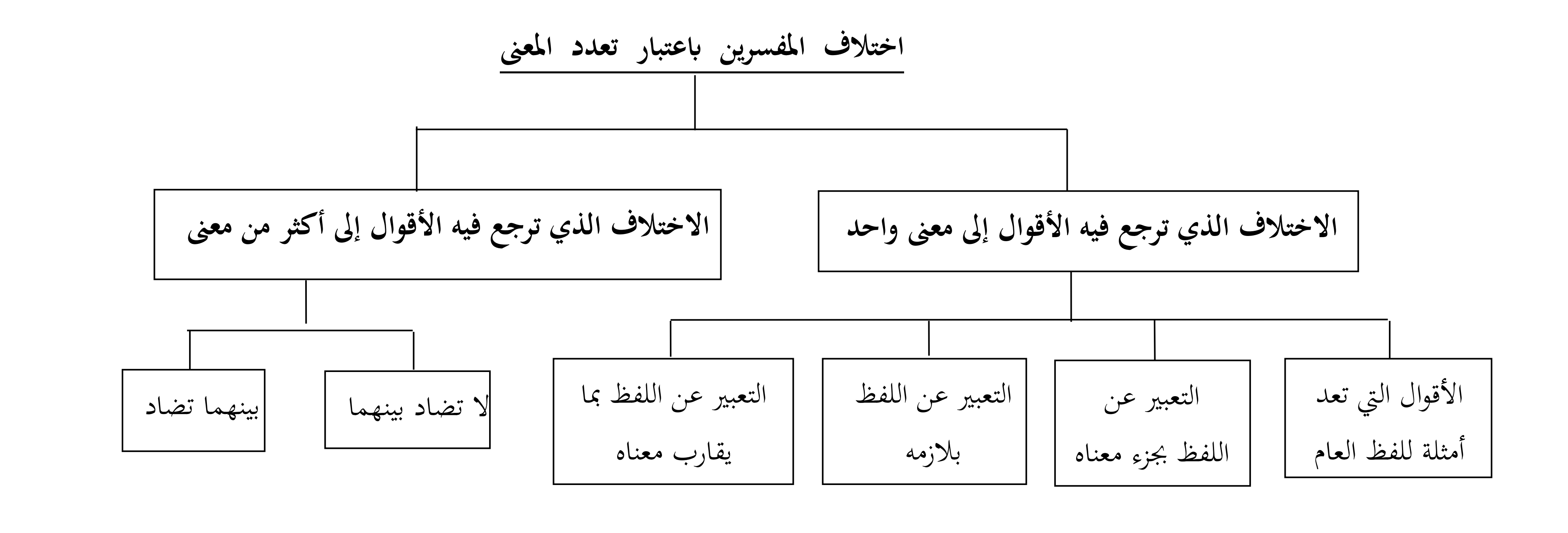
الأولى: الاختلاف الذي ترجع فيه الأقوال إلى أكثر من معنى لا تضاد فيها.

مثاله: تفسير لفظ "جاسوا" في قوله تعالى:﴿ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ﴾الإسراء: ٥، قيل: بمعنى مشوا، وقيل بمعنى: قتلوا، ولما لم يكن بين المعنيين تضاد جاز حمل الآية عليهما معًا.

الثانية: الاختلاف الذي ترجع فيه الأقوال إلى أكثر من معنى وبينهما تضاد.

مثاله: الاختلاف في الـمُفَدَّى قوله تعالى:﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ الصافات: ١٠٧، فقد قال بعض مفسري السلف: هو إسحاق عليه السلام، وقال آخرون: هو إسماعيل عليه السلام.

وهذان القولان متضادان؛ لأن القول بأحدهما يلزم منه إسقاط القول الثاني؛ لأنَّ المُفَدَّى واحد، ولا بد أن يكون أحدهما، وكما هو معلوم أن الراجح أنه إسماعيل عليه السلام.


اختلاف المفسرين باعتبار تعدد المعنى
الاختلاف الذي ترجع فيه الأقوال إلى معنى واحد
الاختلاف الذي ترجع فيه الأقوال إلى أكثر من معنى
الأقوال التي تعد أمثلة للفظ العام
التعبير عن اللفظ بجزء معناه
التعبير عن اللفظ بلازمه
التعبير عن اللفظ بما يقارب معناه
لا تضاد بينهما
بينهما تضاد

خامسًا: باعتبار كونه مذمومًا أو ممدوحًا

الأول: الاختلاف المذموم، وهو ما حاد فيه صاحبه عن الصواب وخالف المنهج الصحيح في التفسير، ومن ذلك ما هو شائع في تفاسير الفرق الضالة كالمعتزلة والرافضة، وله أسباب كثيرة نذكر منها:

١- أن يعتقد المفسر رأيًا مخالفًا لرأي أهل السنة والجماعة، فيفسر القرآن الكريم وفقًا لهذا الرأي ويصرف اللفظ عن مراده، كتفسير المعتزلة قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣، بمعنى منتظرة.

٢- اعتماد بعض المفسرين على الموضوعات والإسرائيليات التي تخالف العقل، والنقل واعتبارها أصلًا في التفسير مما يتناقض مع الصحيح الوارد في تفسير الآيات.

٣- اعتماد بعض المفسرين على مجرد اللغة دون الرجوع إلى أصول التفسير وأدواته، كتفسير بعضهم قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ الإسراء: ٥٩، بأن المراد به أن الناقة كانت مبصرة، والصحيح أن المعنى: حجة باهرة ومعجزة ظاهرة.

٤- ترك الظاهر والتعويل على معان لا أصل لها، وليس لها أدنى صلة بالآيات.

٥- تحميل النص ما لا يحتمل والتعسف في ذلك.

٦- ترك المعنى الذي يتناسب مع السياق إلى معنى آخر لا يتناسب مع السياق.

٧- الخطأ في معرفة اشتقاق الكلمة، كتفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾الإسراء: ٧١، أنه ينادى على كل إنسان باسم أمه، والصواب أنه الإمام وليس الأم.

٨- ترك الظاهر إلى معنى آخر بعيد دون دليل على ذلك.

الثاني: **الاختلاف المحمود**، وهو الاختلاف الذي له حظ من النظر وله وجهه وأدلته.

وله أسباب كثيرة نذكر منها ما يلي:

١- اختلاف التعبير:

كأن يعبر كل مفسر عن المعنى الواحد بعبارات شتى تدور كلها حول هذا المعنى، أو تكتمل بها صورته ويستقر المعنى في الأذهان، أو أن يفسر بعضهم اللفظ بمعان متنوعة لكنها تدور في محور واحد، فبعض المفسرين قد يفسر المعنى بمثال عليه أو بلازمه.

مثاله: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ الحج: ٣٤، قيل: المطمئنين، وقيل: الذين لا يظلمون الناس، وإذا ظلموا، لم ينتصروا، وقيل: المتواضعين، وقيل: الوجلين، وقيل غير ذلك، وكل هذه الصفات والأحوال مجتمعة في المخبتين.

٢- أن يفسر بعضهم المعنى ببيان بعض ما يندرج تحته من أنواع، أو يفسره بذكر مثال له.

مثال ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾الحج: ٧٨، قيل في معنى رفع الحرج: هو ما أحله الله من النساء مثنى وثلاث ورباع، وملك اليمين، وقيل: رفع الحرج هو قصر الصلاة والإفطار للمسافر والصلاة بالإيماء على من لا يقدر على غيره، وإسقاط الجهاد عن الأعرج والأعمى والمريض، وقيل: رفع الحرج هو قبول "التوبة" وقيل غير ذلك، والظاهر أن الآية أعم من ذلك كله، فهي تشمل رفع الحرج بكافة صوره وأشكاله.

٣- الاختلاف في عود الضمير:

مثاله: وقع الاختلاف في الضمير في لفظ "وتعزروه وتوقروه" مع إجماعهم على أن الضمير في "وتسبحوه" يعود على الله من قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ الفتح: ٨ - ٩، على قولين:

الأول: أن الضميرين في الكلمتين يعودان إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويكون المعنى: لتؤمنوا بالله، وتؤمنوا برسوله، وتعزروا رسوله، وتوقروا رسوله، وتسبحوا الله، وإنما أعيد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه أقرب مذكور.

الثاني: أنهما يعودان إلى لفظ الجلالة، ويكون المعنى لتؤمنوا بالله وتؤمنوا برسول الله، وتعزروا الله، وتوقروا الله، وتسبحوا الله؛ لأن السياق جاء لأول مذكور، وهو الله، والقول به يجعل الجمل وحدة مترابطة بخلاف القول الأول الذي يلزم منه التفكك في الجمل.

٤- أن يكون اللفظ مشتركا في اللغة مثاله:

اختلافهم في معنى كلمة "قسورة" الواردة في قوله تعالى: ﴿ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴾ المدثر: ٥١، قيل: المراد بها الرامي، وقيل: المراد بها الأسد، وقيل: النبل، فهذا الاختلاف ناتج بسبب الاشتراك الحاصل في لفظ "قسورة".

٥- اختلاف القراءات:

مثال ذلك: اختلاف المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ آل عمران: ٣٦، ومرجع اختلافهم إلى اختلاف أوجه القراءات المتواترة في التاء من "وضعت" فقراءة ابن عامر وأبي بكر الكوفي، ويعقوب بسكون العين وضم التاء، وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان التاء، وعلى الأول التاء تاء الفاعل، وعلى الثاني التاء تاء التأنيث.

٦- الاختلاف في القول بالنسخ:

ومن ذلك زعم بعض المفسرين أن آيات الإذن بالقتال نسخت جميع آيات الصبر والعفو والإعراض والصفح، والصواب: أن العفو والصبر والإعراض والصفح من الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن وهي قائمة محكمة لها مواطنها التي تحمد فيها كما أنَّ للقوة مواطنها.

٧- الاختلاف في حمل اللفظ على الحقيقة أو المجاز:

من ذلك اختلافهم في تفسير: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ المسد: ٤، قيل: تحمل الحطب والأشواك حسا، وتنثرها أمام بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: تمشي بين الناس بالنميمة، فتنمي العداوة بينهم، كما تزداد النار اشتعالًا وحرارة حين يلقى الحطب فيها، فعلى المعنى الأول: اللفظ حقيقة، على المعنى الثاني مجاز.

٨- تفاوتهم في معرفة السنة النبوية:

كاختلاف الصحابة في عدة المتوفي عنها زوجها إذا وضعت الحمل هل تنقضي عدتها بوضع الحمل، فينطبق عليها قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ الطلاق: ٤، أم تعتد بأربعة أشهر وعشرا، وهي عدة المتوفي عنها زوجها كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ البقرة: ٢٣٤، فقد رأى ابن عباس أنها تعتد بأبعد الأجلين، ورأى ابن مسعود رضي الله عنه أنها إذا وضعت حملها قبل تمام الأربعة أشهر وعشر، فعدتها بوضع الحمل، ويؤيد قول ابن مسعود رضي الله عنه حديث سبيعة الأسلمية رضي الله عنها أنها توفي عنها زوجها، وهي حامل، فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك، فقال

لها: ما لي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح، إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر، قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك، جمعت علي ثيابي حين أمسيت، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك، فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي".

٩- الاختلاف في الإطلاق والتقييد:

من أسباب اختلاف المفسرين الاختلاف في الإطلاق والتقييد، والإطلاق تناول واحد غير معين، والتقييد تناول واحد معين، أو موصوف بوصف زائد فقد يرى بعض المفسرين بقاء اللفظ المطلق على إطلاقه، وقد يقول بعضهم بتقييد هذا المطلق بقيد ما: من ذلك عتق الرقبة في كفارة اليمين وكفارة الظهار، فقد وردت مطلقة في كفارة اليمين في قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾المائدة: ٨٩، وكذلك وردت مطلقة في كفارة الظهار في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾المجادلة: ٣، ووردت مقيدة كما في كفارة القتل في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ النساء: ٩٢، فحمل بعض المفسرين المطلق على المقيد، وقالوا: لا تجزئ الرقبة الكافرة، وأبقى بعضهم المطلق على إطلاقه.

١٠- الاختلاف في العموم والخصوص:

مثال ذلك: اختلافهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾البقرة: ٢٢١، فمن المعلوم أن النصرانيات واليهوديات مشركات، لكنهن لا يدخلن في عموم هذه الآية بدليل قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الآية المائدة: ٥.

١١- الاختلاف في فهم حروف المعاني:

فقد يدل الحرف على أكثر من معنى: من ذلك الباء في قوله تعالى: ﴿ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾المائدة: ٦، هل هي للملاصقة أم للتبعيض؟ فقيل: إنها للملاصقة، وقيل: للتبعيض.

١٢- الاختلاف في أوجه الإعراب:

من ذلك اختلافهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ المائدة: ٦٩، حيث جاءت كلمة "الصابئون" في الآية مرفوعة وما قبلها منصوب، والتقدير: إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصار والصابئون كذلك، قال ابن كثير رحمه الله: "لما طال الفصل حسن العطف بالرفع"ا.هـ، وقال النسفي: "وفائدة التقديم التنبيه على أن الصابئين وهم أبين هؤلاء المحدودين ضلالا وأشدهم غيا يتاب عليهم إن صح منهم الإيمان فما الظن بغيرهم" ا.هـ

وقيل: "والصابئون " معطوف على محل إنَّ واسمها، ومحلها الرفع، والتقدير: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك.

١٣- اختلافهم في أسباب النزول:

كاختلافهم في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ﴾ التحريم: ١، قيل: نزلت في تحريم النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه عسلًا، وقيل في أمة كانت له كان يطؤها.

١٤- مراعاة السياق:

يقول الإمام العز بن عبدالسلام ـــرحمه اللهـــ:" إذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح، وأشد موافقة للسياق كان الحمل عليه أولى".

مثال ذلك: ما ذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ البقرة: ١٩٥، فهذه الجملة لا يمكن فهمها مجردة من سياقها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " ليس التهلكة أن يقتل الرجل في سبيل الله، ولكن الإمساك عن النفقة في سبيل الله، وهذا لا يفهم إلا من خلال السياق.

وقيل في معنى الآية: وأنفقوا في سبيل الله ولا تتركوا الجهاد في سبيله، وقيل: أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم فيما أصبتم من الآثام إلى التهلكة، فتيأسوا من رحمة الله، ولكن ارجوا رحمته واعملوا الخيرات، وهذا الاختلاف ناتج عن السياق.

١٥- اختلافهم بسبب حمل الكلام على التقديم والتأخير:

المراد بالتقديم والتأخير جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية، أو بعدها لعارض اختصاص أو أهمية أو ضرورة.

مثال لهذا النوع من الاختلاف قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البقرة: ٧٢، هل هو سابق لقوله تعال: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ البقرة: ٦٧.

قيل هو مقدم في التلاوة، مؤخر في المعنى على قوله تعال: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾ الآية، لأن أمر موسى لقومه بأن يذبحوا بقرة كان في الترتيب الزمني بعد قصة القتل المذكورة في الآية الثانية.

قال الشوكاني ــرحمه اللهــ: " ويجوز أن يكون ترتيب نزولها على حسب تلاوتها، فكأن الله أمرهم بذبح البقرة حتى ذبحوها، ثم وقع ما وقع من أمر القتل، فأمروا أن يضربوه ببعضها هذا على فرض أن الواو تقتضي الترتيب، وقد تقرر في علم العربية أنها لمجرد الجمع من دون ترتيب ولا معية".

١٦- تنوع ثقافة كل مفسر:

مثال ذلك اختلافهم في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٨، فبحسب ثقافة المفسر يفسر قوله تعالى: ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾، فالمتقدمون فسروها بما أعده الله للمؤمنين من الجنة، وبعض المتأخرين فسروها بوسائل الاتصالات الحديثة.

١٧- ذكر الوصف المحتمل لأكثر من موصوف:

ترد بعض الألفاظ في الفرآن أوصافا مطلقة بدون تحديد موصوف معين فيحملها المفسرون على ما يصلح لها من الموصوفات، فيكون عدم تحديد موصوفها مدعاة إلى اختلاف القول فيها، ومن ذلك: الاختلاف في لفظ "المرسلات" في قوله تعالى: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ المرسلات: ١، على قولين:

الأول: أن المراد بها الرياح، ترسل بعضها يتبع بعضا.

الثاني: أن المراد بها الملائكة، ترسل بعضها يتبع بعضا.

ولفظ "المرسلات" وصف لم يذكر موصوفه، فوقع الخلاف كما ترى.

١٨- اختلاف المصدر المعتمد عليه في التفسير:

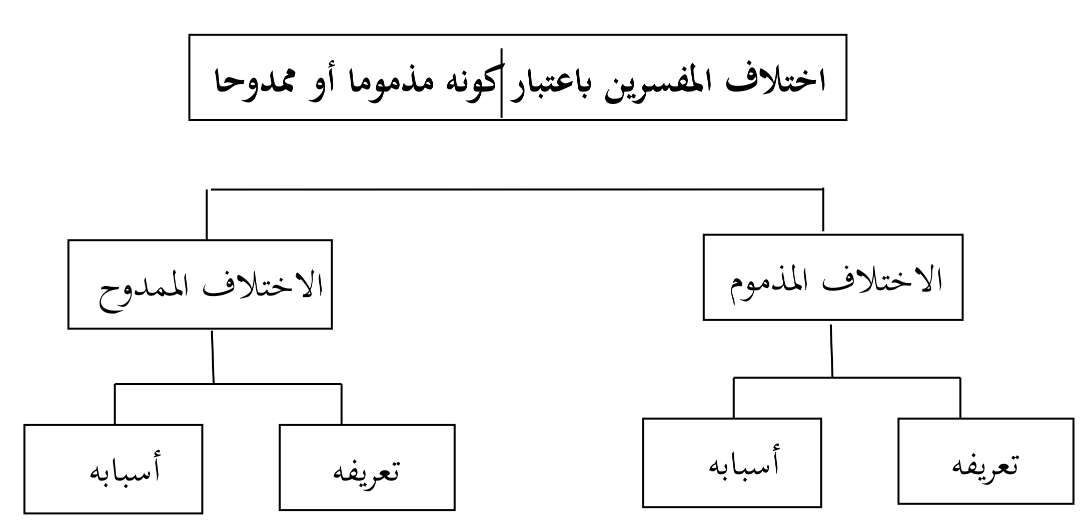
لما كان الاختلاف بسبب الاجتهاد وكانت مصادر التفسير متعددة، فقد يقع الاختلاف بسبب مفسر على مصدر واعتماد الآخر على مصدر آخر، ومن الأمثلة على ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ القلم: ٤٢، ففي معنى الآية قولان:

الأول: تكشف القيامة عن هول وكرب، وهذا التفسير مبني على المعنى اللغوي.

الثاني: أن المراد ما ورد في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنه، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقًا واحدًا**"، وهذا التفسير يعتمد على السنة النبوية، ولا يعني ذلك أن من فسر الساق بالشدة والهول أنه ينكر صفة الساق، بل قصارى الأمر أن يكون لا يرى هذه الآية دالة على صفة الساق فقط.

١٩- اختلافهم في اللفظ المعرب

كالاختلاف في معنى "المتكأ" في قوله تعالى: ﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ يوسف: ٣١، فقيل: المتكأ هو محل الجلوس والاتكاء، وهو بهذا معنى عربي، وقيل: معنى المتكأ نوع من أنواع الفاكهة، وهو لفظ مُعَرَّب.



المبحث الثاني: الإجماع في التفسير

تعريفه: الإجماع هو اتفاق مجتهدي الأمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في عصر من العصور على أي أمر كان.

والإجماع في التفسير هو: اتفاق مفسري الأمة في عصر من العصور على معنى آية أو آيات من القرآن.

حجية الإجماع:

الإجماع حجة، وهو معدود من مصادر الشريعة التي يُرجع إليها، ويعمل بها، وهو يأتي بعد الكتاب والسنة، ولم يقع في ذلك خلاف يعتد به.

فوائد الإجماع:

١- الإجماع على المعلوم من الدين بالضرورة يظهر حجم الأمور التي اتفقت فيها الأمة، حيث لا يستطيع أهل الزيغ والضلال إفساد دين المسلمين.

٢- العلم بالقضايا المجمع عليها من الأمة يعطي الثقة التامة بهذا الدين، ويؤلف قلوب المسلمين.

٣- إنه قد يخفى النص على بعض الناس، ويعلم الإجماع فيحتج به.

٤- إن السند الذي يقوم عليه الإجماع قد يكون ظنيًا، فيرتفع بالإجماع عليه إلى مرتبة القطع.

٥- إن النصوص تحتمل التأويل والتخصيص والنسخ ونحو ذلك، والإجماع يرفع الاحتمال، ويقي المجتهد متاعب النظر والاستدلال.

٦- التشنيع على المخالفين بالجرأة على مخالفة الإجماع، فيكون ذلك سببا لزجر المخالف، وردعه عن التمادي في باطله.

المفسرون المعتنون بالإجماع، ودواعي ذكرهم له:

اعتنى المفسرون بالإجماع، ومن أشهر من اعتنى بالإجماع من المفسرين:

١- ابن عطية ٢- القرطبي ٣- الواحدي ٤- الطبري ٥- الماوردي.

وكان من دواعي ذكر الإجماع عندهم أن يوجد اشتراك في المعنى، فيقع إجماع المفسرين على أحدهما، أو أن يريد المفسر تحرير محل النزاع في الآية، أو أن يرد به على المخالفين، أو أن يحتج

به لترجيح قول في آية أخرى، وغير ذلك من الدواعي.

الأسباب التي توقع المفسر في مخالفة الإجماع:

١- ضعف العناية بآثار السلف، وعدم التمييز بين صحيح الروايات الواردة عنهم وضعيفها.

٢- كون المفسر يعتقد أشياء باطلة، ثم يحمل القرآن عليها، ولو كان مخالفًا لما أجمع عليه السلف.

٣- تفسير القرآن بمجرد اللغة، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمُنَزَّلِ عليه، والمخاطب به.

٤- الاعتداد بالقول الشاذ.

٥- الاعتداد بقول انعقد الإجماع قبل حدوثه.

٦- الاعتماد في نقل الخلاف على روايات ضعيفة، لا تثبت عمن نسبت إليه.

أقسام الإجماع:

يقسم الإجماع باعتبارت عدة على النحو الآتي:

أولًا: باعتبار ذاته: ١- إجماع صريح ٢- إجماع سكوتي.

ثانيًا: باعتبار أصله: ١- إجماع عامة الناس ٢- إجماع خاصة الناس "العلماء".

ثالثًا: باعتبار عصره :١- إجماع الصحابة ٢- إجماع من بعدهم.

رابعًا: باعتبار نقله إلينا:١- إجماع ينقل بالتواتر ٢- إجماع ينقل بطريق الآحاد.

خامسًا: باعتبار قوته: ١- إجماع قطعي ٢- إجماع ظني.

صور الإجماع وما يتعلق بها:

الإجماع عند المفسرين صورتان:

الأولى: الإجماع الصريح، والمراد به: نص أحد المفسرين، بوقوع الإجماع على تفسير لفظ أو معنى في الآية.

مثال ذلك: تفسير الاستهزاء في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾البقرة: ١٤، قال الطبري ــرحمه الله ــ: "أجمع أهل التأويل جميعًا ــلا خلاف بينهمــ على أن معنى قوله "يستهزئون" إنما نحن ساخرون".

الثانية: الإجماع على معنى واحد، وإن اختلفت عبارات المفسرين عنه

مثال ذلك: إجماع المفسرين على أنَّ كل طاعة لله تسمى "برًا"، وإن اختلفت عباراتهم في تفسير البر، يقول الإمام الطبري ــرحمه اللهــ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾ البقرة: ٤٤، إذ اختلف أهل التأويل في معنى البر الذي كان المخاطبون بهذه الآية يأمرون الناس به وينسون أنفسهم، بعد إجماع جميعهم على أنَّ كل طاعة لله فهي تسمى برًا" ا.هـ

ومن الأقوال التي ذكرها السلف في تفسير البر:

١- الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم. ٢-الأمر بطاعة الله وتقواه.

٣-الأمر بالصوم والصلاة.

قال الإمام الطبري ــرحمه اللهــ: "وجميع الذي قال في تأويل هذه الآية من ذكرنا قوله متقارب المعنى؛ لأنهم وإن اختلفوا في صفة "البر" الذي كان القوم يأمرون به غيرهم، الذين وصفهم الله بما وصفهم به، فهم متفقون في أنهم كانوا يأمرون الناس بما لله فيه رضا من القول أو العمل، ويخالفون ما أمروهم به من ذلك إلى غيره بأفعالهم".

إحداث قول جديد في التفسير:

لإحداث قول جديد في التفسير أحوال متعددة:

الحالة الأولى: أن يتردد الخلاف بين أقوال معينة فحسب، لا يتصور إحداث قول جديد معها، كالخلاف في آيات العقيدة والأحكام.

مثاله: الاختلاف في معنى "قرء" في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾البقرة: ٢٢٨، قيل: الطهر، وقيل: الحيض، ولا يمكن إحداث قول ثالث؛ لأنه حكم فقهي لا يخرج عن هذين القولين.

الحالة الثانية: إحداث قول تفسيري صحيح لا يناقض أقوال السلف بالكلية، وهذا جائز.

الحالة الثالثة: إحداث قول يناقض أقوال السلف بالكلية، وهذا غير جائز.

كيف نصل إلى إجماعات المفسرين:

لمعرفة إجماعات المفسرين طريقان، وكلاهما يعتمد على الاستقراء:

الأول: أن ينص أحد المحققين على حكاية الإجماع.

الثاني: أن تستقرئ أقوال المفسرين، وتستنبط الإجماع من أقوالهم إذا لم يكن بينهم خلاف في الآية.

نماذج من إجماعات المفسرين:

١- الإجماع على أنَّ "المغضوب عليهم ولا الضالين" هم اليهود والنصارى.

٢- الإجماع على أنَّ المراد بالكتاب في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ﴾البقرة: ٢، هو القرآن.

٣- الإجماع على أنَّ معنى "الريب" الشك في قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ﴾البقرة: ٢.

٤- الإجماع على أنَّ المراد بالمرض في قوله تعالى:﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾ البقرة: ١٠ ، شك ونفاق.

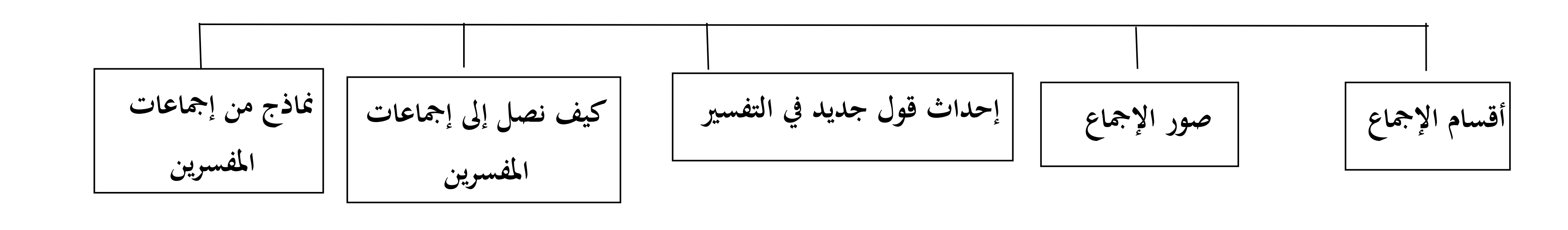
٥- الإجماع على أنَّ المراد بالناس في قوله تعالى:﴿ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾ البقرة: ١٣ هم الصحابة.

٦- الإجماع على أنَّ المراد بالبيت في قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ البقرة: ١٢٧ الكعبة.

٧- الإجماع على أنَّ البلد الأمين في قوله تعالى:﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾ التين: ٣ هي مكة.

٨- الإجماع على أنَّ المراد بقوله تعالى:﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴾ الليل: ١٧ هو أبو بكر الصديق.

ولمعرفة المزيد من إجماعات المفسرين ينظر كتاب الإجماع في التفسير للدكتور محمد بن عبدالعزيز الخضيري.


الإجماع في التفسير
تعريفه
حجيته
فوائد الإجماع
المفسرون المعتنون بالإجماع، ودواعى ذكرهم له
الأسباب التي توقع المفسر في مخالفة الإجماع
أقسام الإجماع
صور الإجماع
إحداث قول جديد في التفسير
كيف نصل إلى إجماعات المفسرين
نماذج من إجماعات المفسرين

الفصل السابع: الغريب في التفسير

المبحث الأول: غريب القرآن الكريم

المبحث الثاني: كليات الألفاظ في التفسير

المبحث الثالث: الأشباه والنظائر

المبحث الرابع: ما يفهم على غير المراد

المبحث الخامس: الفروق اللغوية في تفسير كلمات القرآن

المبحث الأول: غريب القرآن الكريم

الغريب في اللغة: البعيد، فالبعيد عن أهله الذي يعيش في قوم آخرين يسمى غريبًا، والغريب في الكلام ما كان غامض المعنى.

وعلم الغريب اصطلاحا: هو العلم المختص بتفسير الكلمات الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب، وكلامهم.

أسباب صعوبة فهم المراد من الكلام:

يصعب التوصل إلى فهم المراد من الكلام تارة لوجود لفظة غريبة، وتكون معالجته بنقل معنى اللفظة بما ورد عن الصحابة والتابعين، وأهل اللغة، وقد يصعب فهمه لقلة الاطلاع على الناسخ والمنسوخ، أو لعدم معرفة أسباب النزول، أو بسبب حذف المضاف أو الموصوف، أو بسبب إبدال حرف مكان حرف، أو اسم مكان اسم، أو فعل مكان فعل، أو جمع مكان مفرد أو العكس، أو أسلوب الغيبة مكان أسلوب الخطاب، أو تقديم ما حقه التأخير أو العكس، أو بسبب انتشار الضمائر، أو بسبب التكرار أو الإطناب، أو لأجل الاختصار والإيجاز، أو لاستعمال الكناية أو المجاز أو التعريض.

أقسام الغريب في القرآن الكريم:

يمكن تصنيف الغريب إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الغريب العام، وهو ما استعمل في القرآن الكريم، لكنه قليل الاستعمال في لغة العرب، أو قليل الاستعمال في قبيلة دون قبيلة مع فصاحته وجزالته، نحو: قسورة، ووقب، وسجيل.

وقيل: هو الألفاظ الغريبة المستحسنة في التأويل، حيث لا يستوي في العلم بها أهلها وسائر الناس، نحو "وسق"، فما يعرف مدى حلاوتها وعذوبتها وفصاحتها إلا العارف بها.

الثاني: الغريب العائد إلى اختلاف التصريف.

مثال ذلك: كلمة "وجد" مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت، فقلنا في المال وجدًا، وفي الضالة وجدانًا، وفي الغضب موجدة، وفي الحزن وجدًا.

وكلمة "قسط" تختلف عن "أقسط" فالأولى بمعنى جار، والثانية بمعنى عدل.

الثالث: الغريب العائد إلى اختلاف التعدي بالحروف

مثل: "استوى" ترد مرة متعدية بإلى، وتارة متعدية بعلى، وتارة ترد بدون تعدية.

منشأ الغرابة:

١-اختلاف لغات العرب.

٢-استعمال القرآن له كاصطلاح شرعي: مثل ألفاظ الإيمان والإسلام والصلاة.

٣-دلالة السياق على معنى خاص للكلمة.

ترتيب كتب غريب القرآن:

تنقسم كتب غريب القرآن من حيث الترتيب إلى قسمين:

القسم الأول: الترتيب حسب الحروف الأبجدية، ومن أمثلة ذلك: المفردات للراغب الأصفهاني، والقاموس القويم للقرآن الكريم لإبراهيم أحمد عبدالفتاح.

القسم الثاني: الترتيب حسب سور القرآن، ومن أمثلته: السراج في بيان غريب القرآن للدكتور محمد عبدالعزيز الخضيري.

أشهر المؤلفات في غريب القرآن:

إن أول المؤلفات في غريب القرآن هو ما أثر عن ترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما عن طريق ابن أبي طلحة، وقد اعتمده البخاري غالبا في الجامع الصحيح، حيث كان التفسير جزءا أو بابا من أبواب الحديث.

ويلي ذلك ما روي من طريق الضحاك عن عبدالله بن عباس، وأجوبة ابن عباس عن سؤالات نافع بن الأزرق.

ومن كتب غريب القرآن:

١-مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى ت ٢١٠هـ.

٢-معاني القرآن للأخفش الأوسط ت ٢١٥هـ.

٣-تفسير المشكل من غريب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧هـ.

٤-غريب القرآن لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت ٢٧٦هـ.

٥-ياقوتة الصراط في غريب القرآن لأبي عمر محمد بن عبدالواحد الملقب بثعلب ت ٣٤٥هـ.

٦-تذكرة الأريب في تفسير الغريب لأبي الفرج ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ.

٧-المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ.

٨-تفسير غريب القرآن لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ت ١١٨٢هـ.

٩-تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان محمد بن يوسف الغرناطي ت ٧٤٥هـ.

١٠- كلمات القرآن تفسير وبيان لحسين محمد مخلوف.

وغيرها كثير.

المبحث الثاني: كليات الألفاظ في التفسير

كليات القرآن هي: ورود لفظ أو أسلوب في القرآن على طريقة مطردة أو أغلبية.

وتنقسم إلى أربعة أقسام:

١- كليات الألفاظ، وتعني: ورود لفظ في القرآن معنى أو طريقة مطردة أو أغلبية.

مثاله: كل "إفك" في القرآن فهو "كذب" بلغة قريش.

٢- كليات الأساليب، وتعني: ورود أسلوب في القرآن على طريقة أو عادة مطردة أو أغلبية.

مثاله: "إذا ورد في القرآن الترغيب قارنه الترهيب، في لواحقه أو سوابقه أو قرائنه، وبالعكس، وكذلك الترجية مع التخويف.

٣- كليات علوم القرآن:

مثاله: كل سورة فيها "كلا" فهي مكية.

٤- كليات اللغة في القرآن:

ومثاله: جميع ما في القرآن من "لعل" فإنها للتعليل، إلا قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ الشعراء: ١٢٩، فهي للتشبيه، أي كأنكم تخلدون.

فوائد معرفة الكليات:

١- الترجيح بين الأقوال.

٢- الاحتجاج للمعاني، فهي بمثابة قواعد ترجيحية.

٣- إثراء المفسر وطالب العلم من الناحية التفسيرية واللغوية.

٤- التعرف على عادات القرآن وأساليبه تفتح للناظر آفاق التدبر.

٥- تعد بمثابة القواعد والضوابط، فهي وسائل تيسير العلوم.

٦- تعد كشفًا عن وجوه جديدة من وجوه إعجاز القرآن وبلاغته.

نماذج من كليات الألفاظ في التفسير:

١- كل شيء في كتاب الله من الرجز بمعنى العذاب.

٢- ما سمى الله "مطرًا" في القرآن إلا عذابًا.

٣- كل ظن في القرآن فهو علم.

٤- كل ما في القرآن: قُتِل الإنسان أو فُعِل بالإنسان فإنما عني به الكافر.

وغيرها كثير، وللمزيد ينظر كليات الألفاظ في التفسير للدكتور بريك بن سعد القرني.

ولا يلزم من ذكر الكليات التسليم بها مطلقا بل منها المقبول ومنها المردود.

المبحث الثالث: الأشباه والنظائر

الأشباه والنظائر، يقال لها الوجوه والنظائر.

أولًا: معنى الوجوه، الوجوه هو اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان.

كلفظة "الأمة" إذ أن لفظ "الأمة" جاء في القرآن بمعنى الطائفة من الناس وهو الغالب، وبمعنى: المدة، وبمعنى: الدين، وبمعنى: الإمام في الخير.

ثانيًا: النظائر، النظائر هي: الألفاظ المتواطئة.

والألفاظ المتواطئة هي: أن يوجد اللفظ له معنى واحد، وهذا المعنى له أفراد كثيرون.

كلفظة: "قرية" حيث وردت في القرآن أكثر من خمسين مرة، وفي كل هذه المواضع معنى القرية واحد، لكن المراد منها يختلف بحسب المقصود، فقد يراد بها القدس أو أريحا، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ البقرة: ٥٨، وقد يراد بها مكة كما في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾ النساء: ٧٥، وهكذا.

فالوجوه تتعلق بالألفاظ المتحدة في النطق المختلفة في المعنى.

والنظائر: تتعلق بالألفاظ المتحدة في النطق والمعنى معا.

من أشهر المؤلفات في علم الوجوه والأشباه والنظائر:

١- الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان البلخي ت ١٥٠هـ.

٢- الوجوه والنظائر لعبدالله بن هارون الحجازي ت ١٦١هـ.

٣- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ت ٥٩٧هـ.

٤- تحصيل نظائر القرآن للحكيم الترمذي ت ٣٢٠هـ.

٥- وجوه القرآن لأبي عبدالرحمن إسماعيل بن أحمد الضرير ت ٤٣٠هـ.

٦- كشف السرائر عن معنى الوجوه والنظائر لشمس الدين محمد العماد ت ٨٨٧هـ.

وغيرها من الكتب.

المبحث الرابع: ما يفهم على غير المراد

المراد بها: كلمات قرآنية نفهمها على خلاف ما هي عليه.

ويمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: الكلمات التي لم يقل أحد بتفسيرها الذي نفهمه، كقوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ الأعراف: ١٤١، أي: يتركونهن على قيد الحياة، ولا يقتلونهن كفعلهم بالصبيان، وليس من الحياء.

القسم الثاني: الآيات التي نفهمها على خلاف قول الجمهور:

كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ البقرة: ٢٢٤، المتبادر إلى الذهن منها: أن الإنسان لا يحلف بالله على كل صغيرة وكبيرة، وهذا قول لكنه خلاف قول الجمهور، والمعنى عند الجمهور: لا تجعلوا أيمانكم بالله مانعة لكم من البر وصلة الرحم إذا حلفتم على تركها.

القسم الثالث: ما فيه قولان فأكثر، ويظن أن فيه قولًا واحدًا فقط.

كقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ الإسراء: ٤٧، المشهور أن معنى: مسحورًا، من السحر، والقول الآخر: من السحر، وهو الرئة، أي: بشرًا يأكل كما تأكلون.

القسم الرابع: ما رجحه إمام وهو على خلاف المشهور

كقوله تعالى: ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة: ٣٠، المتبادر أنه آدم عليه السلام، ورجح ابن كثير أن المعنى: قوم يخلف بعضهم بعضا.

ولمزيد من ذلك راجع غريب القرآن "كلمات القرآن نفهمها على خلاف ما هي عليه" للشيخ أبي الحارث فواز بن عبده الخولاني.

المبحث الخامس: الفروق اللغوية في تفسير كلمات القرآن

الفروق في التفسير هو: بيان أوجه الاختلاف في اللفظ أو المعنى أو الحكم بين الأشياء المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه التي يقع بينها اشتباه أو اشتراك في شيء ما.

دواعي ذكر الفروق في التفسير:

١- الاشتراك في بعض معاني الألفاظ، فتحتاج إلى بيان الفروق الدقيقة.

كالفرق بين: الحمد والشكر، والبخل والشح، والفقير والمسكين، الإسراف والتبذير، والرأفة والرحمة.

٢- الاشتراك في الأحكام، فقد يقع اشتراك في أحكام بعض المسائل، فيقع التشابه بينها، فيحتاج الأمر لبيان الفرق، كالفرق بين النسخ والتخصيص.

٣- التقارب اللفظي في نطق بعض الكلمات القرآنية، حيث تتقارب مخارج بعض الحروف مما يؤدي إلى الاشتباه بينها في نظر كثير من الناس، كالفرق بين: الظالين والضالين، وعسى وعصى.

٤- ورود الإطلاق في بعض المسائل والمصطلحات ونحوها، والإطلاق من موارد الاشتباه فيقع الخلط بين الأشياء، وهنا نحتاج لبيان الفرق، كالفرق بين التشابه العام والتشابه الخاص، والإحكام العام، والإحكام الخاص.

٥- الرد على المغرضين والطاعنين، وموردي الإشكالات، أو مدعي التعارض بين آيات الكتاب العزيز، وذكر الفروق في هذه الحالة أقوى في إزالة الشبهة، ودفع إيهام التعارض.

أنواع الفروق اللفظية:

١- الفروق اللفظية التي تؤثر في المعنى، كالخلط بين عسى وعصى، والظالين والضالين.

٢- الفروق اللفظية التي لا تؤثر في المعنى كتفخيم المرقق أو ترقيق المفخم.

٣- الفروق التفسيرية التي تتعلق بأيضًاح المعاني، كالفرق بين القلب والفؤاد، والعلم والفهم، والأجر والثواب، والعذاب والعقاب.

ولمزيد من معرفة هذه الفروق ينظر: الفروق اللغوية في تفسير الكلمات القرآنية لعلي فهمي النزهي.

الغريب في التفسير

غريب القرآن الكريم
- تعريفه
- أسباب صعوبة فهم المراد من الكلام
- أقسام الغريب في القرآن الكريم
- منشأ الغرابة
- ترتيب كتب غريب القرآن
- أشهر المؤلفات في غريب القرآن

كليات الألفاظ في التفسير
- تعريفها
- أقسام الكليات
- فوائد معرفة الكليات
- نماذج من كليات الألفاظ

الأشباه والنظائر
- تعريف الوجوه
- تعريف النظائر
- الفرق بين الوجوه والنظائر
- من أشهر المؤلفات في علم الوجوه والأشباه والنظائر

ما يفهم على غير المراد
- تعريفه
- أقسام ما يفهم على غير المراد

الفروق اللغوية في تفسير كلمات القرآن
- تعريفه
- دواعي ذكر الفروق
- أنواع الفروق

الفصل الثامن: قواعد التفسير

المبحث الأول: قواعد التفسير العامة

المبحث الثاني: قواعد الترجيح

قواعد التفسير

القواعد: هي الأمور الكلية المنضبطة التي يستخدمها المفسر في تفسيره، ويكون استخدامه لها إما ابتداءً، ويبني عليها فائدة في التفسير، أو ترجيحًا بين الأقوال.

استمداد قواعد التفسير:

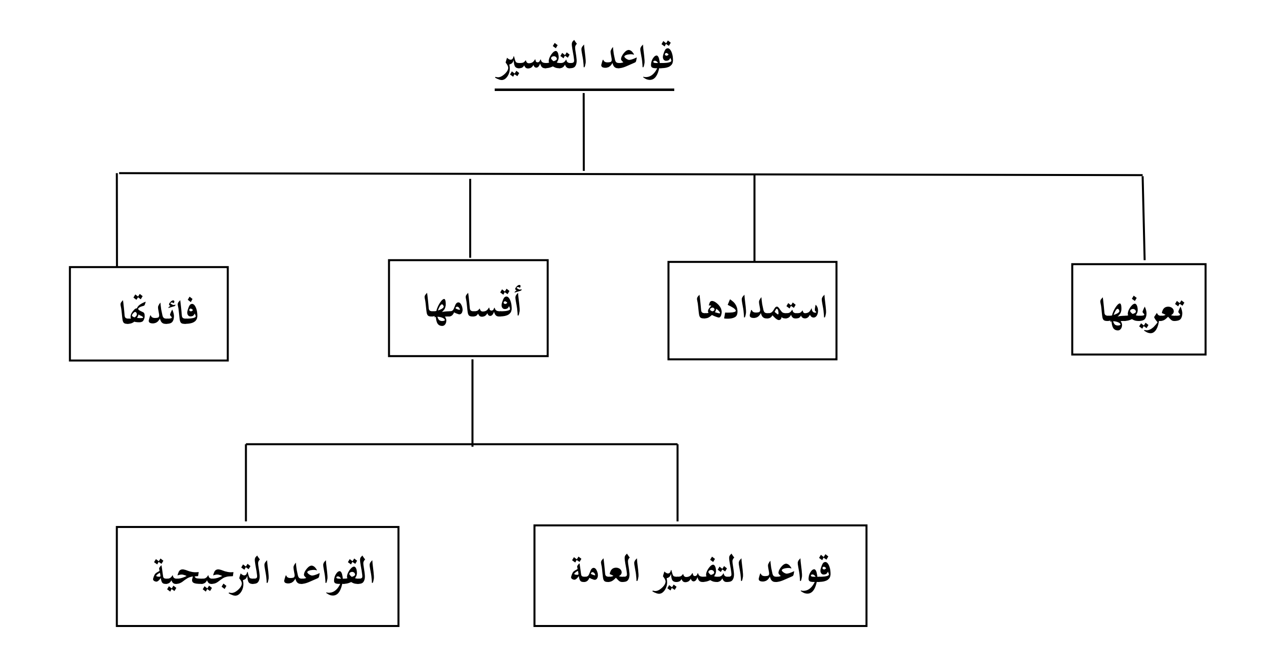
ويمكن استنباط هذه القواعد من كتب التفسير، وكتب اللغة، وكتب البلاغة، وكتب أصول الفقه، وكتب علوم القرآن، وتنقسم هذه القواعد إلى قسمين: القواعد العامة، والقواعد الترجيحية، وبينهما تداخل ظاهر عند التأمل.

فائدة معرفة قواعد التفسير:

١- هي عبارة عن آلة تساعد الشخص على الاستنباط والفهم للقرآن الكريم.

٢- تربي المفسر على ملكة تجعله يحسن الاختيار بين الأقوال المختلفة.

٣- وسيلة من وسائل تدبر القرآن الكريم.



المبحث الأول: قواعد التفسير العامة

تعريف قواعد التفسير: هي الأحكام والضوابط الأغلبية التي يتوصل بها إلى معرفة معاني القرآن الكريم معرفة صحيحة.

وتتصف قواعد التفسير بما يلي:

١-أنها قواعد استقرائية

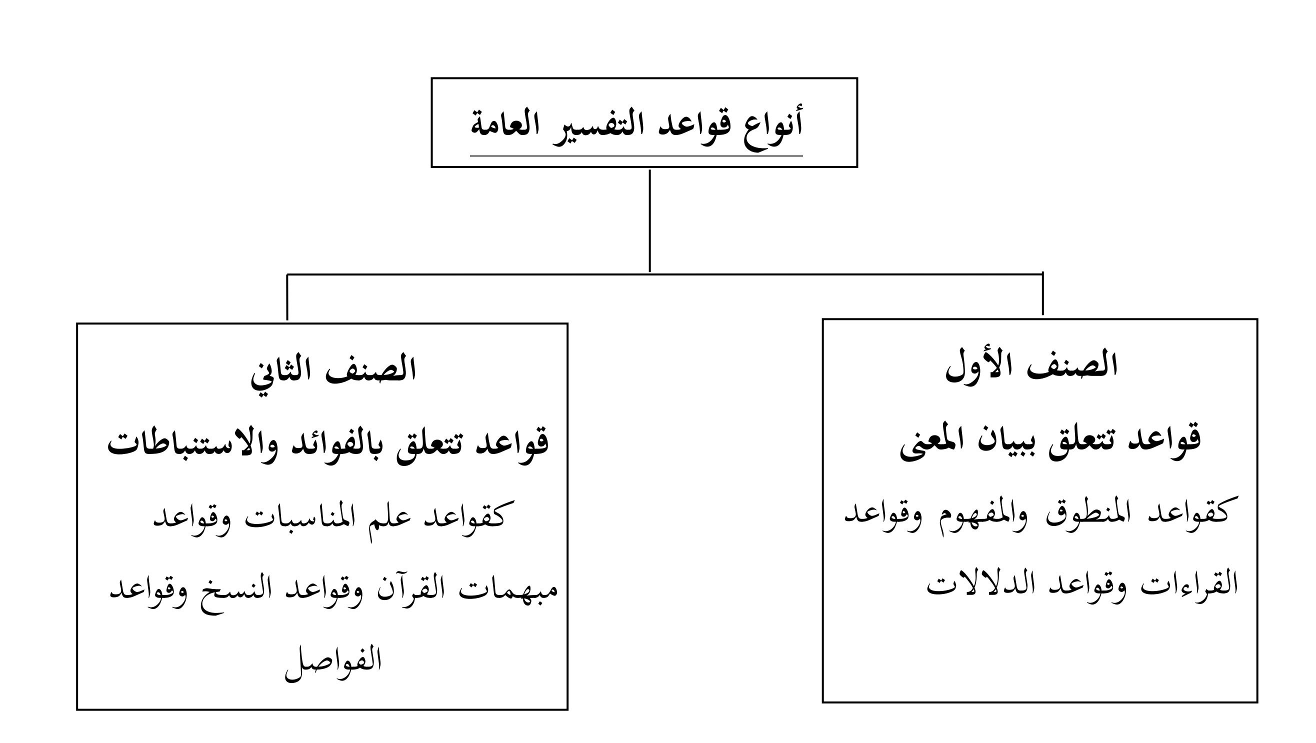
٢-أنها أغلبية، ولا يلزم أن تكون كلية.

٣-أنها منتزعة من أكثر من علم

٤-أنها تتعلق ببيان المعنى، وبما وراءه من الفوائد والاستنباطات.

أنواع قواعد التفسير عامة:

تتنوع قواعد التفسير العامة إلى عدة أنواع، وتحت كل نوع عدة قواعد، ويمكن تصنيفها إجمالًا إلى صنفين:



نماذج لبعض قواعد التفسير العامة:

١- لا يجوز تفسير ألفاظ القرآن بغير ما تعرفه العرب من كلامها.

٢- إنما يحمل القرآن على الأفصح من وجوه الإعراب.

٣- الجملة الاسمية تفيد الثبوت.

٤- الجملة الفعلية تفيد الحدوث والتجدد.

٥- مجيء الأمر المستقبل بصيغة الفعل الماضي لإفادة تحقق الوقوع.

٦- ما أبهم في القرآن فلا فائدة في المعنى تترتب على ذكره.

٧- حذف المتعلق المعمول فيه يفيد تعميم المعنى المناسب له.

٨- إذا ورد تفسير اللفظ بأكثر من معنى لغوي صحيح تحتمله الآية بلا تضاد، فإنه يجوز التفسير بكل هذه المعاني المحتملة على سبيل تنوع الوجوه في التفسير.

٩- عند تعدد معنى اللفظ، فلا بد من احتمال السياق للمعنى المختار للفظ، إذ لا يكفي فيه صحة إطلاقه في اللغة.

١٠- إذا تنازع معنى اللفظ ومدلوله الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية قدمت الحقيقة الشرعية.

١١- تفسير السلف اللغوي حجة يحتكم إليه لغة وتفسيراً.

١٢- النكرة في سياق النفي والنهي والشرط والاستفهام تفيد العموم.

١٣- الفعل المضارع إذا جُزِم أو نُفُي بـ"لا" فإنه يفيد العموم.

١٤- إن المشددة المكسورة تفيد التعليل.

١٥- الفاء تفيد التعليل.

١٦- فائدة الاسم الموصول الدلالة على عِلِّيَة الحكم، أي: قرن الأمر بعلته.

١٧- المفرد المضاف يفيد العموم.

١٨- إذا عُرِف تفسير القرآن من جهة النبي صلى الله عليه وسلم فلا حاجة إلى قول من بعده.

المبحث الثاني: قواعد الترجيح

قواعد الترجيح: هي أحكام كلية أو أغلبية _مصوغة بعد استقراء_ يُعْمِلها المفسر ليظهر الراجح بين الأقوال المختلفة في بيان معاني القرآن الكريم.

ويكون استعمال هذه القواعد في حالتين:

الأولى: ترجيح أحد الأقوال على غيره.

الثانية: رد أحد الأقوال.

وهذا لا يكون إلا في اختلاف التضاد، أما اختلاف التنوع فحقيقة الأمر أنه لا يوجد خلاف، لكن قد يستعمل المفسر قواعد الترجيح في اختلاف التنوع من باب بيان القول الأولى والأنسب لمعنى الآية.

طريقة المفسرين في عرض التفاسير المنقولة:

الأولى: حكاية الاختلاف دون بيان الراجح من الأقوال، كتفسير الماوردي، وابن الجوزي.

الثانية: حكاية الاختلاف مع بيان الراجح دون ذكر مستند الترجيح، كتفسير ابن عطية.

الثالثة: حكاية الاختلاف مع بيان الراجح، والقاعدة الترجيحية التي هي سبب الترجيح، كتفسير الطبري، والشنقيطي، وابن جزي الكلبي.

قواعد التفسير

- **تعريفها**
- **استمدادها**
- **طريقة المفسرين في عرض التفاسير المنقولة**

نماذج لبعض قواعد الترجيح:

١- تفسير النبي صلى الله عليه وسلم مقدم على غيره.

٢- الأصل في الأخبار والأحكام العموم، ولا يدخلها الخصوص إلا بدليل.

٣- القول الموافق للسياق أولى من غيره.

٤- اللفظ المشهور في اللغة مقدم على اللفظ الأقل شهرة أو اللفظ الشاذ.

٥- القول المجمع عليه أو قول الجمهور مقدم على غيره.

٦- التفسير الموافق لترتيب الألفاظ في الآيات أولى من القول بالتقديم والتأخير.

٧- الأصل عود الضمير أو ما كان بمنزلته إلى أقرب مذكور.

٨- القول بتوافق الضمائر أولى في عودها على مذكور من تشتيت مرجعها.

٩- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

١٠- الأصل عدم التقدير، ولا يلجأ إليه إلا بحجة يجب الرجوع إليها تثبت هذا المحذوف.

١١- التأسيس أولى من التأكيد.

١٢- الأصل حمل نصوص الوحي على ظواهرها إلا لدليل.

١٣- لا يجوز إخراج ما احتمله ظاهر الآية من حكمها إلا بحجة يجب التسليم لها.

١٤- إذا أثبت الله تعالى شيئًا في كتابه امتنع نفيه.

١٥- كل ما أضافه الله إلى نفسه فله من المزية والاختصاص على غيره ما أوجب له الاصطفاء والاجتباء.

١٦- من ادعى في التنزيل ما ليس في ظاهره كُلِّف البرهان على دعواه.

الفصل التاسع: علوم وأدوات يحتاج إليها المفسر

المبحث الأول: علوم يحتاج إليها المفسر

المبحث الثاني: أدوات يحتاج إليها المفسر

المبحث الأول: علوم يحتاج إليها المفسر

المفسر: هو المبين لمعاني القرآن الكريم.

والمراد بالعلوم التي يحتاجها المفسر هنا: هي علوم القرآن التي تؤدي إلى فهم الخطاب القرآني.

وأهم تلك العلوم هي:

أولًا: علم مقاصد السور "الوحدة الموضوعية":

فالوحدة الموضوعية للسورة تعني أن السورة مهما تعددت آياتها وتعددت قضاياها فهي تهدف إلى غرض أساسي واحد، وتعالج موضوعًا واحدًا هو الوحدة الموضوعية، أو عمود السورة كما يسميه بعض العلماء.

وتستدل على الوحدة الموضوعية للسورة من خلال الأمور الآتية:

١- عرض السورة عرضًا واحدًا، نرسم به خط سيرها إلى غايتها، ونبرز به وحدة نظامها المعنوي في جملتها لكي ترى في ضوء هذا البيان كيف وقعت كل حلقة في الموقع المناسب لها.

٢- اسم السورة مترجم عن مقصودها.

٣- العود على البدء: ترى في كثير من سور القرآن الكريم أن الكلام ينتقل من معنى إلى آخر، ومنه إلى معنى آخر، ثم يعود على ما بدأ منه، ولم يكن هذا الانتقال والانجرار من معنى إلى آخر إلا لوجود رابطة مهمة تربط بين الآيات والمقاصد يقتضيها السياق.

٤- تكرار بعض الآيات مرات عديدة، مثل سورة المرسلات، وسورة الرحمن، وسورة هود، وسورة القمر وغيرها.

إن الوحدة الموضوعية لكل سورة من سور القرآن الكريم تعني أن هناك وحدة موضوعية للقرآن كله، وهو ما يعبر عنه بعض العلماء بمقاصد القرآن الكريم، أو محاور القرآن الكريم، وقد اختلفت أنظار العلماء في تحديد مقاصد القرآن الكريم، إلا أنهم متفقون على أن أبرز مقاصد القرآن الكريم هي: التوحيد والعقائد، والأخلاق، والشرائع، والوعظ والتذكير.

ثانيًا: علم غريب القرآن، وقد مر الكلام عليه سابقا.

ثالثًا: علم أسباب النزول

وهو العلم الذي يبحث في الوقائع أو الأسئلة التي نزلت عقبها الآيات أو السور بيانا لها.

وتنقسم أسباب النزول إلى قسمين:

ابتدائي: وهو ما لم يتقدم نزوله سبب يقتضيه، وهو غالب آيات القرآن.

سببي: وهو ما تقدم نزوله سبب يقتضيه.

وأهم القواعد المتعلقة بأسباب النزول:

١-القول في الأسباب موقوف على النقل والسماع.

٢-سبب النزول له حكم الرفع.

٣-العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٤-دخول صورة السبب قطعي.

٥-معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

رابعًا: علم الناسخ والمنسوخ

وهو عند المتقدمين بمعنى البيان، وعند المتأخرين هو: رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم، بخطاب متراخ عنه.

وشروطه هي:

١- أن يكون الحكم المنسوخ ثابتا بخطاب الشرع، وأما إن كان ثابتا بالعادة والتعارف، لم يكن رافعه ناسخًا، بل يكون ابتداءً شرع.

٢- أن يكون الناسخ ثابتًا بنص من كتاب أو سنة صحيحة.

٣- أن يتأخر الناسخ عن المنسوخ، ويعرف تأخر الناسخ عن المنسوخ إما بالنص أو بالتنصيص، أو بمعرفة التاريخ.

٤- أن يمتنع اجتماع الناسخ والمنسوخ، بأن يكون متنافيين، قد تواردا على محل واحد، ولا يمكن العمل بهما جميعا، بل يقتضي ثبوت أحدهما رفع الآخر.

أهم القواعد المتعلقة بالناسخ والمنسوخ:

١-النسخ لا يثبت مع الاحتمال.

٢-لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ولو بلفظ الخبر.

٣- دعوى النسخ في القرآن مرتين ممتنعة.

٤- الأصل عدم النسخ.

٥- الزيادة على النص إن رفعت حكمًا شرعيًا فهي نسخ، وإن رفعت حكمًا عقليًا فليست بنسخ.

٦- نسخ جزء الحكم أو شرطه لا يكون نسخا لأصله.

٧- كل ما وجب امتثاله في وقت ما، لعلة تقتضي ذلك الحكم، ثم ينتقل بانتقالها إلى حكم آخر فليس بنسخ.

٨- كل حكم ورد في خطاب مشعر بالتوقيت، أو ربط بغاية مجهولة، ثم انقضى بانقضائها فليس بنسخ.

خامسًا: علم المناسبات القرآنية

وهو علم تعرف منه علل ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره.

وهذا العلم يشتمل على عدة أنواع من المناسبات أهمها:

١- مناسبات ترتيب سور القرآن على هذا النسق.

٢- مناسبة ابتداء القرآن بسورة الفاتحة واختتامه بسورة الناس.

٣- مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيقت له.

٤- مناسبة أوائل السور لأواخرها.

٥- مناسبات ترتيب آياته، واعتلاق بعضها ببعض.

٦- مناسبات فواصل الآي، ومناسبتها للآي التي ختمت بها.

أهم القواعد المتعلقة بعلم المناسبات:

١- كثيرًا ما تختم الآيات القرآنية ببعض الأسماء الحسنى للتدليل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم.

٢- الآيتان أو الجملتان المتجاورتان، إما أن يظهر الارتباط بينهما أو لا.

فالثاني: إما أن تكون إحداهما معطوفة على الأخرى، وعندئذ لا بد أن تكون بينهما جملة جامعة، أو لا تكون معطوفة، فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام.

٣- الأمر الكلي لمعرفة مناسبات الآيات في جميع القرآن: أن ينظر إلى الغرض الذي سيقت

له السورة، ثم ينظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، ثم ينظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، كما ينظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام، أو اللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها.

سادسًا: علم السياق القرآني

فالسّياق: هو تتابع الكلمات أو الفقرات تتابعًا متسلسلًا متجانسا في إطار الظروف والملابسات التي تحيط بها، ومراعاة لحال المتكلّم والسّامع، وهو الضّامن الوحيد لتحديد مدلول العبارات المتضمّن في الفقرات والنّصوص.

والسياق القرآني: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"، أي: ذلك التتابع المستمر دون انقطاع، والتسلسل المنتظم لألفاظ القرآن الكريم في سياق بياني لمعانيها الشريفة؛ لتبلغ أسمى غايتها الموضوعية في أكمل معناها المقصود.

وعلم السياق القرآني علم لا بد منه للمفسر، وأداة يجب أن يتسلح بها من أراد تفسير كلام الله جل وعلا؛ فالسياق في القرآن الكريم هو العلم الذي يعرف به مراد الله سبحانه وتعالى من كلامه، فكما لكل كلمة معنى، فكذلك لكل سياق غرض ومقصد صيغ الكلام من أجل بلوغه وتحقيقه، وإن كان تفسير القرآن بالقرآن أصحّ تفسير لكلام الله –سبحانه وتعالى، فإن السّياق في النص القرآني خادم لهذا النوع من التفسير والأداة التي تحققه.

يقول ابن القيم ــرحمه اللهــ: " السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته".

أنواع السياق القرآني كالآتي:

هناك عدة تقسيمات للسياق القرآني يضيق المقام عن عرضها، ومن هذه التقسيمات:

١- سياق القرآن الكلي: "ويقصد به مراد الله تعالى من كتابه القرآن العظيم، وهو معرفة الخلق ربهم، وعبادتهم إياه، ويخدم هذا الهدف ما سمي في كتب الأصول بمقاصد الدين والضروريات" أي سبب نزول القرآن الكريم، الذي يتمثل في إرشاد العباد، لمعرفة ربهم، وعبادتهم

إياه حق العبادة؛ فشرّع لهم الشرائع، وأنزل لهم الأحكام والعقائد، وبيّن لهم طريق الرّشاد، فيراعي المفسر في تفسيره المقاصد الكلية والأهداف العامة للقرآن الكريم..

٢- سياق السورة: فكل سورة في القرآن الكريم تمثل وحدة متكاملة متناسقة، يجمعها سياق واحد، هو الغرض من السورة الكريمة، والذي يرتبط بدوره برباط وثيق بالسياق العام للقرآن الكريم.

٣- سياق المقطع أو النص: السّورة القرآنية هي مجموعة المقاطع أو النّصوص من الآيات مترابطة المباني، متحدة المعاني متناسبة ومتناسقة المقاصد؛ لتتلاحم فيما بينها مشكّلة الغرض أو الأغراض الخاصّة لعموم السّورة والتي تسمّى بـ "وحدة السّورة" أو "مقاصدها".

٤- سياق الآية: من المعلوم أنّ المعجم يكسب المفردة معان عامة ومتعدّدة، ويكسوها برداء الاحتمال؛ لكن إذا نظر إليها في ضوء سياقها؛ فإنّه يتحدّد معناها ويبرز مرادها؛ وبالتالي يقطع يقين السياق ريب وشك الاحتمال؛ حيث يفرض في هذا النوع من أنواع السياق النظر في سياق الآية (سابقها ولاحقها)، دون التجاوز إلى ما يسبقها أو يلحقها من آيات، حتى نتمكّن من اقتناص المعنى المقصود لأحد المفردات من بين معانيها المتعدّدة والمحتملة.

مثال:

يقول ابن القيم ــرحمه الله ــ:". "انظر إلى قوله تعالى ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير" لأنَّ سياق الآية جاء بيان صفة عذاب أهل الجحيم، فقد سبقها قوله تعالى:﴿ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ الدخان: ٤٧ - ٤٩، على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه.

ونحوه قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ الأعراف: ٨، فإن ظاهر هذا القول المدح، وحقيقته الاستهزاء والذم، والسياق هو الذي يبين ذلك، فهذا القول هو قول الكفار حين نهاهم لوط ــعليه السلامــ عن الفاحشة بقوله: ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾ الأعراف: ٨٠ – ٨١، فأجابوه بقولهم:﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ

﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ الأعراف: ٨٢، فبين السياق أن مقصودهم لم يكن المدح وإنما الذم.

سابعًا: علم التوجيه

وهو البحث عن مغزى الكلام الذي أثار إشكالا في ذهن السامع.

وتوضيحه أكثر هو حل الإشكالات الواردة عند تفسير القرآن، فإذا حل المفسر أي إشكال ورد في ذهن السامع سمى ذلك الحل توجيها وينقسم من حيث الاعتبار وعدمه إلى قسمين:

١-**توجيه وجيه،** وهو التوجيه المقبول المنضبط بالقواعد الصحيحة.

٢-**توجيه غير وجيه،** وهو التوجيه غير المقبول.

والمسائل التي تحتاج إلى توجيه كثيرة أهمها:

١- استعمال لفظة غريبة أو تعبير مستغرب على الذهن.

٢- عدم المعرفة بأسباب النزول.

٣- ظهور ما يوهم الاختلاف والتناقض بين الآيتين.

٤- استشكال أساليب ووجوه الخطاب في التعبير القرآني، لعدم الإلمام بأساليب ووجوه الخطاب البلاغية التي يستعملها العرب.

٥- استشكال التراكيب الكلامية في التعبير القرآني.

٦- عدم إدراك الحكمة من الآيات المتشابهة التي تكررت في القرآن الكريم وألفاظها متفقة مع وجود زيادة أو نقص، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو كلمة مكان أخرى.

أهم القواعد المتعلقة بعلم التوجيه:

١-إذا اختلفت الألفاظ، وكان مرجعها إلى أمر واحد لم يوجب ذلك اختلافا.

٢-الآيات التي توهم التعارض يحمل كل نوع منها على ما يليق به ويناسب المقام.

٣-إنما يتناقض الخبران اللذان أحدهما نفي والآخر إثبات إذا استويا في الخبر والـمُخْبَر عنه، وفي المتعلق بهما، وفي الزمان والمكان، وفي الحقيقة والمجاز.

من أهم الكتب المتعلقة بفن التوجيه:

١-ملاك التأويل لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي ت٧٠٨هـ.

٢-أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي.

٣-دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي.

٤-البرهان في متشابه القرآن للإمام محمود بن حمزة الكرماني.

٥-تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء لابن تيمية.

ثامنًا: علم إعراب القرآن

الإعراب في اللغة: الإبانة، **واصطلاحا**: اختلاف الكلمة باختلاف العوامل الداخلة عليها لفظا وتقديرا.

ومن أشهر المصنفات في هذا العلم:

١-إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ت٣٣٨هـ.

٢-مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ت٤٣٧هـ.

٣-التبيان للعكبري.

٤-إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين الدرويش.

تاسعًا: المحكم والمتشابه

المحكم هو: ما لا يدرك أهل اللغة منه إلا معنى واحدًا.

والمتشابه: هو ما احتمل معنيين فأكثر، ذلك لأسباب منها:

احتمال رجوع الضمير إلى مرجعين، أو لاشتراك الكلمة في معنيين، مثل: ﴿لَٰمَسْتُمُ﴾ المائدة: ٦، تأتي بمعنى الجماع، وبمعنى اللمس باليد أيضًا، أو لاحتمال العطف على القريب والبعيد مثل: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ المائدة: ٦، في قراءة الكسر.

أو لاحتمال العطف والاستئناف، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ آل عمران: ٧، الآية.

وما سبق هو الإحكام الخاص والتشابه الخاص، أما الإحكام العام فالمراد به كون القرآن متقن فصيح لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد وصف الله تعالى القرآن بالإحكام في قوله: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: ١.

والمراد بالتشابه العام: هو كون القرآن يشبه بعضه بعضًا في الكمال والجودة، ويصدق بعضه

بعضا في المعنى ويماثله، وقد وصف الله القرآن الكريم بالمتشابه في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ الزمر: ٢٣.

عاشرًا: علم طبقات المفسرين

الطبقات جمع طبقة، والطبقة في اللغة: القوم المتشابهون في صفة من الصفات.

وفي الاصطلاح: "الطبقة" هم: العلماء المتعاصرون في قرن معين من الزمان، في أي فن من الفنون.

والفارق بين علم الطبقات وعلم التاريخ: أنهما يشتركان في الرواة، وينفرد التاريخ بالحوادث، فبينهما عموم وخصوص، أما الطبقات فينظر فيها بالذات إلى أحوال تلك الشخصية، أما المواليد والوفيات فهي أمور عرضية.

طبقات المفسرين في المائة الأولى والثانية والثالثة:

طبقات المفسرين في المائة الأولى تشمل: النبي صلى الله عليه وسلم بالأساس، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبا هريرة، وأنس بن مالك، وأم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر، وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم أجمعين.

ومن التابعين: رفيع بن مهران، ومحمد بن كعب، وسعيد بن جبير، والضحاك بن مزاحم، ومجاهد بن جبر، وعكرمة مولى ابن عباس، وطاووس، وغيرهم.

ومن المائة الثانية: نجد الشافعي، ومحمد بن المستنير النحوي البصري، وعبدالرزاق الصنعاني، وابن ماجه وغيرهم.

وفي المائة الثالثة نجد: أحمد بن فرج البغدادي، وعلي بن المديني، وابن جرير، وغيرهم.

وفائدة معرفة علم الطبقات:

١- معرفة عمن نأخذ علم التفسير.

٢- معرفة نشأة علم التفسير.

٣- معرفة مكانة كل مفسر ومنهجه في التفسير.

أهم كتب طبقات المفسرين:

١- طبقات المفسرين للسيوطي، ذكر في هذا الكتاب ١٣٦ علما من أعلام التفسير.

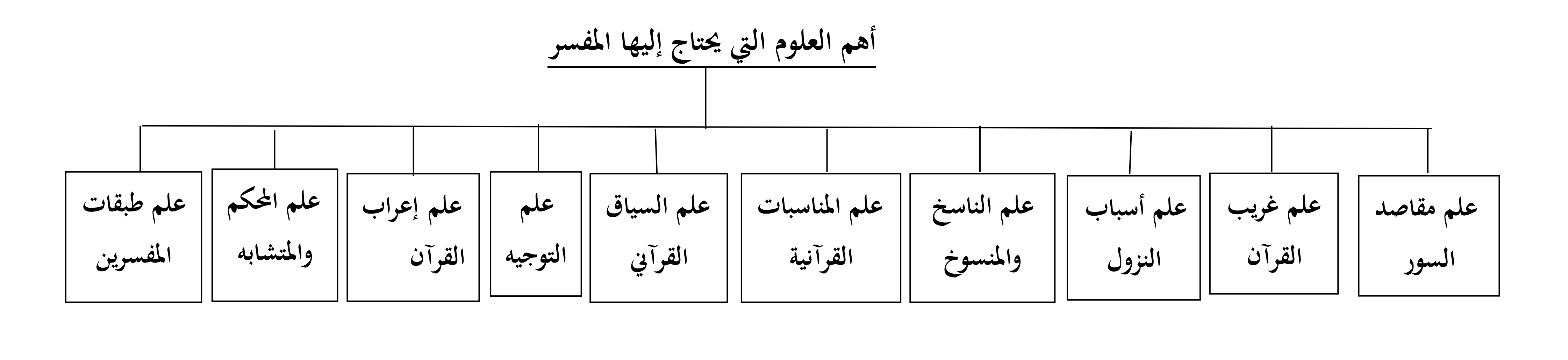
٢- طبقات المفسرين للأدنهوي.

٣- طبقات المفسرين للداودي، ذكر فيه ٧٠٤ علما من أعلام التفسير.

٤- نيل السائرين في طبقات المفسرين.

٥- معجم المفسرين لعادل نويهض.

٦- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير لمجموعة من الباحثين.


أهم العلوم التي يحتاج إليها المفسر
علم مقاصد السور
علم غريب القرآن
علم أسباب النزول
علم الناسخ والمنسوخ
علم المناسبات القرآنية
علم السياق القرآني
علم التوجيه
علم إعراب القرآن
علم المحكم والمتشابه
علم طبقات المفسرين

المبحث الثاني: أدوات يحتاج إليها المفسر

الأدوات التي يحتاج إليها المفسر يراد بها:

ويراد بهذه الأدوات البنى الصرفية والتراكيب النحوية من أسماء وأفعال وحروف وجمل اسمية أو فعلية إنشائية أو خبرية ونحو ذلك من مكونات اللغة العربية.

فالقرآن الكريم الذي نزل باللغة العربية لا يمكن تفسيره بعيدًا عن قواعدها ونظامها اللغوي، ودون التعرف على دلالات ألفاظها، فكان لا بد لمن يريد التصدي لتفسير القرآن الكريم من الإلمام بهذه الأدوات وقواعدها ودلالاتها، التي تختلف بحسب اختلاف السياق، واختلاف البنى الصرفية والتراكيب النحوية.

فالحروف مثلا أنواع فهناك حروف العطف والشرط والنصب والجزم وغيرها كثير، فحروف العطف على سبيل المثال وإن كانت تفيد معنى عاما يشملها إلا أنها تختلف فيما بينها اختلافا شديدا، فالواو تفيد مطلق الجمع، والفاء للترتيب والتعقيب و"ثم" للترتيب والتراخي، وهكذا كل حرف له معناه المستقل، بل إنه قد يختلف معنى الحرف الواحد بحسب سياق الكلام، فالفاء مثلا قد تفيد المعنى السابق وقد تفيد معنى السببية، وهكذا.

أما الأسماء فتختلف هي الأخرى بحسب البنى الصرفية أولًا ثم بحسب السياق الذي ترد فيه، فصيغة اسم الفاعل تختلف عن الصفة المشبهة، وعن المصدر وعن اسم الآلة وهكذا، وقد يختلف معنى الصيغة الواحدة من موضع لآخر، ويمكن قول نحو ذلك في الأفعال وهكذا.

وهذا الاختلاف نجده بشكل بارز أيضًا في التراكيب النحوية، فيختلف كل تركيب في دلالته عن الآخر، فالجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والاستمرار، تختلف عن الجملة الفعلية التي تدل على الحدوث والتجدد، والجملة الاسمية المبدوءة بكان وأخواتها تختلف في دلالتها عن الجملة الاسمية المبدوءة بإن وأخواتها، وهكذا.

والكلام في هذا المجال واسع جدًا، ولا يمكن استقصاء أطرافه في بضع وريقات، ولكن المراد في هذا الموضع الإشارة إلى أهمية امتلاك المفسر لهذا العلم، وإلمامه به، ليخرج بتفسير صحيح موافق لما يظن أنه مراد الله جل وعلا من كلامه.

أهم القواعد المتعلقة بالأدوات التي يحتاج إليها المفسر:

١- لكل حرف من حروف المعاني وجه هو به أولى من غيره، فلا يجوز تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة.

مثاله في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ التوبة: ١٠٤، الأصل "من عباده" لكن جاءت التعدية بـ"عن" لتضمن ما قبلها معنى العفو والصفح.

٢- إذا جاءت "مِنْ" قبل المبتدأ، أو الفاعل، أو المفعول، فهي لتأكيد النفي وزيادة التنكير والتنصيص على العموم.

ففي مجيء "مِنْ" قبل المبتدأ مثلا: كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ هود: ٦ ، الأصل "وما دابة" فدخلت عليها "من" فأفادت زيادة التنكير وتأكيد النفي، وصيرتها نصا قاطعا في العموم.

٣- حيث وقعت "إذ" بعد "واذكر" فالمراد به الأمر بالنظر إلى ما اشتمل عليه ذلك الزمان لغرابة ما وقع فيه.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴾ مريم: ١٦.

٤- إذا دخلت "قد" على المضارع المسند إلى لفظ الجلالة فهي للتحقيق دائما.

فالمعلوم في اللغة أن "قد" إذا دخلت على الفعل المضارع تفيد التقليل والتشكيك، أما في كتاب الله تعالى فإنَّها إذا دخلت على المضارع المسند إلى الله تعالى فهي للتحقيق دائمًا، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ البقرة: ١٤٤.

٥- إذا دخلت الألف واللام على الاسم الموصوف اقتضت أنه أحق بتلك الصفة من غيره.

مثاله قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة: ٦، قال ابن القيم رحمه الله: " اعلم أن الألف واللام إذا دخلت على اسم موصوف اقتضت أنه أحق بتلك الصفة من غيره ... ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه وسلم: "**أنت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ثم قال ولقاؤك الحق والجنة حق والنار حق**" فلم يدخل الألف واللام على الأسماء المحدثة وأدخلها على اسم الرب تعالى ووعده وكلامه، فإذا عرفت هذا فلو قال اهدنا صراطا مستقيما لكان الداعي إنما يطلب الهداية إلى صراط ما مستقيم على الإطلاق وليس المراد ذلك بل المراد الهداية إلى الصراط المعين الذي نصبه الله تعالى لأهل نعمته وجعله طريقا إلى رضوانه وجنته وهو دينه

الذي لا دين له سواه فالمطلوب أمر معين في الخارج والذهن لا شيء مطلق منكر واللام هنا للعهد العلمي الذهني وهو أنه طلب الهداية إلى سر معهود قد قام في القلوب معرفته والتصديق به وتميزه عن سائر طرق الضلال فلم يكن بد من التعريف"ا.هـ

٦- الاسم الموصول يدل على عِلِّية الحكم.

مثاله قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ يونس: ٥٢، فعلة خلودهم في العذاب هي الظلم.

٧- كل حرف له معنى متبادر ثم استعمل في غيره، فإنه لا ينسلخ من معناه الأول بالكلية، بل يبقى فيه رائحة منه ويلاحظ معه.

٨- يستدل على افتراق معاني الحروف بافتراق الأجوبة عنها.

الفصل العاشر: تنبيهات مهمة لمن أراد القراءة في كتب التفسير

المبحث الأول: تنبيهات لمن أراد القراءة في كتب التفسير

المبحث الثاني: خطوات تكوين ملكة التفسير.

المبحث الثالث: محتوى كتب التفسير.

المبحث الرابع: مختصرات التفسير

المبحث الخامس: منظومات في علم التفسير

المبحث الأول: تنبيهات لمن أراد القراءة في كتب التفسير

من أراد القراءة في كتب التفسير فعليه اختيار أصحها، وأبعدها عن البدع ممن عرف بالتبحر والتخصص والسلامة من المحدثات.

وعليه أن ينتبه لما يلي:

١- قراءة مقدمة المؤلف ليعرف منهجه وطريقته.

٢- أن يعلم القراءة التي اختارها المؤلف للتفسير.

٣- أن يعرف اعتقاد المؤلف، ومذهبه الفقهي؛ لأنهما مما يتغير به التفسير في مواطن.

٤- أن يعرف الكتب التي اعتمد عليها المؤلف ليرجع إليها عند الإشكال.

٥- أن يختار الطبعة السليمة والتحقيق المتين.

٦- أن يعرف مصطلحات المفسر، فإنها تختلف كثيرًا من مفسر لآخر.

٧- أن يعرف اتجاه المفسر هل هو فقهي أو نحوي أو بلاغي أو أثري أو كلامي أو غير ذلك.

٨- أن يختار أجمع التفاسير إذا لم يستطع استيعابها.

٩- أن يعرف منهج المفسر والأصول التي بنى عليها كتابه ومميزات تفسيره وسلبياته قبل القراءة فيها.

١٠- أن يعتني بكتب التفسير المحررة التي تعنى بالترجيح والتعليل.

المبحث الثاني: خطوات تكوين ملكة التفسير

تكوين ملكة التفسير تعني: امتلاك القدرة على معرفة معاني القرآن الكريم، واستخراج الأحكام والفوائد من مآخذها، وتحليل أقوال أئمة التفسير والترجيح بينها عند الاختلاف.

وتكوين ملكة التفسير يرجع إلى ثلاثة أمور هي:

أولًا: الاستعداد الذاتي، وأهم خطواته ما يلي:

١-الإخلاص لله عز وجل ٣- الحرص على الوقت ٣- التركيز الذهني والعقلي

٤- الصبر والمثابرة ٥- العيش مع أصحاب الهمم ٦- التدرج القرآني

ثانيًا: الاستعداد العلمي، وأهم خطواته:

١- معرفة آلات العلوم الأربعة: شيخ فتاح، عقل رجاح، كتب صحاح، مداومة وإلحاح.

٢- الاهتمام بالملكات الأربع: ملكة البنان "الكتابة"، ملكة اللسان، ملكة العقل، ملكة الفهم.

٣- إتقان الخريطة التفسيرية: معرفة نشأة التفسير، ومنهج العلماء في التأليف فيه.

٤- إتقان علوم الآلة.

ثالثًا: الاستعداد العملي

١- التزود من العلوم الضرورية لعلم التفسير.

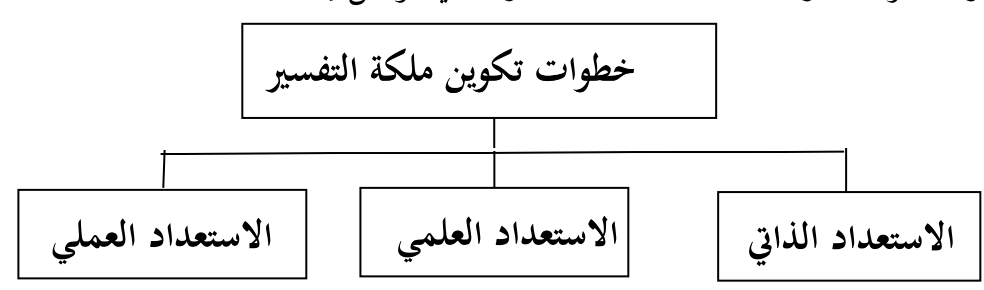
٢- اختيار الآيات التي سيتدرب على تفسيرها.

٣- فهم الآية بالجهد الذاتي المحض دون الاستعانة على فهمها بأحد.

٤- السعي إلى التفسير اللغوي الصرف للآية.

٥- تفسير الآية بالمنقول، من القرآن والسنة وأقوال السلف.

٦- الرجوع إلى كلام أئمة التفسير، وإلى ترجيحاتهم النهائية، لتقويم النتيجة النهائية من الدراسة، ولاختيار الصياغة الدقيقة للتفسير الذي توصل إليه.



المبحث الثالث: محتوى كتب التفسير

يمكن أن نصنف معلومات كتب التفسير إلى ثلاثة أقسام:

١- صلب التفسير ٢- علوم القرآن ٣- علوم أخرى

أولًا: صلب التفسير، ويدخل فيه:

١- بيان معنى المفردة، وبيان معنى الأساليب.

٢- سبب النزول، لأن أسباب النزول تعين على فهم المعنى، لأنها أشبه بالسياقات الحالية للكلام، فالنص قد يحتمل أكثر من معنى من جهة اللغة لكن يأتي سبب النزول ويحدد المعنى.

٣- الناسخ والمنسوخ، والمقصود بالناسخ والمنسوخ بمصطلح السلف سواء كان نسخ للأحكام الشرعية، أو كان تقييد مطلق، أو كان تخصيص عام، أو بيان مجمل، أو استثناء، وكل هذه المعاني تدخل ضمن صلب التفسير، وذلك لأنه يبنى عليه فهم المعنى.

ثانيًا: علوم القرآن

ويدخل فيه:

١- علوم السورة: هي التي يقدم بها المفسرون تعريفًا عن السورة كـ: اسم السورة، وفضل السورة، ومكان السورة، وعلوم السورة لا تؤثر في صلب التفسير، فكون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن لا يؤثر في فهم معنى السورة.

٢- علوم الآية: علوم الآية المرتبطة بعلوم القرآن مثل: ما هي أطول آية، ماهي أفضل آية...

٣- علم الاستنباط من علوم القرآن، والاستنباط من القرآن له مقدمات تسمى علوم الآلة.

ثالثًا: علوم أخرى

وهي العلوم التي يستطرد فيها المفسر وليست من صلب التفسير كالعلوم الكونية، أو الفلسفية، ونحو ذلك.

المبحث الرابع: مختصرات التفسير

المختصر: هو ما قل لفظه وكثر معناه، واختصر: سلك إلى المطلوب بطريقة سهلة يسيرة وقريبة.

والمختصرات في التفسير تنقسم إلى قسمين:

أولًا: مختصرات ابتداء، وهي المختصرات التي ألفت ابتداء دون التقيد بكتاب معين، ومن الأمثلة على ذلك:

١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام علي بن أحمد الواحدي ت ٤٦٨هـ.

٢- كفاية ضعفاء السودان في بيان تفسير القرآن لعبدالله فودي ت ١٢٥٠هـ.

٣- توفيق الرحمن في دروس القرآن للشيخ فيصل آل مبارك ت ١٣٦٦هـ.

٤- صفوة العرفان في تفسير القرآن لمحمد فريد الوجدي ت ١٣٧٣هـ.

٥- التفسير الوجيز لكتاب الله العزيز لأسامة عبدالكريم الرفاعي.

٦- المنتخب في تفسير القرآن الكريم لمجموعة من علماء الأزهر.

٧- الوجيز في تفسير القرآن الكريم للدكتور شوقي ضيف.

٨- التفسير المختصر الصحيح للأستاذ الدكتور حكمت بشير ياسين.

٩- المختصر الجامع في بيان وجوه التفسير وأسباب النزول لعبدالسلام محمد علوش.

١٠- الكافي في تفسير الآيات وأيضًاح القراءات لعبدالعزيز رباح وبشير جويجاتي.

١١- التفسير الميسر لنخبة من العلماء.

١٢- التفسير المنهجي لعدد من علماء الأردن.

١٣- التفسير الواضح الميسر للشيخ محمد بن علي الصابوني.

١٤- التفسير الميسر لعائض القرني.

١٥- المختصر في تفسير القرآن الكريم لمجموعة من العلماء.

ثانيًا: مختصرات كتب التفسير، وهي المختصرات التي اختصرت كتابا معينا من كتب التفسير ومن الأمثلة على ذلك:

١- مختصر تفسير الطبري لإسلام بن منصور بن عبدالحميد.

٢- مختصر تفسير ابن كثير، وهو من أكثر كتب التفسير التي تناولها العلماء بالاختصار،

فقد اختصره العلامة أحمد شاكر، والرفاعي، والمباركفوري، والعدوي وغيرهم.

٣- مختصر تفسير فتح القدير المسمى بزبدة التفسير للأشقر.

٤- مختصر تفسير أضواء البيان لسيد ساداتي الشنقيطي.

٥- مختصر تفسير التحرير والتنوير لمحمد بن إبراهيم الحمد.

٦- مختصر تفسير الرازي للشيخ خالد بن عبدالرحمن العك.

٧- مختصر تفسير البحر المحيط لأبي حيان، وقد اختصره المؤلف نفسه في كتابه النهر الماد من البحر، واختصره الإمام أبو محمد تاج الدين أحمد بن عبدالقادر القيسي الحنفي في كتاب أسماه "الدر اللقيط من البحر المحيط".

٨- مختصر تفسير القرطبي لإبراهيم النعمة.

المبحث الخامس: منظومات في علم التفسير

لا شك أن نظم العلم له فائدة عظيمة في تسهيل العلم وتيسير حفظ مسائله، مع ما يروق السمع عند سماعه، وفي هذا يقول العلامة السفاريني:

وصار من عادة أهل العلم أن يعتنوا في سبر ذا بالنظم

لأنه يسهل للحفظ كما يروق للسمع ويشفي من ظما

وقال ابن عاصم الأندلسي:

والنظم مدن منه كل ما قصى مذلل من امتطاه ما اعتصى

فهو من النثر لفهم أسبق ومقتضاه بالنفوس أعلق

والمنظومات في علم التفسير تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: **منظومات لكتاب معين**، ومن الأمثلة على ذلك:

١- نظم غريب القرآن للشيخ المختار بن المحبوبي اليدالي الشنقيطي، وهو نظم لكتاب غريب القرآن لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني.

٢- ألفية غريب القرآن للحافظ زين الدين عبدالرحيم بن الحسين العراقي، وهي نظم لكتاب تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان الأندلسي.

القسم الثاني: **منظومات لا تتصل بكتاب معين بل هي مستقلة**، ومن الأمثلة على ذلك:

١- التيسير العجيب في تفسير الغريب، نظمها الإمام ناصر الدين أبوالعباس أحمد بن محمد الإسكندراني المعروف بابن المنير.

٢- متن ألفية المفتاح للتفسير، للشيخ عبدالله فودي.

٣- ضوء القناديل على غريب التنزيل، للشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالفتاح الجكني الشنقيطي.

٤- مراقي الأواه إلى تدبر كتاب الله للحسني الشنقيطي.

٥- ألفية التفسير لحسين علي دحلي.

دراسة تطبيقية لأصول التفسير وقواعده

"تفسير الآلوسي أنموذجًا"

دراسة تطبيقية لأصول التفسير وقواعده "تفسير الآلوسي أنموذجًا"

أولًا: التعريف بمؤلف التفسير

هو أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي الآلوسي البغدادي، ولد في سنة ١٢١٧هـ، في جانب الكرخ من بغداد، اشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان ذا حافظة عجيبة، قُلِّد إفتاء الحنفية في سنة ١٢٤٨هـ، وبقي مشتغلًا بتفسير القرآن الكريم حتى أتمه، ثم سافر إلى استانبول في سنة ١٢٦٧هـ، فعرض تفسيره على السلطان عبدالمجيد خان، فنال إعجابه ورضاه.

وكان ــرحمه اللهــ عالما باختلاف المذاهب، مطلعًا على الملل والنحل، سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب، إلا أنه في كثير من المسائل يقلد الإمام أبا حنيفة رحمه الله، وكان في آخر أمره يميل إلى الاجتهاد، وتوفي سنة ١٢٧٠هـ، ودفن في الكرخ رحمه الله.

ثانيًا: التعريف بتفسير الآلوسي

اسمه: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.

يعد هذا التفسير من التفاسير التي نحت منحى التفسير بالرأي المحمود، ويغلب على طريقته في التفسير طريقة التفسير التحليلي، فهو يذكر الآية، ويذكر سبب نزولها، مع بيان غريبها، وإعرابها، ومشكلها، وبيان ما فيها من قراءات...الخ.

ثالثًا: طرق التفسير في تفسير الآلوسي

وقد برزت في تفسيره كل طرق التفسير، ومن الأمثلة على ذلك:

١- **تفسير القرآن بالقرآن:** ففي قوله تعالى: ﴿ **حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ** ﴾ الحجر: ٧٤، يقول: "والسجيل: الطين المتحجر، لقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ **حِجَارَةً مِّن طِينٍ** ﴾ الذاريات: ٣٣، والقرآن يفسر بعضه بعضا، ويتعين إرجاع بعضه لبعض في قصة واحدة".

٢- **تفسير القرآن بالسنة:** في قوله تعالى: ﴿ **أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ النساء: ١١٤ ، قال الآلوسي: "والمراد من الإصلاح بين الناس التأليف بينهم بالمودة إذا تفاسدوا من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف، نعم أبيح الكذب لذلك، فقد أخرج الشيخان وأبو داود عن أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «**ليس الكذاب بالذي**

يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا»، وقالت: لم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها". ا.هـ

٣- **تفسير القرآن بأقوال الصحابة:** في معنى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ ﴾ النساء: ٢٥، نقل الآلوسي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: "أسلمن".

٤- **تفسير القرآن بأقوال التابعين:** في قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴾ الرحمن: ١٥ ، قال: " هو أبو الجن وهو إبليس قاله الحسن، وقال مجاهد: هو أبو الجن وليس بإبليس، وقيل: هو اسم جنس شامل للجن كلهم مِنْ مارِجٍ من لهب خالص لا دخان فيه" ا.هـ.

٥- **تفسير القرآن باللغة:** في قوله تعالى: ﴿ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم ﴾ النساء: ٢٣ ، قال: " والحجور جمع حجر بالفتح والكسر، وهو في اللغة حضن الإنسان أعني ما دون إبطه إلى الكشح، وقالوا: فلان في حجر فلان أي في كنفه ومنعته، وهو المراد في الآية..." الخ.

٦- **تفسير القرآن بأقوال أهل الكتاب:** يذكر الآلوسي الروايات الإسرائيلية في التفسير لكنه شديد النقد لها، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُ ﴾ هود: ٣٨، يذكر أخبارا كثيرة عن نوع الخشب الذي صنعت منه السفينة، وفي مقدار طولها وعرضها وارتفاعها، وفي المكان الذي صنعت فيه...، ثم يعقب على ذلك بقوله: "وسفينة الأخبار في تحقيق الحال فيما أرى لا تصلح للركوب فيها إذ هي غير سالمة عن عيب، فالحري بحال من لا يميل إلى الفضول أن يؤمن بأنه عليه السلام صنع الفلك حسبما قص الله تعالى في كتابه ولا يخوض في مقدار طولها وعرضها وارتفاعها ومن أي خشب صنعها وبكم مدة أتم عملها إلى غير ذلك مما لم يشرحه الكتاب ولم تبينه السنة الصحيحة"ا.هـ

٧- **تفسير القرآن بالرأي:** الطابع العام لهذا التفسير هو التفسير بالرأي، وقد جمع فيه آراء السلف رواية ودراية، وهي خلاصة ما سبقه من التفاسير، وكثيرًا ما يدلي برأيه بين الآراء التي يذكرها، فهو ليس مجرد ناقل، بل كانت شخصيته العلمية وأفكاره النيرة بارزة في تفسيره، وهو يكثر من الاستطرادات، ويتوسع فيما يستطرد إليه، حتى يكاد يغرق القارئ لكتابه في بحر هذه

الاستطرادات.

ويعد تفسير الآلوسي من التفاسير التي تعتني بالتفسير الإشاري، ومن الأمثلة على ذلك: عند قوله تعالى: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ الأعراف: ١٩، يقول: " ومن باب الإشارة في الآيات: ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ﴾ أي النفس وسميت حواء لملازمتها الجسم الظلماني إذ الحوة اللون الذي يغلب عليه السواد. وبعضهم يجعل آدم إشارة إلى القلب لأنه من الأدمة وهي السمرة وهو لتعلقه بالجسم دون النفس سمي بذلك ولشرف آدم عليه السلام"ا.هـ

رابعًا: العلوم التي يحتاجها المفسر الواردة في تفسير الآلوسي

والآلوسي في تفسيره كان مهتما بالعلوم التي يحتاج إليها المفسر، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

١- **أسباب النزول**: ومن الأمثلة على ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ١٥٨، يقول: " سبب النزول ما صح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له إساف، وعلى المروة صنم على صورة امرأة تدعى نائلة زعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فوضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما فلما طالت المدة عُبدا من دون الله تعالى فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوا الوثنين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كره المسلمون الطواف بينهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية "ا.هـ

٢- **المناسبات**، ومن الأمثلة على ذلك قوله في المناسبة بين خاتمة سوره آل عمران مع فاتحة سورة النساء: " ووجه مناسبتها لآل عمران أمور، منها أنَّ آل عمران ختمت بالأمر بالتقوى، وافتتحت هذه السورة به، وذلك من آكد وجوه المناسبات في ترتيب السور"ا.هـ

٣- **القراءات**، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾ المائدة: ٨٩ ، قال: " وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم «عقدتم» بالتخفيف، وابن عامر برواية ابن ذكوان «عاقدتم» والمفاعلة فيها لأصل الفعل وكذا قراءة التشديد لأن القراءات يفسر بعضها بعضًا، وقيل: إن ذلك فيها للمبالغة باعتبار أن العقد باللسان والقلب لا أنَّ ذلك للتكرار اللساني كما توهم ".

خامسًا: الدخيل في تفسير الآلوسي

١- استطراده في المسائل النحوية والتوسع في ذلك أحيانا إلى حد يكاد يخرج به عن وصف كونه مفسرا، ولا أحيلك على مثال بعينه، فإنه لا يكاد يخلو منه موضع من الكتاب.

٢- استطراده في الأمور الكونية، وإن أردت مثالًا جامعًا، فارجع إليه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ يس: ٣٨ – ٤٠.

سادسًا: نماذج تطبيقية على قواعد التفسير عند الآلوسي

١- قاعدة "التفسير بعد الإبهام يدل على التهويل والتعظيم".

معنى القاعدة: التفسير بعد الإبهام يؤتى به لتفخيم المبهم وإعظامه؛ لأنه هو الذي يطرق السمع أولًا، فيذهب السامع كل مذهب.

مثال: في قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴾ ق: ٤١، يقول الآلوسي: " و﴿ وَٱسۡتَمِعۡ ﴾ أمر بالاستماع، والظاهر أنه أريد به حقيقته، والمستمع له محذوف تقديره واستمع لما أخبر به من أهوال يوم القيامة، وبين ذلك بقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ ﴾ إلى آخره، وسلك هذا لما في الإبهام ثم التفسير من التهويل والتعظيم لشأن المخبر به ".

٢- "الآيات التي توهم التعارض يُحمل كل نوع منها على ما يليق به، ويناسب المقام، كل بحسبه" ومعنى هذه القاعدة واضح.

مثال: في قوله تعالى: ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾ النساء: ٤٢، يقول الآلوسي : " ﴿ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ﴾ عطف على يَوَدُّ، أي أنهم يومئذ لا يكتمون من الله تعالى حديثا، لعدم قدرتهم على الكتمان، حيث إن جوارحهم تشهد عليهم بما صنعوا، أو أنهم لا يكتمون شيئًا من أعمالهم بل يعترفون بها فيدخلون النار باعترافهم، وإنما لا يكتمون لعلمهم بأنهم لا ينفعهم الكتمان، وإنما يقولون: ﴿ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ﴾ الأنعام: ٢٣ في بعض المواطن قاله الحسن "ا.هـ

٣- "العام يبقى على عمومه، حتى يرد ما يخصصه".

معنى القاعدة: الأصل في نصوص الوحي أنها تحمل على عموم ألفاظها، ما لم يرد نص يخصصها، وعليه إذا دار الأمر في اللفظ بين جريانه على عمومه أو تخصيصه، فإنه يحمل على عمومه، لأن الأصل بقاء العموم.

مثال: في قوله تعالى:﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾التوبة: ٩١ ، يقول الآلوسي: " أي ما عليهم سبيل فالإحسان النصح لله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم،... وهو من بليغ الكلام؛ لأن معناه لا سبيل لعاتب عليهم أي لا يمر بهم العاتب ولا يجوز في أرضهم فما أبعد العتاب عنهم وهو جار مجرى المثل، ويحتمل أن يكون تعليلا لنفي الحرج عنهم والْمُحْسِنِينَ على عمومه أي ليس عليهم حرج لأنه ما على جنس المحسنين سبيل وهم من جملتهم "ا.هـ

الخاتمة

مصطلحات وتعاريف مهمة

مصطلحات وتعاريف

١- الاستدراك في التفسير هو: تتبع خطأ قول مفسر ما وتعقبه ثم تصحيحه من خلال معالجة أسباب الخطأ، والكشف عن الصواب.

٢- بدع التفاسير: هي الأقوال الخاطئة، والبعيدة كل البعد عن مقصد كتاب الله تعالى.

٣- غرائب التفسير: ما قيل من أقوال حول تفسير آيات من القرآن الكريم لا تعتمد على دليل، ولا يؤيدها عقل ولا نقل.

٤- القراءة التفسيرية: هي ما نقل عن السلف على أنه قراءة، وقد خالف رسم المصحف، وكان أشبه بوجه في تفسير الآية.

٥- مصطلحات القرآن: ما انفرد به القرآن من ألفاظ أو تراكيب أو اختصاص لفظ بمعنى ليس له مثال سابق على لغة القرآن الكريم.

٦- ملح التفسير: يراد بهذا التعبير عند كثير من المفسرين: التعليق على رأي في التفسير تستعذبه النفس وتستملحه.

٧- موهم التعارض والتناقض: هو ما ظاهره التعارض أو الاختلاف بين آيات القرآن الكريم بعضها مع بعض.

٨- التجديد في علم التفسير: هو تصفية التفسير من الدخيل فيه، والانضباط بالفهم الصحيح للقرآن الكريم، وتنزيل النص على الواقع المعاش.

قائمة المصادر والمراجع

١- «اتحاف الطلاب بتوضيح أصول التفسير على طريقة السؤال والجواب» للدكتور حكمت الحريري.

٢- «اختلاف السلف في التفسير» للدكتور نايف الزهراني.

٣- «أسباب اختلاف المفسرين»، للدكتور محمد الشايع

٤- «أسباب الخطأ في التفسير»، للدكتور طاهر محمود.

٥- «أصول التفسير وقواعده»، لخالد عبد الرحمن العك.

٦- «أصول التفسير ومناهجه»، للدكتور فهد بن عبد الرحمن الرومي

٧- «أصول في التفسير»، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين

٨- «الإجماع في التفسير»، للدكتور محمد الخضيري.

٩- «الأقوال الشاذة في التفسير»، للدكتور عبد الرحمن الدهش.

١٠- «التحرير في أصول التفسير»، للدكتور مساعد الطيار.

١١- «التفسير النبوي للقرآن الكريم» دراسة تأصيلية للدكتور خالد الباتلي.

١٢- «التفسير وأصوله وضوابطه» للدكتور علي العبيد.

١٣- «التكميل في أصول التأويل»، للمعلم عبد الحميد الفراهي.

١٤- «التنوير في أصول التفسير» للدكتور عبدالسلام المجيدي.

١٥- «التيسير في أصول التفسير» للدكتور عماد علي.

١٦- «التيسير في أصول التفسير»، لعبد الحق عبد الدائم القاضي.

١٧- «التيسير في قواعد التفسير» للعلامة محمد الكافيجي.

١٨- «الركيزة في أصول التفسير» للدكتور محمد الخضري.

١٩- «الشاهد الشعري في تفسير القرآن» للدكتور عبدالرحمن الشهري.

٢٠- «الفوز الكبير في أصول التفسير»، لولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (ت١١٧٦هـ).

٢١- «بحوث في أصول التفسير»، للدكتور محمد لطفي الصباغ.

٢٢- «تفسير التابعين»، للدكتور محمد الخضيري.

٢٣- «تفسير القرآن بالقرآن» دراسة تأصيلية للدكتور محسن المطيري.

٢٤- «جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم» للدكتور مساعد الطيار.

٢٥- «دراسات في أصول تفسير القرآن»، لمحسن عبد الحميد.

٢٦- «علم أصول التفسير محاولة في البناء»، للدكتور مولاي عمر بن حماد.

٢٧- «علم التفسير أصوله وقواعده» للدكتور خليل الكبيسي.

٢٨- «فصول في أصول التفسير»، للدكتور مساعد الطيار.

٢٩- «قواعد الترجيح عند المفسرين»، للدكتور حسين الحربي.

٣٠- «قواعد التفسير»، للدكتور خالد بن عثمان السبت.

٣١- «مباحث في أصول التفسير» للدكتور عبدالله عثمان المنصوري.

٣٢- «مسير التفسير» للدكتور إبراهيم عوض.

٣٣- «معالم في أصول التفسير» للدكتور ناصر بن محمد المنيع.

٣٤- «مفاتيح التفسير» للدكتور أحمد سعد الخطيب.

٣٥- «مقدمة في أصول التفسير»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ).

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

